تفسير سورة الذاريات

هى مكية

آياتها ٦٠ — نزلت بعد الأحقاف

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۞ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۞ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۞ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۞ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۞
يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ
يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۞
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞
كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞
وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنْطِقُونَ ۞ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا
قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ ۞ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ
فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۞ قَالُوا كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۞
لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۞ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ
فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ
يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۞ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ فَتَوَلَّى

بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ * وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ * وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ * وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *

هذه السورة ثلاثة أقسام

القسم الأول فى تفسير البسملة .

القسم الثانى فى دلائل البعث من العلوم الطبيعية ، والعجائب النفسية ، وفى ذكر جزاء المتقين ، وأخبار الأمم المروية من أول السورة إلى « لعلكم تذكرون »

القسم الثالث فى تسلية النبى ﷺ ، وفى الفرار إلى الله من هذه الدنيا المزدوجة المقاصد ، المحفوفة بالمخاطر ، من قوله تعالى : « ففرّوا إلى الله » إلى آخر السورة .

القسم الأول فى تفسير البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم

رباه لك الحمد على نعمة العلم وبهجة الحكمة وسعادة الكشف والايضاح ، رحمتك طلسم الوجود ولغز الحياة ، وأحجية الدنيا والدين ، حرنا يار بنا فى رحمتك ، رأيناها حاصلة بالضدين : الخير والشر ، والضر والنفع أوليس من العجب أن نرى الجهل من نوع الانسان وأكثرهم جاهلون ، والدواب جميعا تسوقهم للعمل الشهوات وماهى الشهوات ؟ إن هى إلا مهاميز وسياط ونيران تلظى فى هذه الحياة تسوق الناس إلى أعمالهم ،

ينشط العامل لعمله ، والتاجر لتجارته ، والسياسى لنظام دولته ، بم نشط هؤلاء ؟ لم يكن ذلك إلا لما يحسون فى أنفسهم من ألم الجوع و بوار التجارة وضياع المجد والخزى والعار أمام الأعداء والأهل والأصحاب .

سبحانك اللهم وبحمدك ، سبحانك ربنا ، إذن حسراتنا وأحزاننا وآمالنا ومسرّاتنا الوقتية وعداواتنا إن هى إلا محركات لهممنا ، سائقات لعزائمنا ، جعلتها يارب أسواطا بها تسوقنا كما نسوق نحن بهائمنا وأنعامنا بما لدينا من سياط وعصىّ وأدوات .

يركب أحدنا الحصان والحمار والفيل والجمل ، ويسوقه بما معه من السياط ، وانما نفعل ذلك لما نعلمه من أن هذه الدواب لا تسير سيرا على مقتضى رغائبنا غالبا إلا اذا نظمنا سيرها بايقاظها بضرب السياط واعمال المهاميز ، نفعل ذلك ونحن نجهل أنك أنت تفعل معنا ما نفعله نحن مع دوابنا ، الله أكبر : نحن فى عالم المادة والمادّة هذا شأنها ، عالمنا مادّى ، فالمادّة كلها آلاته ، لذلك قضيت علينا وحكمت حكما عدلا أن يكون جوع وشبع ، وخير وشرّ ، وضرّ ونفع ، وحبيب وعدوّ . فان كان خير فرح الحبيب فأفرحنا ، وان كان شرّ شمت العدوّ فحركنا للعمل كما نسرّ بتعاطى الطعام ، و بمسرّات اجتماع الزوجين الذكر والأنثى ، والصحة والجمال ، ونحزن للفقر والمرض والذل والخضوع للأعداء ، فنجدّ للعمل حتى نستردّ ما كنا به فى بهجة وحبور ، هما ضدان اتخذتهما برحمتك سوطين يسوقاننا لأعمال الحياة ، أفليس من عجب أن تكون شماتة الأعداء أكبر مقوّم لنا ومرقّ فى الحياة من رضا الحبيب وغفلته أو تغافله عن عيوبنا ، إذن الضدان لابدّ منهما لرحمتنا حتى نحيا سعداء سعادة مّا . يشير لذلك قوله تعالى فى هذه السورة : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، ففرّوا إلى الله » .

اللهم إن أكثر نوع الانسان مسوقون بهذين السائقين وهم فى رحمتك بهما ، وهذا قوله فى سورة أخرى « قتل الانسان ما أكفره » وقوله : « ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون » . وهناك صنف من الناس ارتقى عن هذه الطوائف فكان عمله للخير المحض والسعادة المطلقة ، وهذه هى النفوس العالية التى تشرق على هذا النوع الانسانى آنا فآنا .

الله أكبر : هو الرحمن الرحيم ، الله أكبر : هو الذى خلق الشمس والقمر والنجوم ، والجبال والشجر والدواب خلقها برحمته هو ابداعا ، وصقل الدنيا كلها بصقال الجمال ، وجعل فى العقول الانسانية من يكونون فى الأرض أشبه بتلك النجوم والشموس والأقمار ، يضيئون على الناس كما تضىء الكواكب والشمس والقمر على الأرض .

الله أكبر : ما أكثر غفلة نوع الانسان ، هذه الطائفة هم الذين قال الله فيهم : « وقليل من عبادى الشكور » ، ألا ترى أن شكر النعمة أن يوجه الانسان جميع مواهبه إلى وجهتها ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ يكون مع الناس ومع ربه أشبه بالشمس والكواكب فى عموم النفع بلا طلب مكافأة ولا مجازاة ، وكما أن الشمس منقادة تسير على النظام المجيد الذى رسمه لها المبدع ، وتطيعه طاعة أشبه بطاعة المحب لمحبوبه طلبا لرضاه ، وسعيا لامتثال أوامره ، هكذا هذه الطائفة فى هذا النوع الانسانى نزلوا إلى الأرض لهذه الفضيلة ، شأنهم مع الناس شأن الأمهات مع أولادها ، وشأن الاستاذ الصادق مع تلاميذه النجباء والبلداء ، وشأن الشمس مع الأرض الطيبة والقفراء ، وهؤلاء الشاكرون من نوع الانسان هم الأنبياء والحكماء الذين يخلقون فى الأمم جيلا جميلا ، هم فى الأرض مع الله أشبه بالكواكب فى إطاعة النظام ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ هم يرقون الأمم بما يحسون فى نفوسهم من حب لها ، وغرام برقيها واسعادها ، لا يرقبون جزاء ولا شكورا ، ولن يتمّ لهم ذلك إلا بحبّ وهيام وغرام بمبدع الشموس والأقمار ، فهم عن الله يأخذون ، ولعباده يعطون ، والله يلهم النفوس

العاليـة وهم الملائـكة أن تمدّهـم من الأنوار التى استمدّتها منـه تعالى ، فهؤلاء العلماء فى الأرض والنفوس الشريفة فى العالم الأعلى هم الذين يشهدون نظام السموات والأرض المذكور فى نظرات الخليل عليه السلام واذن يشهدون الحـكمة والجـمال والبهجة فى العوالم ، هم المعطوفون على الملائـكة فى آية : « شهد الله أنه لاإله إلاهو والملائـكة وأولوا العلم قائما بالقسط لاإله إلا هوالعزيز الحـكيم » .

وستـكثر هذه الطائفة فى ديارالاسلام بعد نشرهذا التفسير فى زماننا . وفى الملائـكة المذكورين يقول الله فى هـذه السورة : « فالمقسمات أمرا » ، وفى تربية الناس ليستخرج منهم من هو مستعدّ للتلقى عن تلك النفوس العالية وان كانوا قليلا يقول فيها أيضا : « كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحارهم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » . هـذه أوصاف العابدين ، ومن هؤلاء العابدين من تسمو نفوسهم إلى هذه الطائفة بما ركب فيهم من الاستعداد والقوى النفسية وهم المفكرون فأسمعهم مابعد ذلك فقال : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلاتبصرون ، وفى السماء رزقـكم وما توعدون ، فوربّ السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنـكم تنطقون » .

فلتنظرأيها الذكىّ فى نفسك فان كان عملها للناس لعرض المـكاسب كما هودأب أكثرهذا النوع الانسانى أوللشهوة ، أواللذة ، أوالعلوّعلى الناس ، فأنت لاتزال فى الدرجات الدنيا من العبادة ، وان كان عملها بسائق الحب كما تعمل الأم بولدها فأنت فى الذروة العليا ، ثم انظر فى آخر هذه السورة : « وماخلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون » فان كانت هذه العبادة لأجل الجنة ومافيها فهى المرتبة الدنيا ، وان كانت الأعمـال والعبادات صادرة بحب خالص فان السعادة والبهجة تعجل لصاحب هذا العمل فى نفس الحياة الدنيا ، وهذه الطائفة من الآن سعداء ، دنياهم كآخرتهم ، يعبدون الله كأنهم يرونه ، ومن عبد الله كأنه يراه فهذا لاينتظر جزاء بعد ذلك فقد نال مقصوده ، فـكن أيها الحبيب ذلك العبد إن شاء الله .

هذا مافتح الله به صباح يوم الثلاثاء ٢٩ شوّال سنة ١٣٥٠ هجرية الموافق ٨ مارس سنة ١٩٣٢ م وكتبته وقت الضحى . وبهذا تمّ الـكلام على القسم الأوّل فى تفسير البسملة ، والحمد لله رب العالمين .

القسم الثانى من السورة

فى دلائل البعث من العلوم الطبيعية ، والعجائب النفسية ، وفى ذكر جزاء المتقين ، وأخبار الأمم المروية من أوّل السورة إلى قوله تعالى : « لعلـكم تذكرون »

التفسير اللفظى

بسم الله الرحمن الرحيم

(والداريات ذروا) الرياح تذرو التراب وغـيره (فالحاملات وقرا) أى الرياح الحاملات للسحاب (فالجاريات يسرا) أى الرياح الجارية فى مهابها بسهولة (فالمقسمات أمرا) هى الرياح التى تقسم الأمطار بتصريف السحاب ، فالفاء هنا لترتيب الأفعال ، والذات واحدة وهى الرياح ، وجواب القسم قوله (انما توعدون لصادق) فان هبوب الرياح وذروها التراب ، وحملها السحاب ، وجريها فى الهواء بسهولة ، وتقسيمها للأمطار كل ذلك مخالف لناموس الجاذبيـة ، إن كل ما على الأرض منجذب لها واقع عليها ، ولـكن هذه تصرّفت الرياح تصرّفا عجيبا ، وهـذا التصرّف تابع لسير الـكواكب ، لأنها بحريها وبجرى الشمس تؤثر جميعها فى أرضنا وفى هوائها فيتم ماذكر ، وهـذه الـكواكب والشمس تجرى بنظام مقدّر محكم يدل على تدبير عقلى

ونظام حكمى ، فاذن يكون ذرو التراب ، وحمل السحاب ، وجريه وتفريقه تابع لنظام سير الكواكب التابع لتدبير النفوس والعقول العالية ، وهم الملائكة المدبرون للعالم الأرضى ، فما ذرت الرياح التراب ، ولاحملت السحاب ، ولاقسمت المطر على البقاع إلا بالحركات الفلكية المنظمة بالعقول الملكية ، وهذا يجمع لك كلام المفسرين رحمهم الله ، فاذا سمعت بعضهم يقول : الذاريات الكواكب ، و بعضهم يقول الملائكة فاعلم أنهم جميعا لاخلاف بينهم لأن الأسباب والمسببات مرتبطات محكمات ، أعلاها سبب فى أدناها ، وليس من الحكمة أن يكون هذا النظام محكما من الأعلى الى الأسفل كما قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض » ثم تكون نتيجة ذلك الفناء المطلق الذى يدل على أن لاحكمة فى خلق هذا الانسان ، لذلك جعل الله تلك المذكورات مقسما بها ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ براهين على البعث إذ لولا البعث لكان هذا كله عبثا ، فالمدبرات لهذه العوالم لم تدبره ليفنى ، لذلك قال (انما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع) أى وان الجزاء لحاصل نفيا لفعل العبث من هذه النظم المحكمة (والسماء ذات الحبك) ذات الطرائق جمع حبيكة كطريقة ، * وطرائق السماء قسمان : محسوسة وهى مسير الكواكب ، ومعقولة وهى مسير العقول فى التفكير فيها للتوصل إلى العلوم والمعارف ، أوذات النجوم ، والنجوم تزين السماء كما تزين طرائق الوشى الثوب ، وتحسن شكله ومنظره ، يقال فى هذا أيضا حبيكة وحبك وحباك وحبك ككتاب وكتب ، يقسم الله بالسماء [ذات طرائق النجوم وطرائق العقول بالتفكر ، أوطرائق الوشى والزينة بنفس النجوم ، ومعلوم أن طرق النجوم ونفس النجوم كلها مرتبطات متعاضدات متحدات المقاصد والأغراض] (إنكم لفى قول مختلف) فى الرسول وفى القرآن ، وفى القيامة ، وفى أمر الدين كأن يقولوا : ان الرسول شاعر ، أوساحر ، أومجنون الخ ولقد كانوا يتلقون الرجل فيقولون له : إياك وأن تسمع محمدا انه ساحر أوكاهن الخ فيصرفونه أى عن الايمان به ، ولذلك قال تعالى (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن القول المختلف أى بسببه من صرف عن الايمان وهذه الجملة صفة بعد صفة للقول (قتل الخرّاصون) الكذابون من أصحاب القول المختلف ، وهذا دعاء بالقتل ولكنه جرى مجرى اللعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أى فيقولون متى يوم الجزاء : أى وقوعه ، وجواب هذا السؤال أنه يقع ذلك (يوم هم على النار يفتنون) أى يحرقون حال كونهم مقولا لهم تبكيتا (ذوقوا فتنتكم) أى نقول لهم خزنة النار : ذوقوا عذابكم واحراقكم فى النار (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون (إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين (إنهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم ، وذكر منها هنا مايأتى : (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) ينامون ومازائدة : أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل ، أوهجوعا قليلا (وبالأسحار هم يستغفرون) فهؤلاء يحيون الليل متهجدين ، فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم ، والسحر السدس الأخير من الليل . ويقال انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار . وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « كانوا قليلا من الليل مايهجعون » كانوا قلّ ليلة تمرّ بهم إلا صلوا فيها شيئا إما من أوّلها أومن وسطها . وقال أنس بن مالك : « كانوا يصلون بين المغرب والعشاء » أخرجه أبوداود (وفى أموالهم حق) نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقرّبا إلى الله واشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة (وفى الأرض آيات للموقنين) أى فيها دلائل من أنواع المعادن والحيوان والنبات والعجائب (وفى أنفسكم) آيات (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر . وصف الله المحسنين بأنهم مجدّون فى العبادة

البدنية ، واخراج المال لمستحقه ، وفيهما إشارة الى الزكاة والصيام والحج ، لأن الأوّل معلوم من الآية والثانى من نوع العبادة البدنية ، والثالث مركب من المال والبدن ولم يبق إلا الايمان والعلم فلذلك أتى بهذه الجمل وهى النظر فى الآفاق وفى الأنفس بأسلوب آخر كأنه كلام مستقل مع أن هذا من قبيل العلم والأوّل من قبيل العمل ، وكل متمم للآخر ، وانما فصل هذا لأنه مختص بطائفة راقية العقل تنبغ فيه ، فالأوّلون صالحون ، والآخرون هم الصدّيقون قال تعالى تتميما لمسائل العلم (وفى السماء رزقكم) أى أسباب رزقكم أوتقديره (وما توعدون) من الثواب ، ذلك لأن الجنة فوق العوالم السماوية ، أويقال : إن الأعمال وثواب الأعمال مقدّرات فى العالم الأعلى (فورب السماء والأرض إنه) أى ماتوعدون (لحق) حقا (مثل ماأنكم تنطقون) أى مثل نطقكم ، فكما أنه لاشكّ لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لاتشكوا فى تحقق ذلك . ويمكن أن يقال انه أى الرزق ، وعليه ما يأتى :

[حكى الأصمعى] . قال : أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابىّ على قعود ، فقال من الرجل ؟ فقلت : من بنى أصمع . قال : من أين أقبلت ؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الله تعالى . قال اتل علىّ ، فتلوت : « والذاريات ذروا » فلما بلغت : « وفى السماء رزقكم وماتوعدون) ، قال حسبك ، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر ، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى . فلما حججت مع الرشيد ، وطفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف فى بصوت رقيق ، فالتفت فاذا بالأعرابى قد نحل واصفرّ فسلم علىّ واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح . وقال : قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا . قال : وهل غير هذا ؟ فقرأت : فورب السماء والأرض إنه لحقّ ، فصاح وقال : ياسبحان الله ، من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف : لم يصدّقوه بقوله حتى حلف فلها ثلاثا ، وخرجت معها نفسه .

واعلم أن مثل هذه الحكاية لاتؤخذ بظاهرها ، وكم للأصمعى من حكايات من عنده . واعلم أن الله عزوجل هوالذى تكفل بالرزق وحده ، فأمازرع الأرض مثلا فليس إلا عملا قليلا جدا ، فماهو إلا وضع حب وانزال ماء وخدمة ، ولكن النموّ والخلق وجميع الرزق حاصل بأسباب سماوية من حرارة تارة وبرودة أخرى وعمل عظيم فى الخلق والتصوير والتقدير والعجب العجاب ، فأىّ دخل للناس فى هذا ؟ هذا معناه إذا أرجع الضمير للرزق فافهم .

ولما فرغ من الدلائل العقلية ، والعبادات البدنية ، وماتقدّمها شرع يقصّ القصص وابتدأ بقصة ضيف ابراهيم التى جاء فى آخرها : « وتركنا فيها آية » للمناسبة بينها وبين : « وفى الأرض آيات للموقنين » قال تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) فى هذه الجملة تفخيم للحديث ، والضيف فى الأصل مصدر يطلق على الواحد والمتعدّد ، وقوله (المكرمين) أى المكرمين عند الله تعالى وعند ابراهيم إذ خدمهم بنفسه وزوجته وكانوا اثنى عشر ملكا فى صورة الضيف حين أضافهم ابراهيم (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام ، والابتداء جملة فعلية ، والردّ جملة اسمية تفيد الثبات والأولى للحدوث ، فالردّ أوكد ، فهذه تحية أحسن من الابتداء . ثم قال أنتم (قوم منكرون) فعرّفونى من أنتم (فراغ إلى أهله) فذهب إليهم فى خفية من ضيفانه ، وذلك لأن من أدب الضيافة أن يبادر ربّ الدار بالقرى خيفة أن يمنعه الضيف أو يطول انتظاره (فجاء بعجل سمين) لأنه كان عامة ماله البقر (فقرّبه إليهم) بأن وضعه بين أيديهم (قال ألاتأكلون) منه ، وذلك حثّ منه لهم على الأكل من العجل المشوى لأنه لايؤكل منه إلا بعد ذلك فلم يأكلوا من الطعام (فأوجس) فأضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لايحفظ ذمامك ، وكان فى زمانه اذا أكل الرجل من طعام صاحبه أمنه كما هوحاصل اليوم عند طوائف من العرب ، فلما علموا خوف ابراهيم

(قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم إنا رسل ربك (و بشروه) من الله (بغلام) بولد (عليم) يبلغ و يعلم أو نبيّ وهو اسحق (فأقبلت امرأته) سارة (فى صرّة) أى حال كونها فى صيحة وهى من الصرير (فصكت وجهها) فلطمت بأطراف الأصابع جبهتها كما يفعل المتعجب (وقالت) أنا (عجوز عقيم) فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) فنحن نخبرك عن الله والله قادر على ماتستبعدينه (إنه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلايخفى عليه شىء. فلما علم أنهم ملائكة (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم، وما طلبتكم، وفيم أرسلتم؟ (أيها المرسلون) أى أ إلى البشارة وحدها أرسلتم أم هناك أمر آخر؟ (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أى طين مطبوخ كما يطبخ الآجر حتى يصير فى الصلابة كالحجارة (مسوّمة) معلمة من السوم وهو العلامة، وعلامتها تدل على أنها ليست من أحجار الدنيا (عند ربك للمسرفين) أى المجاوزين الحدّ فى الفجور (فأخرجنا من كان فيها) فى قرى قوم لوط (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أى غير أهل بيت من المسلمين وهم لوط وابنتاه، وهم موصوفون بالاسلام والايمان (وتركنا فيها آية) علامة (للذين يخافون العذاب الأليم) فانهم المعتبرون بها وهى تلك الأحجار. ثم قال تعالى: (وفى موسى) وهو معطوف على: «وفى الأرض» (إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) هى معجزاته كاليد والعصا (فتولى بركنه) أى فتولى بما كان يتقوّى به من جنوده، والركن اسم لما يركن إليه الشىء و يتقوّى به (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) فكان ماظهر من الخوارق على يديه منسوب إلى الجنّ (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليمّ) فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) آت بما يلام عليه (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وانما كانت عقيما لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم (ماتذر من شىء أتت عليه) مرّت عليه (إلا جعلته كالرميم) كالرماد، من الرم وهو البلى والتفتت (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) وفى آية أخرى: «تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام» فهذا هو الحين هنا (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) أى العذاب بعد الثلاث (وهم ينظرون) إليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار (فما استطاعوا من قيام) وهو قوله فى آية أخرى: «فأصبحوا فى دارهم جاثمين» (وما كانوا منتصرين) ممتنعين منه (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان. ثم رجع إلى ذكر آيات الآفاق المذكورة من الأرض والسماء سابقا فقال (والسماء بنيناها بأيد) بقوّة، والأيد القوّة (وانا لموسعون) أى لموسعون مابين السماء والأرض، أو وانا لقادرون، من الوسع وهو الطاقة، والموسع القوىّ على الانفاق (والأرض فرشناها) بسطناها ومهدناها (فنعم الماهدون) نحن (ومن كل شىء) من الحيوان والنبات (خلقنا زوجين) ذكر وأنثى (لعلكم تذكرون) فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه. انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة.

القسم الثالث من السورة

فى تسلية النبىّ صلى الله عليه وسلم، وفى الفرار إلى الله من هذه الدنيا المزدوجة المقاصد، المحفوفة بالمخاطر

قال تعالى (ففرّوا إلى الله) من الشرك، ومن طاعة الشيطان، ومن كل ماسواه (إنى لكم منه نذير مبين، ولاتجعلوا مع الله إلها آخر إنى لكم منه نذير مبين) مبين مايجب أن يحذر منه (كذلك) أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة فى الأمم الخالية (من رسول) يدعوهم إلى الايمان والطاعة (إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أى كان الأولين

والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) جمعهم على هذا القول طغيانهم (فتولّ عنهم) أى أعرض عنهم (فما أنت بملوم) أى لا لوم عليك فقد أدّيت الرسالة وما قصرت ، فلما نزلت هذه الآية حزن النبيّ ﷺ وظنّ أن الوحى انقطع وأن العذاب نازل فنزل (وذكر فانّ الذكرى تنفع المؤمنين) فلما نزلت هذه الآية طابت نفوسهم ، والمعنى عظ بالقرآن فان الذكرى تنفع من علم الله من استعداده أنه يؤمن منهم (وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون) إلا أن آمرهم وأكلفهم : أى ما خلقت الجنّ والانس إلا لأمرتهم أن يوحدونى ويعبدونى ، وهذا تفسير سيدنا علىّ كرّم الله وجهه ، وقراءة ابن عباس : [وما خلقت الجنّ والانس من المؤمنين إلا ليعبدون] . ويصح أن يراد الجميع من حيث انهم مستعدّون بفطرهم للتوحيد ، وانما منعهم عن ذلك الاستعداد ما حصل من الأبوين فانهم يهوّدان المولود وينصرانه ويمجسانه ، فالمقصود على هذا الرأى أنهم خلقوا على الفطرة فلا ينافى أن العوارض أزاحتهم عن فطرهم : أى إلا ليكونوا مستعدّين بفطرهم ، وجعل ذلك غاية للمبالغة فى ذلك (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) ما أريد أن أصرفكم فى تحصيل رزقى ، فاشتغلوا فيما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به ، فلست معكم كالسيد مع عبيده من الآدميين يعملون ليطعمون ، إن الأمر هنا بالعكس فانى أنا أرزقكم (إنّ الله هو الرزّاق) الذى يرزق عباده لا أنهم هم يسعون لرزقه (ذو القوّة المتين) شديد القوّة ، واذا كان شديد القوّة فانه قادر أن يعذب الذين ظلموا (فانّ للذين ظلموا ذنوبا) أى فان للذين ظلموك من أهل مكة نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل نصيب نظائرهم من الأمم السالفة ، وقد كانت السقاة يقتسمون الماء بالدلاء ، والذنوب هو الدلو على شرط الامتلاء بالماء . وقال الزجاج : الذنوب فى اللغة النصيب (فلا يستعجلون) بقولهم : « متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) من يوم القيامة ، أو يوم بدر وأمثاله فى الدنيا . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة ، والحمد لله رب العالمين .

لطائف هذه السورة

(١) فى قوله تعالى : « والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرا ، فالجاريات يسرا ، فالمقسمات أمرا ، إن ماتوعدون لصادق ، وان الدين لواقع . والسماء ذات الحبك » .

(٢) وفى قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى السماء رزقكم وماتوعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون » .

(٣) وفى قوله تعالى : « ففرّوا إلى الله » .

(٤) وفى قوله تعالى : « فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » .

اللطيفة الأولى والثانية

فى هاتين اللطيفتين مبحثان

المبحث الأول علمى ، والمبحث الثانى أدبى .

المبحث العلمي

لقد سبق لك فى [سورة ق] والحجرات أنهما قد جمعتا بين الأخلاق النفسية فى الحجرات ، والعلوم الطبيعية والفلكية فى [سورة ق] وأن لفظ ق قد جىء به فى وسط العلمين كالتذكرة لهما ، وقد بينا أن الأمم الاسلامية اليوم أحوج ما يكون إلى علوم الأنفس والآفاق ، وأن مافى السورتين المذكورتين نموذج لهما

وأن رقيهم لا يكون إلا بها ، وأن أوروبا المحيطة بنا من كل جانب نبغت فيهما ، وأن الله لم يذر وسيلة من وسائل الارشاد للفتنا إلى ذلك إلا جعلها فى هذا القرآن ، لعلمه أننا بعد القرون الطويلة سننام على علم الفقه ونظن أنه كاف فى اسعادنا فى الدنيا والآخرة . كل هذا قد تقدم فى السورتين .

أفلا تنظر معى الآن كيف جعل هذه السورة كالمؤكدة لما تقدم فانه ابتدأها بذكر الرياح التى تذرو التراب وغيره ، وتحمل السحاب ، وتجرى بسهولة ، وتفرّق المطر على الأقطار ، وبأن السماء ذات الحبائك ، وأنواع الوشى والزينة من كل نجم مشرق اللون ، باهر الجمال ، يزينها السماء بزينة باهرة (وقرئ كالبرق والنعم والجبل والسلك والابل والفلل) كل هذا بنحو ذلك المعنى ، كأنه عزّوجل يقول : هاأنا ذا ياعبادى قد أمرتكم أن تنظروا السماء ، وتعتبروا بالأرض فى [سورة ق] فماذا بعد تو بيخكم على التقاعد عن النظر وحثكم بقولى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » فماذا بعد ذلك إلا أن أجعل العجائب الأرضية ، والطرق السماوية ، وأنواع الزينة الكوكبية قسما أقسم به ، وهل بعد إعظام هذه العجائب مقال لقائل ؟ وهل بعد أن يحلف بها خالقكم من محيص عن النظر فيها والتفكر ؟ .

أقول : ياعجبا لأمة الاسلام ، يظنون أن ما يخاطب به الكافر قد نجوا منه ، يظنون أن الايمان الموروث عن الآباء كاف ، وأن توبيخ الكافرين على التقصير فى العلم لا يوجب توبيخ المسلمين فيه ، وكأن المسلم يفهم أن الجهل مغتفر منه متى نطق بالشهادتين ، فقد قال الله تعالى فى حقّ الكافرين : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » ولقد تقدّم فى حديث عبد الله بن زياد مع عمر أنه رضى الله عنه خاف من هذه الآية ، وقال : لوشئت لملأت هذه الرحاب سبائك ورقاقا وصنابا ، ولكنى رأيت الله نعى على قوم فقال : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا » فهاهوذا عمر خاف من هذه الآية مع أنها عملية وقد قيلت فى حق الكفار فما بالك بهذه الآيات التى فى هذه السورة المؤكدة لما قبلها ، قد ذكر الله العجائب الأرضية والعجائب السماوية على طريق القسم وأعاد ذكرهما فقال : « وفى الأرض آيات للموقنين » الى آخر السورة ، ثم ثلث ذكرهما فقال : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » الخ .

هاهوذا الله يذكر السموات والأرض ثلاث مرّات متفرّقات فى هذه السورة عناية بنا ولفت نظر ، وذكر النفس كما ذكر أخلاقها وتطهيرها فى ﴿ سورة الحجرات ﴾ من أدناس الغيبة والسخرية وما أشبه ذلك وفى النفس آيات ثلاث أصليات لها فروع كثيرات ، إن النفس تعقل وتغضب وتشتهى ، فالشهوة بها حياة الأجسام ، والغضب به حفظ النظام ، وبالعقل التدبير والعلم والاحكام ، وكأنما النفس نهر له ثلاثة جداول ، أو قبيلة لها ثلاث بطون ، أو شجرة لها ثلاثة فروع ، أو رجل فهو من جهة حدّاد ، ومن جهة نجار ، ومن جهة كاتب فله أسماء باعتبار صفاته كما نرى التفاحة حمراء ذات رائحة طيبة حلوة ، فهذه ثلاث صفات لشىء واحد ، فالنفس واحدة ولها الحواس الخمس تجلب لها أنواع الألوان والأشكال وأمثالها بالعين ، وأنواع الأصوات بالأذن ، وأنواع المشمومات بالأنف ، وأنواع الطعوم من حلو وحامض ، ومرّ ومنتن ، وحارّ ومالح وما أشبه ذلك بالذوق ، وأنواع الملموسات من ثقل وخفة وحرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وما أشبه ذلك بحاسة اللمس ، فهذه المعلومات التى عدّها علماء المقولات ستا وثلاثين نوعا تستخرج من المحسوسات وتجتمع عند الحس المشترك . وهناك تحفظ فى القوّة المخيلة كما يجفف الناس الطين بالحرارة فتقلب اللبن وتجعله آجرا . كما أن الناس يوقدون على اللبن فيصير آجرا هكذا فى نفوسنا قوّة تحفظ صور المحسوسات وتخزنها فيما يقال له الخزينة ، والحس المشترك يأخذ الصور من الحواس ويسلمها لتلك القوّة فتتصرّف فيها فى اليقظة وفى النوم وحال السكر والجنون ، فتفعل أفعالا غريبة فى الصور وتركيبها بأحوال مختلفات وتركيب عجيبات يعرفها جميع الناس كما نفهم وعلماء

البلاغة والشعراء ومؤلفو الروايات ، ثم ان الناس كما يتخذون الآجر فى البناء هكذا النفس لها قوة تقوم مقام البناء تسمى المفكرة وهى تتصرف فى المعانى المأخوذة من الصور تصرف البناء فى البناء بالاجادة و بضدها ، ثم ان هناك قوة تدرك المعانى الجزئية تسمى الواهمة ، وهناك قوة أخرى تحفظ تلك المعانى تسمى الحافظة فعندنا صورأتت بها الحواس والحس المشترك قبلها والمخيلة خزنتها وتصرفت فيها والمفكرة استخاصت المعانى وخزنتها فى العوالم العلوية الروحية ، والمعانى الجزئية تدركها الواهمة كعداوة الذئب للشاة ، وخزانتها تسمى الحافظة . هذه هى القوى التى فى نفوسنا ، وقد أبدع علماء العصر الحاضر فى أمر النفس وجعلوا أن الدماغ مقسم أقساما كل قسم له جزء مخصوص من العلوم بحيث يكون الدماغ أشبه بمناطق الأرض لكل منطقة مزارع خاصة بها ، فكما لاينبت النخل فى البلاد الباردة ، ولا البندق فى البلاد الحارة ، هكذا لاتكون العلوم الرياضية فى مواضع العلوم الطبيعية فى الدماغ ، ولاتكون مخازن العلوم فى الدماغ مستعدة لقبول علوم اللغات . هذا جزء يسير من عجائب النفس التى ذكرها الله إذ قال : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم » أى آيات ، فهذه بعض آيات الأنفس .

والمتأمل لهذه الآيات يجد فيها عجبا عجابا ! يقول الله : « والسماء ذات الحبك إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك » كأنه يقول : أى عبادى : هاأنا ذا زينت السماء بالنجوم و بطرقها ، وجعلتها حبائك ترونها مزينة لها وأنتم ترون زينتها وحبكها ، وكلما كانت الزينة أكثر عددا وأبدع نظاما كان السرور بها أكثر ، وكانت الحكمة فيها أعظم ، وقد قلت لكم : إن فى هذه السماء ذات الزينة رزقكم وماتوعدون ، فلم لاتوجهون نظركم إليها ؟ ولاتعولون فى بحثكم عليها وعلى الأرض وآفاقها ، وكيف تكون أنواع الزينة والأنوار فى السماء التى هى قبلة الأنظار ، وأنتم تستمدون منها جميع ماتعيشون به ، ثم تكون سيركم مخالفة لنظامها ، فان طرقكم ظلمانية ، وأعمالكم شيطانية ، أفلاتنظرون السماء مشرقة وأنتم مظلمون ، طرقها هداية وطرقكم ذات ضلال ، أحاطت بكم السماء المزينة المرصعة التى فيها رزقكم وفيها الجنة ، فوعزتى وجلالى لاتسكنون هناك إلا اذا كانت أعمالكم مشاكلة لزينة السماء فكيف تكون السماء ذات حبك وأعمالكم ذات ظلمات ، فهل يستوى الأعمى والبصير ، ألم أقل فى القرآن : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة » فأبواب السماء والجنة محال مشرقة بهجة لايدخلها إلامن تربوا تربية تناسب ذلك الجمال ، فكيف تكون السماء ذات حبك وزينة وجمال ونظام ، وأعمالكم ذات ظلمات واختلاف واختلال ، وعزتى وجلالى لأحرمن السماء والجنة على كل من لا يكونون على نسق ذلك الجمال . وقد تقدم فى ﴿ سورة آل عمران ﴾ إيضاح الكلام فى أن الجنة فى السماء المناسب لقوله تعالى هنا « وفى السماء رزقكم وماتوعدون » .

ياعجبا كيف أصبح المسلمون أبعد الناس عن عالم الجمال ، وقد تولوا عن النظر فى السموات والأرض ، اللهم انى أشهدك وأشهد العالم الاسلامى أن أحوال المسلمين اليوم ذات نقص محزنة ، وكيف لاتكون نقصا ونحن الآن نجعل كل همنا نقل أقوال الأئمة رضوان الله عليهم ، ونكتر نقل الخلاف فى علم واحد وأصوله وهوالفقه ، وقد أعرضنا عن الذاريات ذروا الخ وعن السماء ذات الحبك ، وشغلنا أنفسنا بطرق وعلوم تغشى على عقولنا ، فلا ننظر الطرق السماوية ، والعلوم الحكمية ، والبهجة الربانية ، إن للمسلمين طرفا من هذه الآية ، ان بعضهم عن السماء محجوبون ، محجوبون بالتقاليد و بدراسة علم الفقه ، و بقول الشيوخ بأنها تكفى للارتقاء يوم القيامة كأنهم ماقرءوا « والذاريات ذروا » ولاقرءوا « والسماء ذات الحبك » ولاقرءوا « والسماء بنيناها بأيد » .

فلينظر المسلمون فى العلوم ، وليعلموا أن أوان ما أقوله قد أقبل ، وتدهور الاسلام قد أدبر ، وسيظهر فى الاسلام جيل يكون نبراس الأمم فى العلم والحكمة ، والله هو الولىّ الحميد . انتهى المبحث العلمى فى هاتين اللطيفتين . وان أردت سرّ قوله تعالى : « ومن كلّ شىء خلقنا زوجين » فانظره فى أوائل [سورة الأنعام والشعراء] وهكذا تنظر عجائب النبات فى سور كثيرة أقربها [سورة ق] .

المبحث الأدبى

ههنا أخذ الله يقسم بعجائب المخلوقات ، وسيقول : [والطور وكتاب مسطور] الخ والنجم وقوله : « فلا أقسم بمواقع النجوم » فى [سورة الواقعة] وهكذا ، كل هذه ذكرها الله تعالى إعظاما لأمر الأنفس والآفاق ، وتذكيرا للمسلمين أن يتعلموها ، ثم ان العرب لم تكن تعرف القسم بهذا الأسلوب ، وسنوازن فى هذا المقال بين أسلوب العرب وأسلوب القرآن نقلا من كتابى [مذكرات آداب اللغة العربية] الذى ألفته لتلاميذ المدرسة الخديوية ، فهاك ماجاء فيه تحت العنوان الآتى : وهذا نصه .

أقسام العرب وأقسام القرآن

جرت عادة العرب أن يقسموا بلفظ أقسم كقوله :

فأقسم أن لو التقينا وأنتم ✲ لكان لكم يوم من الشرّ مظلم

وبلفظ يمين كقوله :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ✲ ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وبلفظ العمر كقوله :

لعمرك ماأدرى وانى لأوجل ✲ على أينا تعدو المنية أوّل

وبلفظ يمينا قال زهير :

يمينا لنعم السيدان وجدتما ✲ على كل حال من سحيل ومبرم

ومن عجب مانرى من أقسام القرآن فنراه يقسم بما لم يقله عربى قط . قال : أقسم بالشفق ، والليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق . يقول أحلف بما ترون من ذلك النور المتوسط فلا هو غاية فى الاضاءة ، ولاهو حالك الظلام أرسلته الشمس بعد مغيبها ، وعكسته على السحب العاكفة فى جهات المغارب المسماة بالشفق ، وبالليل وما جمع من كل مخلوق نائم ومتحرك وساكن ، وبالقمر اذا تمّ ضوؤه وتكامل نوره ، وبالجملة . يقول أقسم بأحوال الليل من أنواع الأنوار المختلفة ، وما أجنّ الليل من مخلوق فى الأرض . إنكم معاشر الانس ستنتقلون من حال الى حال من هذه الحياة بالرقىّ فى المدنية ، أو أن تخلف دولة دولة ، وبالانتقال من الحياة إلى البرزخ ، إلى جنة أو إلى نار كما يكون الليل بألوانه الثلاثة على الأجسام وكأن القسم جاء تمهيدا للقضية المقسم بها وتشبيها لها وتنظيرا أو كشبه العلة لشبه المعلول فحركات الأفلاك تحدث الأنوار والظلمات وتحيط بالمخلوقات ، ومنها الانسان الذى قضى عليه بالتنقل فى الدنيا من حال الى حال تبعا لحركات الاجرام السماوية بتقدير العزيز العليم الذى دبر الحريف ، والربيع ، والشتاء ، والصيف والدهور والعصور ، واختلفت الدول والممالك باختلاف الأحوال العلوية ، والحركات الفلكية : ثم يأتى بعد ذلك يوم الدين ، وحشر العالمين : فما فى جنة وإما فى جحيم .

وقال : أقسم بالليل إذ يغطى كل شىء ، وبالنهار اذا ظهر ، وبخلق الله الذكر والأنثى من انسان وحيوان

ونبات بالتزاوج والالقاح . ان أعمالكم مختلفات فأما من جاد بالمال واتقى عذاب ربه وصدّق بالحسنى فله اليسر يوم القيامة ، وأما من بخل بالمال وأعرض عن الله وكذب بالدين فسيكون فى عسر .

أقسم باختلاف الليل والنهار والذكور والأناث وجعله كالدليل على اختلاف مساعينا فى حياتنا وثمراتها بعد موتنا قال : « والليل إذا يغشى والنهار اذا تجلى وماخلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » وقال : « أقسم بما تبصرون ومالاتبصرون . إنه لقول رسول كريم ذى قوّة عندالعرش مكين » فى هذا اقسام بكل ماذرأ الله مما يحس بالحواس من الجواهر والعناصر والمعادن والنبات والحيوان والأفلاك والأنوار وكل مالا يبصر من القوى والعقول والنفوس والأرواح وما فوق ذلك من ملائكته ، والمقسم به أن القرآن كلام نزل به رسول كريم على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والرسول هو جبريل عليه السلام يقول فى القسم : ان المخلوقات قسمان : محسوسات ، ومعقولات ، وجبريل من آخر القسمين أفلا تؤمنون ، وليس من قول شاعر ولا كاهن مما ترون « وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين » .

وقال : « والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل اذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر » أقسم بالفجر ، وبالليالى العشر ، الأولى من الشهور العربية لازدواج ظلامها بضيائها كما أن الفجر نوره مزدوج بظلامه ، وأقسم بالأعداد كلها أزواجها وأفرادها ، وماحوت من أسرار الارتماطيقى ، والحواص المدهشة العجيبة ، وبالليل إذا يسر مقبلا ومدبرا ، ان هذا القسم عجيب لم يسمعه العرب . ثم قال : « هل فى ذلك قسم لذى حجر » ثم أتبعه بقوله : « ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد » الخ كأن المقسم به محذوف تقديره . ان الكافرين لامحالة هالكون : لأنا أنذا لهم فجر الحكمة ، ومبادئ العلم كأنها أوائل الشهر ، فان هلال الحكمة يبتدئ ضئيلا ، ثم يتسق ويمتلئ ، وحسبما أعمالهم شفعا ووترا ، ولم يؤمنوا ، فسنعذبهم مرتين : فى الدنيا بالخزى ، وفى الآخرة بالنار كما فعلنا بعاد وثمود وفرعون : « ألم تركيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصبّ عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد » .

إنذار من الله للأمم التى أضاء لها نور العلم فأشرقت على وجوههم الحكمة ان هم لم يقتبسوها ، ولم ينتفعوا بها أهلكهم كما أهلك الأمم البائدة كما حصل لأهل أمريكا الحمر الأصليين ، وكما فعل بمسلمى الأندلس إذ أراهم اتحاد الاسبان ، والاتحاد نور من الله فلم يتحدوا « فصب عليهم ربك سوط عذاب » وهكذا كل أمة ودولة أنذرها علماؤها ، وعلمها حكماؤها ، فجاهلت الانذار ، وتعاضت عن الحكمة . ساء مصيرها ، وقطع دابرهم كدولة الرومان إذ عصوا حكماءهم فى أواخر عهدهم ، وإدبار سعدهم فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وتكأكأت عليهم الأمم المتوحشة . فورثوا أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وعلومهم وقوانينهم . ان فى الفجر وليالى الشهر الأولى أضواء ضئيلة ستؤول للكمال باشراق الشمس وبتمام الدور من عطل اتمام نور فجر الحرية ، والحكمة ، وهلال العلم ، والمعرفة ماء ظلام حالك ، وأضحى من الهالكين وهذا بطريق الاشارة والمفهوم بشارة الى الأمم التى طبرت فيها مبادئ الحكمة وأوائل الحرية انها ستنال قسطها من الحكمة ، وحظها من الحرية . إذا هى سعت لاتمام الأنوار ، ولم تقف فى سبيل العلم كما يصير الفجر نهارا ، والهلال بدرا كاملا . انتهى ماأردته من كتابى مذكرات آداب اللغة العربية .

اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى : فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون

آخر هذه السورة مناسب لأوّلها ، وأوّلها مناسب لآخر السورة قبلها ، وآخر هـذه السورة يناسب أوّل سورة الطور الآتية بعد هذه ، لأنه أقسم أن عذاب ربك واقع وهو مذكور هنا فى قوله : « وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون » . اهـ

اللطائف العامة فى هذه السورة [1]

(١) اللطيفة الأولى فى قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين » .

(٢) اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وما بعـدها من الآيات ، وهاتان اللطيفتان فى الآيات التى أوّلها « إن المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفى أموالهم حقّ للسائل والمحروم ، وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى السماء رزقكم وما توعـدون ، فوربّ السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون » .

(٣) اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ،

اللطيفة الأولى

فى قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى السماء رزقكم وما توعدون »

هذه آيات ثلاث متلاصقات ، متتابعات ، متصلات ، معطوفات ، وآخرها ذكر فيها الرزق ، فهنا علاقة بين عجائب الأرض وطبائع نفوسنا ورزقنا الذى مصدره السماء فى هذه الدنيا والجنة التى وعدنا بها وهى فى السماء أيضا . نبات الأرض وحيوانها وجمادها ونفوسنا وأضواء الكواكب والشمس وأرزاقنا ، ثم الجنة التى وعدنا بها ، كل هذه بينها اتصال .

محاورات بينى و بين صديقى العالم الذى اعتاد محادثتى فى هذا التفسير

اطلع على ما كتبته الآن وهو هـذا العنوان ، فقال : هذا عنوان ضخم ، وماذا أنت قائل الآن ؟ نعم العلاقة بين هـذه العوالم معقولة ، ولـكن ما لرزقنا وما للجنة ! فقلت : سأوضح هذا المقام ها حقّ الايضاح بعد ما أوضحته فى مواضع كثيرة بطرق مختلفة ، إن للأعدية المستخرجة من الأرض تأثيرا على نفوسنا فى أخلاقنا وعاداتنا وأحوالنا وصحتنا ومرضنا ، ثم ان أحوال نفوسنا وأخلاقها يتبعها نتيجتها وهو ارتقاء النفوس وصفاؤها فتكون الجنة فى الآخرة ، أو انحطاطها وانحطاطها وسوء فعلها فتكون جهنم ، فان زعم الناس أن علم الأخلاق يكفى وحده لتهذيب النفوس ، أو العلوم الدينية ، فقد جهلوا جهلا بينا . فالصحة من أهمّ عوامل السعادة فى الدنيا والآخرة ، وهناك هناك يمكن التحلى بمكارم الأخلاق بواسطة الدين ، أو بواسطة التهذيب والتربية والنصائح الدينية ونحو ذلك ، وأيضا المعارف والعلوم التى تورث اليقين المذكور فى هذه الآية لن تكون

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ، ولم يفتح الله بها إلا عند تقديم هذه السورة للطبع المؤلف

إلا لصحيح الجسم ، فاذا انحرف الجسم انحرف العقل فلا علم ولا يقين : « وفى الأرض آيات للموقنين » لا يتم للانسان ذلك إلا بالصحة ، والصحة تتوقف على جودة الغذاء أى موافقته للبنية ، والنبات متوقف على الأضواء ، والأضواء آتية من السماء كما أن نفوسنا كذلك ، هذه هى المناسبات .

فقال : الآن أرجو أن تذكرلى كلاما عاما فى هذه الأنفس الانسانية ينحو نحو الصحة والمرض ، فان ازدواج هذه الآيات وتتابعها يدعو إلى ذلك . فقلت : لقد تقدم الكلام على ذلك فى [سورة الفتح] فانى ذكرت نظام الجسم الانسانى هناك من حيث انه أشبه بمدينة حصينة والأعداء يحيطون بها من كل جانب لمناسبة قوله تعالى : « ولله جنود السموات والأرض » فها أناذا ألخصه هنا لك ، ثم أتبعه بما يناسب المقام هنا من حيث علاقة أجسامنا بما حولنا من عوالم الأرض والسماء ، وقصرت الكلام على أجسامنا لأنه المناسب لهذا المقام ، ولم أرد الخوض فى علم النفس ، [فهنا فصلان : الفصل الأول] فى ملخص ماتقدم فى [سورة الفتح] عند آية : « ولله جنود السموات والأرض » [الفصل الثانى] فى علاقة أجسامنا بعوالم السموات والأرض ومايتبع ذلك من طول العمر وقصره ، والصحة والمرض ، ليكون المسلمون بعدنا أصح أجساما ، وأصفى عقولا ، وأجل نفوسا ، وأرقى اجتماعا ، وأصح مدنية ، لأنهم سيفهمون مانكتبه ، وسيعملون به ، ويرونه من أسرار القرآن المحجوبة التى ظهرت فى زماننا ، ويعلمون أن الله هو الذى علمهم ذلك بواسطة عباده فى الشرق والغرب ، وأن هذا التعليم مصداق لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » ولقوله « سأريكم آياتى فلا تستعجلون » وانما قال « فلا تستعجلون » لأن لكل عمل وقتا يكون فيه ، والأمم قبلنا لم تكن مستعدة لهذه العلوم ، فأما فى زماننا فالأمم مستعدة للفهم ومنها أمة الاسلام ، فأما كاتب هذه الأسطر الآن فأحس فى نفسى بمسرة لأنه وقر فيها أن هذا كائن لامحالة وحاصل فى زماننا هذا أثناء قراءة هذا الكتاب ، وبعد انتقالى من هذه الدار وأنا مغتبط منشرح الصدر بما أعلم من سعادة أمتنا الاسلامية وصحة أبدانها ، وعزتها القومية ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

الفصل الأول فى ملخص ماتقدم فى سورة الفتح

المناسب لآية : « وفى السماء رزقكم وماتوعدون »

ذلك أن الجسم الانسانى ان هو إلا مدينة محصنة منيعة الجوانب ، وفى داخلها أمم وأمم ، وهل حصنها إلا الجلد ، وحول هذا الحصن آلاف آلاف من الأعداء التى تتربص دخول هذه المدينة العظيمة ، وليس لهؤلاء من مقصد إلا أن يعشش من الأقوات المدخرة فيه التى خزنها الانسان فى أنحاء ، فهى دائما تحاول دخوله ، ولكن الجلد يمنعها ويصدها ، وهل هؤلاء الأعداء اللاتى تعد بالملايين إلا الميكروبات ولاتجد لها طريقا إلا من الفم فتدخل مع الطعام والشراب ، فاذا وصلت إلى المعدة وجدت هناك حصنا منيعا وقوة دافعة وهى السوائل المطهرة القاتلة لتلك الميكروبات ، فاذا كانت المعدة سريعة هضم الطعام بحيث ينزلق بسهولة إلى الأمعاء . هنالك لاتموت تلك الميكروبات ولكنها تموت فى نفس الأمعاء ، لأن الأمعاء خالية من الاكسوجين ، والاكسوجين ضرورى لحياة تلك الميكروبات المهلكة فتموت ويساعد على موتها ما أنعم الله به على الانسان فى الامعاء من الميكروبات الصالحة النافعة التى تعيش هناك عيشة هادئة نافعة فانها تساعد على هضم الطعام .

الله أكبر : هما حصن الجلد وحصن عصير المعدة ، والحصن الأخير هو حصن الامعاء ، هذا اذا دخلت الأعداء من باب المدينة وهو الفم ولم يتعد ماذكرناه ، ولكن الضر كل الضر والأذى كل الأذى أن يدخل

الاعداء من نفس السور وهو الجلد أو يتكاثرون على أى وجه كان ، فهنالك تعمّ البلوى ويعظم الخطب ، ولكن العناية الإلهية قد أعدّت لحياة الانسان كل وقاية ونعمة ، وذلك أن أولئك الأعداء متى تكاثروا فى الداخل أسرعت الجنود (وهى الكرات البيضاء) فأخذت تصطف صفوفا وراءها صفوف حتى تبنى حول أولئك الأعداء حصنا منيعا ، وهناك تكون المجزرة ويحمى وطيس الحرب ، ويشتدّ الكرب ، ويعظم الخطب وتشمر الحرب عن ساقها ، وتجندل الأبطال فى ساحات الوغى ، وكل يقول : يارب سلم سلم ، حتى اذا وقعت الواقعة ، وسقط من الجنود فى ساحات القتال ألوف وألوف ومن الميكروبات كذلك ، وأخذت الجنود المدافعة تذيب تلك الخلايا التى هجمت عليها الأعداء ، فهالك يكون الدمل أو الحرّاج أونحوهما .

سبحانك يارب : ما أبدع صنعك : كنا نحسب الدماميل ونحوها أمراضا مؤلمة ، وماهى بأمراض ، إن هى إلا أودية هى ساحات القتال التى اشتعلت فيها نارالحرب بين جنود وجنود .

الله أكبر : حاصرت جنودنا الداخلة فى أجسامنا جنود الأعداء الداخلة فيها لتقصيرنا وجهلنا ولرداءة أغذيتنا ، ولاسرافنا فى طعامنا وشرابنا ، فاذا حاصرت جيوشنا المحاربة جيوش الأعداء ارتفعت الحرارة لكثرة القتلى من الجانبين فيكون الدمل . الله أكبر : الدمل ساحة للحرب وقلعة للقتال والقتال لبقاء حياتنا .

الله أكبر : صدق الله : « إن كل نفس لما عليها حافظ » . « وربك على كل شىء حفيظ » . « قتل الانسان ما أكفره » .

إن جهلنا بالأغذية وبالظاهة وبالرياضة هوالذى ساق لنا هذه الجيوش الجرّارة التى تتغلب عليها جيوشنا وهى الكرات البيضاء فتجعلها داخل هذه القلعة الحصينة ثم تهلكها ويكون ماتقدم من القيح ، وهذا القيح يخرج من الجلد الذى ترققه جنود الجسم بأكلها إياه ليفتح فتخرج رمم الأموات وهو الصديد ، ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تقذف رمم الأعداء خارج الجسم ، ولكن المسألة اذا وقفت عند الأورام والبثور والدماميل كان ذلك خيرا ، وانما الأمر فوق ذلك ، فان هذه الجيوش قد تتغلغل فى الجسم وتدخل فيه أفواجا وهم من كل حدب ينسلون ، ولكن العناية الالهية قد أعدّت لهذا الحادث عدّته فأمدّت الجسم بالعدد اللمفاوية التى تقدّم شرحها فى هذا التفسير ورسمها بالتصوير الشمسى ، وهذه هى القلعة الثالثة بعد الجلد و بعد قلاع الدماميل ونحوها ، ومعلوم مما تقدّم فى التفسير أيضا أن العدد اللمفاوية تربى فيها مخلوقات حية تتوارد بكثره وتتجه الى محل الحوادث الطارئة من تكاثر العدوّ الخارجى .

اللهم انك أنت الحكيم وأنت المعلم ، هل كان يدور بخلد أحد من الأرض قبل الآن أن الانسان اذا جرح فى أصبعه ودخلت من ذلك الجرح ميكروبات لاعدد لها ، وها انك نرى ورما تحت الابط .

أقول : هل كان يدور بخلد أحد أن ذلك الورم الذى تحت الابط إن هو إلا تكتلات لجنود الدفاع ورباط عسكرى ومقام تقوم فيه الجيوش لتسرع إلى محل الجرح لتحارب الجيوش الجرارة المظمة .

سبحانك اللهم وبحمدك : جلّ وجهك ، وعزّ جاهك ، ولا إله إلا أنت . ولقد قلنا فى بعض أجزاء هذا هذا التفسير ان [الماء] يساعد على نموّها أكل الزيت ، فلزيت إذن غذاء الجنود المحوقين فى [الماء] والجنود تطرد الميكروب ، ولها تكتلات تحتفى عند الحاجة نسميها ورما . وأخرى نسميها حراجا ونحوه ، وتاره يشتدّ المرض ، ويعظم الخطب ، فتحصل الحمى .

اللهم أنت الحكيم أحكمت صنعك ، فماهى الحمى ؟ هى من هذا القبيل ، هى نعمة . هى مصلحة . هى نعمة ، وان الجسم اذا لم يكن مترعا فى نفسه من الأمر حدوثه ملائما له فى سير التدابير يصلحه . وكذلك الدخنة بالكبريت ، أو بالهواء الساخن ، أو بالحرارة الساخنة ، أو حرارة المسعة ، كل ذلك علاج له يرجع له

التوازن ، لأن ذلك كله يرفع درجة حرارته درجة من الدرجات المئوية ، أو أكثر من درجته فيحترق الدم ، وهذا الاحتراق يوجب ذلك الاتزان ، فاذا قصر الانسان فى ذلك أوجهله فلم يصنعه فان الحمى هى التى تفعل ذلك فان ارتفاع الحرارة بها يوجب احتراق الدم الذى يكون به ذلك الاتزان ، فاحتراق الدم فى الحمى وغيرها يكون بتلك المواد المخزونة فى الجسم والأخلاط المتراكمة ، إن الاستحمام بالشمس ومباشرتها للجسم يفعل ذلك فيجب المبادرة إلى ذلك والاكثار منه ، ومثل ذلك كثرة التمرينات العضلية ، أو المشى ، أوكلاهما .

فقال صاحبى : عجب والله ! إذن الحمى والدمامل والأورام والقروح ليست أمراضا ؟ قلت . كلا . فقال : ههنا ظهر الحق ، انا أريد أن أقول لك الحق ، أنا كنت فيما مضى أسمعك تقول : ان المصائب ان هى إلا نعم واقرأ كثيرا مما تقدم ، ومع ذلك كنت غير موقن بها ، نعم عندى تصديق ولكن البراهين فى هذا المقال واضحة ، إن العلم اليوم وضح وظهر ، انه اليوم يقين .

يقول الله : « إنا كل شىء خلقناه بقدر » ويقول المسلم فى صيغة اسلامه مانصه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعاهده على الاسلام وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله .

هذه الجملة يقولها المسلمون كلهم وهى فى القرآن ، يقول الله : « قل كل من عند الله » واذا كان الأمر كذلك فالله من عنده الخير والشر ، واللغة العربية لا تقول ان الحمد يكون على الشر ، بل يقولون ان الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم ، إذن الشرور لاحمد عليها لأنها ليست جميلا بل هى قبيحة ، والنبوة تحثنا على الحمد على الخير والشر والله يقول : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » ويقول المسلم فى صلاته : « فلك الحمد على ماقضيت » والقضاء جاء بالشر و بالخير ، فأحد شقى القضاء لايحمد عليه ، وهذه عقدة العقد ولغز الوجود ، فهنا أخذت هذه العقدة تنحل ، وألفينا الدمل والخراج والأورام والحمى كلها منقذات لامهلكات ، واذا كانت هذه من نوع الشرور فيما يظهرلنا وقد ظهر أنها خيرات فالحمد عليها حتم ، إذن صدق الله وصدق رسوله فلك الحمد على ما قضيت ، لأنك اذا قضيت بما يؤلمنا فقد جعلته لمسرتنا وسعادتنا ، فهكذا موتنا وويلاتنا فى الحياة الدنيا كلها نعم لانقم ، هنالك قلت . له : الحمد لله الذى ألهمنا الحكمة وعلمنا الصواب وبهذا انتهى الفصل الأول فى تلخيص ما تقدم فى ﴿ سورة الفتح ﴾ مع زيادة عليه من نفس الكتاب السنوى الثانى للمجمع المصرى للثقافة العلمية .

الفصل الثانى فى علاقة أجسامنا بعوالم السموات والأرض

وما يتبع ذلك من طول العمر وقصره ، والصحة والمرض الخ

ولأذكر لك ملخصا مما ألقاه مواطننا الدكتور [محمد شاهين باشا] وكيل الداخلية للشؤون الصحية عند طبع هذا الكتاب فى سنة ١٩٣١ فى المجمع المصرى للثقافة العلمية فى سنته الثانية ، وهذه من نعم الله عزوجل علينا فى هذا الزمان الذى ظهرت فيه بعض الحقائق ، وظهرلنا أن هذه النفوس الانسانية قد ظلمها الناس فذلت بسبب الجهل بمقدار ماتتناوله من أرزاق السموات والأرض التى أنعم الله علينا بها ، إن محاضرته ألقاها فى ثمانية فصول :

(١) فى التعمير وأسبابه .

(٢) وفى هضبة الحياة والعوامل التى تعمل فيها ، والمراد بهضبة الحياة زمن الشباب و بعض مابعده .

(٣) وفى منحدر الحياة : أى فى آخر الكهولة وزمن الشيخوخة .

(٤) وفى أسباب الشيخوخة والموت .

(٥) ومنذرات الشيخوخة .
(٦) ثم الغدد التناسلية .
(٧) وتجديد الشباب .
(٨) ووسائل التجديد وإطالة العمر الخ .

وهـذه الفصول الثمانية ليست تهمنا كلها لأننا فى تفسير هذه الآيات ، فليكن كلامنا حول محورها ، لأن الفصول الأولى فيها مباحث خاصة فى أمر الغذاء والشمس ، وهذه هى آيات السموات والأرض المحيطة بالجسم فنستفيد [فائدتين : الأولى] التفكر فى هذه العجائب النافعة لأجسامنا [الثانى] نفس الانتفاع بها فى حياتنا الدنيا ، فيكون قوله تعالى : « أفلا تبصرون » راجع للعلم وللعمل معا ، لأننا اذا أبصرنا آيات الله بعقولنا فذلك لا يتمّ إلا اذا كانت أجسامنا سليمة معافاة ، وهذان الأمران فى هذا المقام :

(١) أوّلا : قد جاء فى هذه الخطبة أن الأطباء فى العالم الانسانى شرحوا جثث الشيوخ الذين ماتوا فاتضح لهم أن النادر منهم مات بسبب الشيخوخة ، وجمهورهم هم الذين ماتوا بأمراض كانت هى السبب المباشر لموتهم ، فعرفوا من ذلك أن هذا النوع الانسانى جاهل بالغذاء جدّ جاهل ، والحيوان أقرب منه إلى حفظ صحته بتعاطى ما ينفعه وترك ما يضرّه .

(٢) ثانيا : ان الجسم البشرى يتمّ نموّه فى سن (١٨) والسبب فى ذلك أن الجهاز العصبى معقد كل التعقيد فيطول زمان نموّه فيعوق الجسم حتى يبلغ ١٨ وهناك يتمّ النموّ ، هذا قوله [وقد تقدم أن نموّ الانسان لا يتمّ إلا فى (٢٥) سنة ، فهذان رأيان ، وانما نقلت لك الرأى الثانى لأنه تقدم فى هذا التفسير ، فربما تظنّ أن هذا خطأ فى النقل ولكن لا خطأ هما رأيان والرأى الذى يقول انه (١٨) سنة لم أعرفه إلا فى هذا المقام ، يقول : ولولا تعقد الجهاز العصبى لكان الانسان يتمّ نموّه فى ٤ سنين ، ثم يموت فى سن (٢٠) . هذا قوله ، وأقول : وقد قرأنا فى الجرائد قريبا أن صبيا بلغ (٤) سنين فى تركيا فطلب أن يتزوّج ، فهذا هو الذى عاش بجهاز عصبى أشبه بجهاز البهائم فتمّ نموّه فى ٤ سنين . ثم قال : إن الانسان يجب أن يكون سن الكهولة له من (٧٠) إلى (٨٠) سنة وهنالك تبتدئ الشيخوخة وتنتهى فى سن (١٢٠) . يقول : وهذه السن أى سن (١٢٠) لا يصل لها من الناس فى زماننا إلا القليل ، وأبان أن الناس فى زمننا تبتدئ أجسامهم فى الضعف من سن (٥٠) وأخذ يذكر السبب فى ذلك فقال فى صفحة ٥٠ وما بعدها من كتاب [المجمع المصرى] للثقافة العلمية ما نصه :

« يتنازع الانسان فى سياحته الأرضية قوّتان : القوّة الحيوانية ، والقوّة النفسانية ، وللقوّة الأولى أكبر غلبة عليه فى الشطر الأوّل من عمره ، وهو شطر القوّة والشباب وبدء دور الكهولة ، ثم يأخذ فى التغلب عليها تدريجيا كلما تقدّم فى السن حتى يفوز عليها عند بلوغه الستين من عمره ، هذا ما وصل الانسان إلى هذا الدور ، دور الرزانة والاتزان . وتغلب بما كسبه من صروف الدهر وتجاربه على ما كان يتنازعه من متزاحم الأمانى والأحلام نضج عقله وأخذ يتفرّغ إلى الاشتغال بالأعمال المجدية بحسب ما وهب من ملكة واستعداد ولكن المشاهد أن الانسان عند ما يبلغ الستين تفتر همته ، وتخمد جذوة نشاطه ، مع أن هذه السن هى سن النضج والانتاج العقلى ، وسبب ذلك الافراط فى مختلف الشهوات فى الأدوار الأولى من الحياة ، والاهمال فى اتباع شتى القواعد الصحية ، ولذلك قلّ من يحتفظ بشىء من قوّة جسمه بعد سن الستين ، والغلبة العظمى تعمل على عدم بقائها ، وتدفع بنفسها إلى الشيخوخة بما تبثه وتمضى إلى تقصير الأجل ، وتقريب يوم

الرحيل من هذه الدنيا التي يرى الانسان على الدوام جدّ حريص على إطالة بقائه فيها بكل الوسائل الممكنة فيتخلف عن هذا التفريط الكثير من الأمراض التي يقع فريستها ، ويمتنع عليه الشفاء منها ، مع أنه بمجهود قليل يبذله الانسان في سبيل العناية بصحته والاحتفاظ بجسمه يحيا معافى سليما ، وهذا المجهود ليس شيئا مذكورا في جانب الجهود الكبيرة التي يضطر لبذلها في التماس الشفاء من هذه الأمراض ، وهذه قد يشفى بعضها وقد يستعصي البعض الآخر على العلاج مع أن النجاة من هذه الأمراض لا يكلفه سوى العناية باتباع أوّليات علم الصحة في معيشته . ولقد كان الانسان منذ القدم شديد الحرص على الاستدفاء والاكتنان ، واجتناب البرد والهواء ، وفي سبيل حصوله على أوفر قسط من الدفء ، كان يعلق منافذ مسكنه ، ويكثر من التدثر والغطاء هربا مما رسخ في اعتقاده من مضارّ الهواء ، وقد درج على ذلك أجيالا عديدة ، ولم يتمكن علماء الصحة من رحزحته عن هذا الظن الخاطئ إلا من عهد قريب ، إذ نجحوا في إقناعه بمضار الاكتنان في المساكن المعلقة و بفوائد المعيشة في الهواء الطلق الخالص من الفساد والأدران كما يعيش الحيوان الذي ألهمته غريزته بأن الهواء من ضروريات الحياة . ويشتغل علماء الصحة الآن بمحاربة عادة ذميمة أخرى في الانسان هي أشدّ ضررا بصحته من الانحباس في المساكن المعلقة وهي عادة الافراط في الغذاء ، لأن الانسان قد تعوّد (بحكم تغلب الحيوانية عليه) أن يرخي لنفسه العنان في التلذذ بما تصل إليه يده من شهيّ الأطعمة والمأكولات فيتناول منها دائما أكثر من القدر الذي يستطيع جهاز الهضم أن يمثله ويستخلص منها لتجديد قوى جسمه ، ومما يؤسف له أن جهل الانسان بأصول التغذية الصحيحة فاش بين جميع الناس على اختلاف طبقاتهم والافراط في الغذاء هو منشأ كثير من أمراض الجهاز الهضمي التي تكون عالما مستعصية الشفاء وتودي بحياة الانسان قبل الأوان ، وقد جاء في الأحاديث الشريفة : « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء » .

ويبدأ في عصرنا هذا أن يدبّ الوهن إلى جسم الانسان بعد بلوغه سن الثلاثين ، ومتى وصل إلى سن الخمسين تبدأ حاله جسمه في التردّد بين القوّة والضعف ، ويمكن الاستدلال بكل سهولة على شذوذ حالته بما يشاهد من ضخامة بطنه ، وقد اعتاد الناس أن ينظروا إلى السمن بعد سن الأربعين كأنه أمر طبيعيّ ، ولا يهتمّ الواحد منهم بأن يزيد وزن جسمه في هذه السن خمسة كيلوجرامات أو سبعة وهو لا يعلم أن زيادة وزن الجسم في هذه السن هي من الامور الضارّة به ، وأن حصول الجسم على هذه الزيادة إنما هو دليل على أن أجهزته قد كلفت ما هو فوق طاقتها وخصوصا الجهاز الهضمي ، ولذلك فلا يستغرب إذا ضعفت هذه الأجهزة قبل الأوان . ومع أن المادّة الشحمية التي يزدردها الجسم فوق حاجته تختزن في الأنسجة التي تحت الجلد إلا أن الثابت أن بعضها يتسرّب إلى بعض الأعضاء الرئيسية والأعضاء الرئيسية والأعضاء المجاورة لها فيزداد وزنها ، وبعد ذلك تقلّ كفايتها الأدية وظائفها ، ويمكن أن نضرب للأذهان إدراك مقدار ما يحدثه السمن من الضرر بالجسم بذكر ما يشأ من ضرر لأحد خيول السباق إذا زيد ثمن رطلين مثلا فإنه عسى أن يكون تأثير زيادة سبعة كيلوجرامات في أنسجة جسم انسان في سن الخمسين ، فان هذه الزيادة قد تحول دون وصول هذا الانسان إلى ما بعد السبعين ، وليس من الشكّ في أنه من أخصّ الأسباب التي تحمل وفاة الانسان هي إصابة أعضائه الشاغلة [illegible] الجسم وأخصها [illegible] الجسم وزنه ، ولذلك فإن الخطر الذي يتهدد الانسان في العداء هي أن يزيد وزن جسمه [illegible] قبل الأوان

ولا يفوتنا أن نذكر أن الذين لا يمرنون أنفسهم [illegible] في العداء ، وتتشحم أجسامهم وأعضاؤهم [illegible] يصابون [illegible] بالاحتباس

وبالاختصار فان المفرطين فى الأكل يحملون أجسامهم أعباء ثقيلة ويسوقونها نحو التلف والدمار ، ويتبين من ذلك بأجلى وضوح أن الاعتدال فى الغذاء هو الطريق الأكيد المؤدّى إلى التعمير الطويل ، وقد يتساءل البعض عن مدى هذا الاعتدال والجواب عن ذلك هو أنه يجب على الانسان أن يوازن بين مقدار ما يكسبه جسمه بواسطة الغذاء ، ومقدار ما يفقده بالحركة والعمل ، ويشمل هذا الواجب عناية الانسان بنوع ما يتناوله من الغذاء ومقداره ، ولو أننا وازنا بين تغذى الانسان وتغذى الحيوان لاتضح لنا أن الطريقة التى يسير عليها الانسان فى غذائه انما هى طريقة خاطئة ، وبما أن الانسان لايختلف تركيب جسمه فى شىء عن الحيوان والحيوان لايتغذى إلا بالموادّ الطازجة فكذلك الانسان فى حاجة قصوى إلى هذا النوع من الغذاء .

انظر إلى اللحم ، مع انه أهمّ غذاء يحصل منه الانسان على المواد البروتينية وعلى الفيتامين لدرجة مّا إلا انه يفقد ما به من الفيتامين بالطبخ ، وكذلك الخضر ، ونذكر بهذه المناسبة ذلك الخطأ الشائع بين معظم الناس : وهو انهم يخصون الحيوان بقصد أن يزيدوا من مقدار لحمه وشحمه ، وهذا خطأ فاحش لأن هذا الحيوان وان ازداد سمنه بالحصى فان اللحم تقلّ قيمته الغذائية ، ويصير أقلّ تغذية من لحوم الأسماك والطيور .

والسكر هو من الأغذية التى تؤدى الانسان اذا أفرط فيها لأن الخمائر التى تؤثر فى السكر وتمثله فى الجسم محدودة المقدار ، فاذا تناول مقدارا من السكر أكثر من مقدار الخمائر التى تؤثر فى تمثيله كانت نتيجة هذا الاكثار أن يصاب الانسان بعسر الهضم ، واذا أحد فى قوام سوائل مركزة فانه يسبب تهيجا فى المعدة ويجعلها تكثر من افراز الموادّ الحامضية ، وقد ينشأ عنه نوع من البول السكرى الذى ربما انقلب إلى بول سكرى مستديم وهذا من أسباب قصر العمر بلا نزاع ، من ذلك يرى انه يجب على الانسان أن يعود إلى الغذاء الطبيعى وهو المركب من الموادّ غير المطبوخة .

ولا بدّ لنا هنا من التكلم عن الأملاح التى هى من مقوّمات الجسم ، واذا كان دم الانسان لايختلف فى تركيبه عن تركيب ماء البحر ، ويشتمل على الكاربات والموادّ العضوية السابحة فيه ، فمن المحتم تجديد أملاح الجسم من وقت لآخر ، لأن سائلها يعمر جميع الأنسجة . فأملاح الحديد واليود والمغنسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والحديد ليست ضرورية فقط لحفظ الصحة بل هى ضرورية أيضا لحفظ الحياة وهى لاتوجد بمقدار واف فى غذائنا المطبوخ . واليود مثلا نحصل عليه من المحيطات عند أكله من أسماكها ونحصل عليه فى ملح الطعام ، ولكن مما يدعو إلى الأسف أن الانسان بجهله يترع اليود من ملح الطعام بتكريره وتقديمه للطعام باسم ملح المائدة ، ونحصل على الكلسيوم من اللبن والخضر وبعض الفواكه ، وعلى الفوسفور من اللبن والبيض وبعض الحبوب كما نحصل على اليود أيضا من الخضر وزيت كبد الحوت . ونحصل على القلويات من الخضر والفواكه . وكل خضر تكثر بها الأملاح يكون الفيتامين موجودا فيها بكمية وافرة ، ويمكننا أن نعتبر أن الموادّ الغذائية المستمرئة للجسم هى نوع من أنواع السموم ، وما دام الانسان مستمرا على التغذى بها فلاشك أنه سيبقى فريسة هذه السموم التى تهدم كيانه وتحول بينه وبين البقاء فى هذه الحياة مدة أطول مما كان من حقه أن يقضيها فيها .

ورجوب تخلص الجسم من فضلات الغذاء [illegible] من أخطر [illegible] من الخطر الناشئ عن كسل الأمعاء فى [illegible] على القولون ، لأن هذا التعبير عند [illegible] يحصل الذى يحدث فى جسم المطعون [illegible]

ويمكننا أن نجزم أيضا بأن الكسل الذى يصيب الامعاء ينجم غالبا عن السموم التى تحملها الموادّ التى توجد فى هذه القناة إذ معلوم أنه توجد بعض موادّ مهيجة للقناة المعوية كما توجد بعض موادّ أخرى مسكنة لها وكذلك توجد بعض الأغذية أوفضلاتها أحد الفعلين ، واذا كان الغذاء الذى نتناوله غير صالح ومنزوعا منه الموادّ الضرورية للجسم فيحق لنا القول بأن غذاء كهذا لايمكن أن ينبه عضلات الامعاء ، بل ربما كانت موادّه معطلة لها ، أومسببة لشلل فى حركتها ، ومن هذا نرى أن الأطعمة الخالية من الفيتامين ، أوالمركزة التى اعتاد الانسان أن يتناولها لاشك أن لها دخلا كبيرا فيما تصاب الامعاء به من كسل ، وكلنا نعلم أن الأطعمة التى لاتترك فضلات كافية يتولدعنها إمساك ، وغنىّ عن الذكر أن الأغذية المطهية أوالمركزة الشائعة الاستعمال الآن تنقصها هذه الموادّ الضرورية وهى الفضلات ، وهذه الأطعمة المطبوخة تكون خالية أيضا من موادّ ضروريتها للانسان كضرورة الفيتامين ، وهذه الموادّ لاتوجد إلا فى الأطعمة التى بحالتها الطبيعية ، وهذه الموادّ وان كانت تصعب الآن معرفتها إلا أن فعلها قد أصبح معروفا وهى موادّ مجرّد وجودها يوقظ النشاط فى بعض التفاعلات الكيمائية التى تحصل فى الجسم ، ولولا وجودها لما نشطت تلك التفاعلات . خذ مثلا ثانى اكسيد الهدروجين فانه ينحل مع وجود مادّة غير قابلة للذوبان كفلز الفضة بينما الفضة لايحصل بها أى تغيير ، وكذلك خمائر الامعاء تنشط فى عملية تحليل الغذاء مع وجود موادّ كهذه فى الأطعمة بحالتها الطبيعية ، وقد تكون هى أهمّ عامل فى عملية الهضم ، ويستخلص من ذلك أن الانسان مع كونه أرقى مخلوق هو الحيوان الوحيد الذى لايعرف كيف ينتقى غذاءه ، وكأنه قد فقد من هذه الناحية غريزة الابقاء على النوع ، وأكبر شاهد على ذلك استسلامه للتسمم المزمن الذى يصيبه من التغذية الخاطئة وهو قانع راض عن ذلك ، بينما هو فى الواقع يعرّض جسمه وعقله للتلف والهلاك بسبب شرهه وجهله وتكون النتيجة التى لابد منها أنه لايعيش بأىّ حال من الأحوال فى هذه الدنيا المدة التى هى حقّ من حقوقه كما عاش آباؤه الأوّلون .

ومما يجلب التلف للصحة مايتناوله الانسان من سموم مختلفة كادمان شرب الكحول وغيره من السموم مع أنه لوتوفر على العناية بنفسه وهو أكمل مثال لأقصى ماوصل إليه الارتقاء فى أنواع الحياة لعاش متمتعا بالصحة الجيدة إلى أقصى مدة ممكنة ، ولاستقبل الموت بعدها ضاحكا مستبشرا ، لأن هذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، بل هذه هى النتيجة الفسيولوجية للحياة بحسب ماوصلت إليه معلوماتنا وان كان البحاث قد تمكنوا من استنباب الحلايا على مختلف أنواعها ولكنها الخلايه السليمة من العطب ، وكل هذا يزيد ماذهبنا إليه من أن الاستهانة بآلة الجسم المحكمة الصنع التى هيئت للقيام بكل عمل من عظائم الاعمال يؤدّى بها إلى الدمار ، والعناية بها تمكن كل انسان من حياة طويلة مقرونة بالعافية والرفاهية مع التفوّق فيما يباشره الانسان من الأعمال » .

هذا ما أردت نقله من كلامه بنصه ، وأزيد عليه ملخص ماذكره بعد ذلك ، فهو يقول فى صفحة ٦٥ من الكتاب المذكور مانصه :

(١) « إن [ميتشنكوف] يقول : إن التعمير ممكن بتدابير تتخذ لتطهير الامعاء . وقال : إن هذه النظرية لاتزال بعيدة لم يعترف بها العلماء . وقال : يجب اجتناب جميع الأطعمة الدسمة من كل نوع ، وخصوصا اللحم ، وعدم تناول الخمر . ثم قال : ويقول [ميتشنكوف] أيضا بأنه اذا وصل الانسان صحيحا إلى متوسط طول العمر الطبيعى ولم يصبه الانحلال الشيخوخى فانه يكتسب غريزة جديدة وهى غريزة الاستحقاف بالموت ، فيصبح الموت والحياة عنده سيان ، ويستقبل الموت كما يستقبل اليوم الغدى . وقد اتفق الكثيرون من البحاث على أن لكل نوع من الكائنات طولا طبيعيا

للعمر ، لأن العمليات الفسيولوجية التي تجرى في أجسامها تعين عدد السنوات التي يصل إليها كل نوع من أنواع الكائنات » .

(٢) ثم أخذ يشرح في صفحة ٦٩ ومابعدها هذا المقام فقال : « أولا ان الناس لا يكادون يبلغون سن الخمسين حتى ينحدروا إلى الضعف فالموت ، ذلك لأنهم لايملكون زمام أنفسهم ، بل يتركونها فريسة للشهوات ، فلذات الشباب مقرّبات للمشيب والهلاك والردى والموت ، فالانسان يصل إلى قمة الحياة في سن الثلاثين ، ثم بعد ١٥ سنة أونحوها ينحدر إلى أدنى ثانيا بخطئه وجهله ، واذا وصل إلى مابين ٥٠ و٦٠ سنة تظاهر على أسارير وجهه علامات الضعف وانهاك القوى من فعله هو وجهله ولذاته ، وكثرة أغديته الخاطئة ، ويضعف سمعه وشمه ، وتيبس مفاصله ، ويزداد وزنه من خمس كيلوجرامات إلى ١٠ ويشكو الامساك ، ويشكو تمدد الأوردة في ساقه فيضعف » .

(٣) ثم أخذ في صفحة (٧٠) يذكر مايجب أن يكون عليه الغذاء . قال مانصه بالحرف في الكتاب الثاني للمجمع المصري للثقافة العامة : « لا أحاول هنا أن أشرح وسائل التغذية في كل أدوار الحياة وانما أمرّ عليها لماما ، لأنه ليس من شكّ في أن لها دخلا كبيرا في حفظ الصحة ، وبالتالي في التعمير ، وأعيد هنا أنه يجب على الانسان أن يتناول موادّ الأطعمة بحالتها الطبيعية ، لأن الانسان في مبدأ خلقه لم يجد لحفظ حياته إلا الجذور والفواكه والأعشاب ومنتجات اللبن ، واذا أراد لحما كان يجده في الجراد ، ومن الراجح انه كان يأكله نيئا ، فلكي نتجنب أذى السموم التي تؤذي الامعاء الغلاظ ، وبالتالي تسمم الغدد الصماء يجب أن نتعلم هذا الدرس البسيط من الانسان الأوّل ألاوهو وجوب استعمال الموادّ الطبيعية غير المطبوخة في غذائنا وهي الخضر والفواكه ومنتجات اللبن ، وليس معنى الاقتصار في العذاء على ماذكر بل نقصد بهذا أن يشمل غذاؤنا كمية وافرة من هذه الموادّ مع غيرها ، ولاشك أن الطعام المتوافرة فيه هذه الموادّ الطازجة يؤدّي إلى عدم تعرّض الشيوخ إلى أمراض عديدة كالتهاب المفاصل وعسر الهضم وارتفاع ضغط الدم والاكزيما . ولايخلو من الفائدة أن أذكر هنا بعض ملاحظات عما يجب تناوله من الأطعمة في الأوقات المختلفة من اليوم ، فطعام الافطار يجب أن لا يكون مثقلا بالأطعمة المتنوّعة ، إذ من الواجب على الشخص أن يبدأ نهاره بغذاء خفيف ، لأن الصباح هو وقت اخراج مفرزات الجسم ، فلو أرهقنا أعضاء الهضم بالعمل في ذلك الوقت فان جزءا عظيما من نشاط الأعضاء (طاقتها) يفلّ ، وفي هذا ضرر بلاشك لأن الأنسجة تعمر بالسائل اللمفاوي أثناء النوم في العمل وتلقي إليه بفضلاتها ، وهذه الفضلات يتخلص منها في الساعات الأولى التي تعقب النوم ، ولذلك فان قاعدة تناول وجبة طعام خفيفة في الصباح تركز على أساس فسيولوجي ، ولهذا السبب كان الأرق مجلبا للنحافة . وحبذا لو كان طعام افطارنا مماثلا لما كان يتناوله آباؤنا الأوّلون ، وهو لم يكن إلا فاكهة طازجة أو خضرا . وأما الوجبة الثانية فيلاحظ فيها أن تكون خفيفة أيضا ، لأنه ليس من الحكمة في شيء أن تثقل أعضاء الهضم بالعمل بعد فترة راحة قصيرة عن أن يعقب أكلة الصباح مباشرة بعده بعض العمل سواء كان عقليا أو جسميا ، وذلك عمل مضطرب جدا . ولا يصح للانسان اذا أكل أكلة ثقيلة في غفوة بعدها وحده لو اتبع الناس بأكل الحصير عشرة من الساعة بدل طعمهم . وذلك لاتفقد معظم مزاياها ومن المستحسن جدا أن يستعاض بالفاكهة الصارخة عن الحلوى المطبوخة بتاتا . ولو اتبع المبدأ الذي أشرت إليه في وجبة الظهر لأمكن كل من أن يقوم بعمله هذه الأكلة عيرمس وفتور

أوشعور بثقل فى الدماغ ، أوميل للنوم ، وقبل أن أتكلم عن طعام العشاء أشير إلى عادة استحدثت فى بلادنا وهى عادة تناول أكلة خفيفة وقت العصر ، وهى المعروفة بأكلة الشاى ، وهذه الأكلة ضارّة من الوجهة الفسيولوجية ، ولاحاجة لها ألبتة ، لأن المعدة تحتاج إلى أربع أوخمس ساعات لهضم أكلة الظهر ، فاذا فرضنا أن أكلة الظهر تنتهى عند غير الموظفين حوالى الساعة الثانية ، وعند الموظفين حوالى الساعة الثالثة فلاشك أن الجهاز الهضمى يكون مشغولا فى الهضم حتى الساعة السابعة أوالثامنة ، فكيف يكون حال هذا الجهاز عندما يتناول أكلة أخرى حوالى الساعة الخامسة أوالسادسة لاشكّ أنه يصبح فى حال سيئة ، ولايمكن أن يسمح بهذه الأكلة مهما قيل عن الشاى أوالقهوة من أنهما منبهان لذيذا الطعم . ولا يغيب عن البال مايؤخذ معهما من كعك وزبد وغيرهما وأما أكلة العشاء فلابأس من احتوائها على نوع من اللحوم مع تناول مقدار قليل منه وعلى شىء من الخضر المطهى ، ويجب أن تحتوى كذلك على جانب من الفاكهة ، ويلاحظ أنه أحيانا ماينشأ عسر الهضم أوالأرق عن تناول فنجان القهوة الذى يؤخذ عادة بعد العشاء ، ولأنبه هنا إلى أن الأرق الذى يكون منشؤه مرضا معروفا أومشاغل ذهنية لاشك فى أن سببه عسر الهضم ، وعلاجه لا يكون بتعاطى المنوّمات ، أوالمخدّرات ، بل بفحص حالة الجهاز الهضمى وتنظيمها مع تناول دواء بسيط للمعدة . ويلاحظ أنى لم أذكر شيئا عن أنواع الفيتامين وفوائدها ، وقد تعمدت ذلك لأنى وجدت أن لاضرورة لذكر شىء عنها مادمت أحضّ على تناول المواد الغذائية بحالتها الطبيعية ، وهى المصدر الوحيد للفيتامين . ومن الأضرار البليغة التى تنجم عند متوسطى العمر ، أوالشيوخ من الافراط فى التغذية عجز الكبد عن القيام بتنقية الدم الذى يمرّ فيها فينشأ عن ذلك التسمم العام الذى تشهد أعراضه عند المصابين بعسر الهضم بسبب الافراط فى التغذية فضلا عن التأثير السيئ الذى يحدث للكبد وللجسم عموما من تعفن وتخمر العذاء الزائد عن الحاجة فى الجهاز الهضمى ، هذا علاوة على الاضطراب الذى يحدث فى الغدد الصماء ، ويظهر أثر ذلك جليا ، وخصوصا عند المرأة ، ولاسيما فى سنّ اليأس لأنها تكون قد فقدت الافراز الداخلى للمبيضين ، والمسألة لاتتعلق بما تطيقه المعدة وما تقدر عليه من العمل ، بل انها أيضا مسألة مايتيسر للأجهزة المخرجة قذفه من الجسم ، فلوفقد الجسم التوازن فى إجراء كل هذه العمليات لما أمكنه أن يقضى مدة طويلة فى الحياة وهوسليم ، ولتأثرت جميع الأجهزة الهامّة كالدورة الدموية والجهاز البولى ، ولاينجوأى جهاز آخر حتى الجلد نفسه من الاختلال ، وقد عرف العلم حديثا بعض الخاصيات الطبيعية المهمة بعد أن درست بعناية ، ومنها تأثر الجلد ضوء الشمس ، وقد أصبح فنا خاصا يعرف بالمعالجة بالشمس وصار المعتقد الآن أن لضوء الشمس علاوة على وظيفة تنقية سوائل الجسم من المواد السامة خاصية تنبيه عملية الاستحالة الغذائية . أوالميتابولزم بدرجة أنه يعيد نشاط الأنسجة المريضة إلى العمل الصحيح . وغنى عن البيان أن ضوء الشمس هوالمطهر الطبيعى الذى يقتل الميكروبات بغير شك وهذه الخاصية تمتاز بها الأشعة التى فوق البنفسجية المنبعثة من طيف ضوء الشمس ، ولهذه الأشعة مزايا أخرى ، منها أنها تعين على تمثيل المواد الجيرية بمقادير وافرة فى الجسم كما أنه يستعاض بها عن عدم اتزان الغذاء نتيجة نقص الفيتامين فيه ، فيتضح من ذلك أن فعل هذه الأشعة متساو مع افرازات الغدد الصماء ومع الفيتامين ، هذا ولاشك فى أن ماتحدثه من صبغ الجلد انما هو ذوعلاقة أكيدة بالغدد الصماء ، وخصوصا الغدد التى فوق الكلى والغدد النخامية . وقبل أن

ننتقل من موضوع الغذاء أجدنى فى غير حاجة إلى أن أتكلم عن الخمر وعن أثرها فى منع التعمير لأن هذه الأضرار أشهر من أن تذكر ، وجدير بى أن أشير بكلمة عجلى إلى باقى أجهزة الجسم ، وخير الطرق للمحافظة على سلامتها إذ لايحتمل المقام الاطالة ، فأبدأ بالرئتين ولانزاع فى أن خير مايجدد قوتهما هو الهواء النقى ، وهو لهما بمثابة الحمام للانسان ، لأنه بالاجدال العامل الأقوى فى تجديد شباب كل عضو من أعضاء الجسم من المخ حتى الجلد . ومما يؤسف له أن كثيرا من مواطنينا الأعزاء لايقدرون هذه الأداة الفعالة حق قدرها ويهملون الانتفاع بها مع أنها فى متناول الجميع هبة من الله تعالى بلاعوض . وأما الجهاز العصبى وجوهره المخ ، فهو للانسان بمثابة الطبقة الحاكمة من الشعب تدبر أموره ، فتدر عليه المنافع ، وتدرأ عنه العوائل ، وأكبر أعداء هذا الجهاز اثنان وهما القلق والمشاغل الفكرية اذا تمكنتا منه كانت نتيجة ذلك الحتمية قصر العمر . أما الترياق الفسيولوجى لهذه الحالة فهو اجراء التمارين العضلية الشديدة لتجديد نشاط الأعصاب ومنع طاقتها من الفقدان دون الاستعاضة عما يفقد منها بقدر جديد من الطاقة ، ومادام جهازنا العصبى سليما نستطيع أن نتغلب على جميع الأمراض الجسمية والنفسية بقوة الارادة » اهـ

(٤) ثم أخذ يشرح فى صفحة ٨٠ ومابعدها [منحدر الحياة] فقال : « مهما عنى الانسان بصحته ومهما كان قويا متين البنية فلاشك أنه يأتى عليه يوم يشعر فيه بأنه يهوى فى منحدر الحياة جثمانيا لأنه ليس من الضرورى أن تتناقص القوى العقلية كلما تقدم الانسان فى السن ، ويمكن تعليل بقاء القوى العقلية سليمة حتى سن متقدمة أوحتى نهاية الشيخوخة بأن المخ يستمر نشطا على حساب العضلات والمفاصل وباقى الأنسجة التى كلما تقدمت السن قل عملها ومايتبقى من نشاط فى جهاز الدورة الدموية ينصرف طاقته إلى العضو الأكبر احتياجا إليه ، وهو العضو الذى يستمر نشطا حتى آخر الحياة ألا وهو المخ ، وهناك تعليل آخر وهو انه بما أن المخ آخر مايتم نموه فى الجسم فطبيعيا يكون آخر مايتأثر بالشيخوخة ، ولذلك نجد أن الأوعية الدموية التى تكون تامة النمو عند الولادة هى ضمن أجزاء الجسم التى تبدأ فى التأثر بالشيخوخة ، ولكن مع ذلك فالمخ يصله نصيبه من الدم كاملا بينما يكون قد قل نصيب أجزاء أخرى من الجسم ، وكل انسان يجرى الدم فى حالة معقولة من القوة كلما كانت قوى المخ لاتتأثر ، وعندئذ يأتى دور استحالة الأوعية الخيطية عادة متأخرا ، وهذه الاستحالة تنشأ عن تأثير السموم إما على جدر الأوعية أو على الدم كما سبقت الاشارة إلى ذلك . وليس معنى ذلك أن النشاط المخى لايتأثر بدور الهبوط الجثمانى بل العكس ، ومن هذا النشاط تتعرض ضيعته ، ولو أن هذا التعبير يتناول نوعه أكثر من مقداره (ضحك) فالانسان بمجرد مايجد نفسه فى المنحدر يلقى الحياة ظاهريا ، ولو أنه يستقى ما اعتبره الناس لأعمى من أفكاره ومعتقداته الشهوات والعواطف حدتها حتى ان مهيج مظاهرها كالعقل ورويات الحب تتوقف شعوره كثيرا ، وكذلك لاتستهويه تلك الحادية العجيبة التى انفرد بها الجنس اللطيف ، ويرغم ذلك يستبقى نشاطه الذهنى ، فأمام هذه الاعتبارات [illegible]

يندر أن تصيبهم أمراض فى أطرافهم السفلى كما يندر أن يصاب الذين يشتغلون أشغالا عقلية بالتهاب سحائى ، ولكن هذا لايمنع من أن الذين أسرفوا فى استعمال بعض أعضائهم يكونون عرضة لأن يجنوا عواقب سيئة نتيجة إسرافهم ، أما المخ فالغالب أنه لايمكن أن يحلّ به الاجهاد لدرجة تسبب انحطاطه قبل الأوان ، وهذا بطبيعة الحال لايصدق على العواطف ولكن يقصد به النشاط العادى ، لأن الانسان قد يدفع نفسه إلى التفكير لمدة طويلة ولكن يأتى وقت لايتيسر له فيه أن يستمرّ فى التفكير ، فبينما يستمرّ المخ فى حاجته إلى نصيبه كاملا من الدم تكون حاجة معظم باقى أعضاء الجسم للدم قد قلت وهذا واضح فيما يتعلق بالعضلات والعظام والمفاصل ولكنه يحتاج إلى شىء من الايضاح فيما يتعلق بأعضاء الهضم ، وتعليله هو أنه بضمور العضلات تقلّ كفايتها للتصرّف فى منتجات الهضم ، ولذلك وجب أن تخفض كمية المواد الغذائية التى تدخل الجهاز الهضمى ، وهذا يقلب معتقد أسلافنا رأسا على عقب من جهة تغذية الشيوخ لأنهم كانوا يعتقدون وجوب تغذية الشيوخ بسخاء ، وكانوا يظنون أن مثل ذلك كمثل الدعائم التى تقام لتوطيد الجسم الشائخ الهش الهيكل ، ولاشك أن هذا المبدأ كان أضرّ ما يكون بالشيوخ ، لأن الاعتدال فى الغذاء ليس لازما للشيوخ فحسب ، بل للناس فى كل الأعمار . ومما يشاهد أثناء الهبوط فى منحدر الحياة تساقط الأسنان ، وهذا أمر غيرطبيعى ، وحدوث ذلك نتيجة لازمة للافراط فى أكل اللحوم والموادّ السكرية وعدم العناية بالأسنان بعد هذا الافراط ، وهاهو السير اسحق نيوتن لم يفقد إلا سنا واحدة فى سن الخامسة والثمانين ، وكذلك ضعف الابصار ، وهو معظم الأحيان ينشأ عن تيبس العدسة ، ويبدأ مابين سن ٤٥ و٥٠ سنة ، وضعف العضلة الهدبية ، وقد يصحب تأثر جهاز الابصار فى هذه الفترة من الحياة ظاهرة فقد حدّة السمع ، حتى انه يندر وجود شخص يتمتع ببصر وسمع سليمين بعد سن الستين . وضعف السمع ينشأ عادة بسبب ضمور العصب السمعى وان كان تحصل أحيانا بأسباب أخرى كتثبيت عظم الركاب أو اصابة صماخ الأذن الظاهرة بالاكزيما القرسية ، أوتجمع الصملاخ به كما قد يصابون بطنين الأذن أو بسماع أصوات داخلية متعددة وهذا يسبب لهم مضايقة كبيرة ، وكذلك قد يشعرون فى هذا الدور بدوخة قد تكون بسبب مرض فى الأذن ، أو ورم فى المخيخ ، أوغير ذلك من الأمراض المخية ، أوأمراض العيون ، وقد أشرنا إلى الدوخة الوقتية التى يصاب بها الشيخ عند قيامه من الفراش ، وقلنا ان سببها ناشىء عن ضغط الدم الذى قد يرتفع بسبب انقباض الأوعية الدموية من تصلب الشرايين ، وكلما انحدر الانسان نحو نهاية العمر كلما ظهرت علامات ذلك على الجلد وملحقاته حيث يجف الجلد ويرق ويصير أملس وتظهر فيه تجعدات ، فيتغضن الوجه بسبب اختفاء النسيج المرن والنسيج العضلى ، وهذا يدل أيضا على أن الأوعية الشعرية تقل فى الحجم والعدد حيث تضمر بسبب عدم الاستعمال ، فتتأثر تغذية الجلد . ويعقب ذلك اصفرار أوشحوب اللون ، وان كان يشاهد عند بعض الشيوخ نوع من التلوّن فى جلودهم ، ويظن البعض أن هذا انذار بمرض خبيث ، كما ان هذا التلوّن ربما يكون وسيلة للوقيه من بعض الأشعة التى فى طيف الشمس حتى انه اذا ظهر هذا التلوّن يكون ذلك دليلا على نقص فسيولوجى فى الانسان ، وهذا النقص خطر فى بلاد المنطقة الحارة ، وقد يفسر هذا النقص بعدم كفاية الغدد التى فوق الكلى ، أوالغدد النخامية ، وقد يكون النمش محرّكة بكمية فى الجلد فيحل محل التلوين . ويسبب هذا التلوين أيضا التعرّض للشمس ، وقد

يستعاض عن عدم التلوين بنموّ الشعر غير الطبيعي ، لأن اللون فى جلد الانسان يقوم مقام الشعر فى القردة من حيث الوقاية ، ولذلك يتأثر الجلد كثيرا خصوصا فى زمن الشيخوخة فى الذين ليس عندهم استعداد لحدوث التلوّن فى جلودهم ، أو لنموّ الشعر فيها بغزارة غير طبيعية » .

(٥) ثم أخذ فى صفحة ١٢٢ ومابعدها يشرح وسائل تجديد الشباب واطالة العمر ، فعوّل كثيرا على نظام الغذاء ، وقال : « قد ألمعنا فى كلماتنا السابقة إلى وسائل تجديد الشباب واطالة العمر ، وأتينا على بعضها ، وتحقيقا للغرض الذى حدانى للعناية بهذا الموضوع أفرد هذا الفصل لجمع شتات هذه الوسائل . تنقسم الوسائل التى نحن بصددها إلى ثلاثة أقسام ، والقسم الأوّل يتعلق بالمحافظة على الصحة الشخصية منذ يوم أن يتنسم الانسان أوّل نسمة فى الحياة حتى سن الكهولة ، والقسم الثانى موضوعه طرق العناية بالكهولة فى أطوارها المتأخرة وبالشيخوخة ومندرانها ، ويبحث القسم الثالث فى وسائل مدافعة مضاعفات الشيخوخة ، وسنتوّج هذه المواضيع ببسط أثر المحافظة على الصحة العامة فى تجديد الشباب والتعمير — :

(١) فأما وسائل المحافظة على الصحة الشخصية حتى سن الكهولة فهى عديدة ، وقد قتلت بحثا ووضع فيها المختصر والمطوّل من المؤلفات ، وبحّ صوت رجال الصحة والاجتماع فى تلقين مبادئها للناس كافة فى قطرنا المحبوب أوفى غيره من الأقطار ، وقد أخذ الكبيرون من أفراد المجتمع فى اقتطاف ثمار هذا المجهود العظيم حتى أصبح كل بيت لايخلو من مبشر للصحة . ومما أذكره بالاعجاب أنه يغلب فى بلادنا أن يكون هذا المبشر من أبنائنا الشباب فتيانا وفتيات ، ولذلك سأذكر بعض المخالفات البارزة لسنن الطبيعة ، وألحقها بطرائق معالجتها فأقول : —

(١) يشمل هذا النوع من الوسائل ، وهو الذى له الفضل الأكبر فى إطالة العمر العناية بالصحة الشخصية من كل ناحية من نواحيها كالانتفاع بالهواء النقى ، وقضاء معظم الوقت فى الهواء الطلق والعناية بالثياب من حيث تناسبها مع الفصول ، والاهتمام بأمر الطعام والتغذية من حيث النوع والكمية ، والامتناع عن اعطاء الفرصة لأىّ سم كان من التسرّب إلى الجسم سواء كان من الداخل أو الخارج ، ومعنى ذلك العناية التامّة بالنظافة الشخصية ، فقد حكم الحديث الشريف لقائل « النظافة من الايمان » لأنه جمع فأوعى ، ومن الوسائل الهامّة والموصلة إلى إطالة العمر بالاضافة الوقاية من الأمراض التسرّبية ، وكذلك العناية بالأسنان واللثة التى تتسرّب عن طريقها سموم جمة بسبب العفونة التى تنشأ عن فضلات الطعام الراسبة عليها . والمتخلفة لها ، ولايفوتنا أن ننبه إلى فائدة الحركة سواء بالاستعانة بأى نوع من أنواع التمرينات الرياضية . أو الصلاة ، أو الألعاب ، وكذلك نوجه الأنظار إلى مزية الرياضة العقلية اما بالقراءة الصحية ، وهذه تقاس كلية مع الفصص المحشوة بسائل الحسى والذهنى « الدعارة » أو وسائل أخرى ، إذ من الرياضة العقلية أيضا بعض الألعاب التى تحتاج لفكر وروية ، وهى عظيمة الخطر بالارتباط والجهاد ومن أمور البدنية حاجة الجسم والعقل إلى الراحة ، وأهمّ وسيلة للنوم هو الهدوء الذهنى ، ولأهمية ما ذكرنا أن يكون للانسان عمل يقوم به بعد العشاء وقبل النوم ، لأن البطالة من موارد المهلكة للجسم والعقل .

(٢) ومما يساعد كل المساعدة على إطالة العمر الابتعاد عن سموم الأدوية المركزة الكيماوية التى تعمل على هدم كيان الجسم ، وأن يكون الالتجاء إلى الأدوية النباتية قدر الامكان لأنها

ولذلك أرى أنه جدير بى أن أذكر (بعد أن أجملت فيما سبق لى قوله) موضوع العناية بالغذاء والتغذية بشيء من التفصيل الذى يسعه المقام ، لأن اهمال هذا الأمر الحيوى عام بين كل الطبقات وعند جميع الأمم . إن فائدة موادّ الغذاء التى تؤكل بحالتها الطبيعية تظهر بجلاء فى تأثير باشيلس القولون العادى عليها ، لأن فعل هذا الباشيلس يتوقف على طبيعة المزرعة التى يتناول غذاءه منها فاذا زرع على بروتيين حيوانى كما يحصل فى حالة أمعاء الانسان فانه يحدث تعفنا ويصبح من ألد خصوم الانسان ، ولا يقتصر تأثيره على الأمعاء الغلاظ وحدها ، بل يؤثر أيضا تأثيرا شديدا فى الأحشاء المجاورة ، ويسبب لها أمراضا عدّة مع انه اذا زرع هذا الباشيلس القولونى العادى فى مزرعة تحتوى على موادّ نشوية أو خضرية فانه لا يحدث تعفنا ويتحوّل إلى جرثومة تخمرية : أى ينقلب من خصم لدود إلى صديق نافع ، فمتى عرفنا هذا أمكننا أن نحل معضلة كيفية توصيل الموادّ النشوية والخضرية من الفم حتى الأمعاء الغلاظ بدون أن تتأثر أقلّ تأثير بالعصارات المختلفة التى فى القناة الهضمية ، وأظنّ أن الجواب على ذلك قد أصبح جليا ، وهو أن تؤكل هذه الموادّ الغذائية بحالتها الطبيعية مغلفة بغلافها السليولوزى الذى لا تنفذه عصارات الهضم ، والذى يمكن هذه المواد من الوصول إلى مقر باشيلس القولون العادى ، ومعنى هذا أن الذين يعيشون على الأغذية الطبيعية لا يشكون ألبتة من كسل الأمعاء ، وكما أدركنا حكمة ذلك فى الحيوان يجب أن ندرك حكمة الصوم الذى تصومه الحيوانات الدنيا ، فهو يحفظ التوازن بين دخل الجسم وخرجه ، وعندما يصاب الانسان بالبول السكرى يكون دخل جسمه أكثر من خرجه ، والصوم يعادل بين ذلك ، ولكنّ هناك أمرا مهما يجب الالتفات إليه عند ممارسة الصوم وهو التأكد قبل ذلك من عدم وجود فضلات فى الجزء الأسفل من الأمعاء الغلاظ حتى لا تمتص الأمعاء المذكورة هذه الموادّ أثناء الصوم ، ولذلك يجب أن يسبق الصوم بمسهل ، وهناك أمر آخر لا يقلّ أهمية عن الأوّل وهو أن يكون الصوم صوما مطلقا بحيث لا يتعدّى الشفتين إلا الماء ، لأن الانسان اذا تناول شيئا من الطعام كان ذلك محرّضا له على طلب المزيد ، أما اذا اقتصر على الماء دون غيره ، فان شهوة الأكل تنعدم عنده ، ولا سيما اذا كان الصائم دائم الاشتغال أثناء الصوم عقلا وجسما ، لأن شهوة الطعام تقلّ بسرعة فى اليوم الثانى ، وفى اليوم الثالث تنعدم بتاتا . وقد قيل : انه يحسن بالصائم أن يلازم فراشه أثناء الصوم ، ولكن اذا كانت صحته جيدة فالأنسب أن يمارس عملا أثناءه أولى من ملازمة الفراش كالمرضى والضعاف العاجزين ، ولأمر الثالث الواجب على الصائم الالتفات إليه هو أن يكتفى عند الافطار بوجبة صغيرة فى اليوم الثالث ، وبوجبتين أقلّ من هذه فى اليوم الرابع . والمتفق عليه أن صوم ثلاثة أيام كاف لاعادة التوازن . هذا والصوم يمارسه الحيوان غريزيا عند مرضه . وقديما قيل : « جوعوا تصحوا » . ومن ذلك يمكننا أن ندرك أهمية الصوم فى تصحيح الأبدان ، لأن غريزة كهذه ما كانت لتوجد فى الحيوان إلا ولها أساس فسيولوجى متين ، ونحن أولى بالانتفاع به . وقد دلت التجارب على أن فوائد الصوم لا تقتصر على تخليص الجسم من بعض أنواع السموم المولدة لكثير من الأمراض التى توجد فيه روح الهمة والنشاط ، وبما أن الصوم قد يحدث أحيانا نوعا من التسمم الذاتى ، فصحيح عادة الصائمين تناول كميات وافرة من سائل قلوى أثناء الصوم كماء فيشى .

(٢٠) وتوجد وسيلة أخرى لحفظ التوازن بين دخل الجسم وخرجه ، وهى الاستحمام بالماء الدافئ

ويكون مصحوبا بالتدليك ، أو بالمعالجة بالكهرباء ، لأن هذا الاستحمام سواء كان بالماء الساخن أو بالهواء الساخن ، أو بالبخار الساخن ، أو بالحرارة المشعة ، يكون من نتيجته رفع حرارة الجسم نحو درجة مئوية أو أكثر ، فينشأ عنها احتراق فى الدم كان لا يمكن الحصول عليه إلا باصابة حية أو برياضة عضلية ، ولذلك كثيرا مايقال ، ولعله قول حق : إن الانسان تتحسن صحته من إصابته بحمى عما كانت عليه قبلها ، ولاشك أن سبب ذلك هو الاحتراق الذى أحدثته الحمى فى المواد التى كانت مختزنة وغير محترقة فى الجسم ، ولذلك يجب الحث على الاستحمام بالشمس الذى يباشر الآن كثيرا ، وأظن انه لم يحن الوقت بعد للحكم على قيمة الاستحمام بالأشعة فوق البنفسجية ولكن مما لاشك فيه أن الفوائد التى تجنى من التعرض لهذه الأشعة تنشأ عن ازدياد الاحتراق وتنبيه الاستحالة الغذائية (ميتابولزم) .

(٤) ولكن الوسيلة التى تفضل كل هذه الوسائل الصناعية هى الوسيلة الطبيعية وهى تنبيه الاستحالة الغذائية ، وحبذا لو أمكن الحصول على هذه الاستحالة بمقادير كافية بواسطة الرياضة العضلية التى لا تفضلها أية واسطة أخرى ، لأن فائدة هذه الرياضة بما تحدثه من التأثير الحسن على الجهازين العصبى والهضمى لا تعادلها فائدة أخرى من حفظ الصحة ، إذ ليس من شك فى أن الافراط فى الغذاء الغير صالح ، وعدم قيام الأشخاص الذين تضطرهم أعمالهم للجلوس بالقسط الكافى من الرياضة البدنية هما من أخص العوامل التى تجلب الأمراض المزمنة لهؤلاء الأشخاص ، وهى الأمراض التى تهدد حياتهم بالخطر . ويمكن لسكان المدن أن يمارسوا الرياضة البدنية فى منازلهم باستعمال الآلات الخاصة بها ، غير أن ممارسة هذه الرياضة فى الهواء الطلق أفضل بكثير ، وأحسن أنواع هذه الرياضة هى المشى ، ويمكن لكل انسان أن يمشى يوميا من أربعة إلى خمسة كيلومترات وأخص من يجب عليهم مباشرة هذه الرياضة هم الأشخاص الذين لا تتاح لهم الفرصة لعمل تمرينات رياضية منتظمة ، والعائق الوحيد الذى يمنع بعض الناس من ممارسة هذا التمرين الطبيعى هو انهم لا يعرفون كيف يمارسونه فالمشى الصحى ليس العرض منه مجرد حركة الأرجل بل العرض منه أن يمشى الانسان وقوامه منتصب وصدره مرفوع الى الأمام كما يفعل الجندى فى مشيه حتى تنقبض عضلات جدر بطنه والاضافة الفائدة المرجوة من المشى ، ويجب دائما على الانسان أن يمارس بعض التمارين التى تقوى عضلات البطن ، لأنها اذا استرخت نشأ عنها هبوط الأحشاء ، وهو من الأسباب الرئيسية لكسل الأمعاء وللأمراض أخرى ، وهذه التمارين يجب أن تمارس بانتظام كل صباح ، ومثالها فى ذلك مثل حمام الصباح وتسويك الأسنان .

(٥) ويحسن بنا أن نشير أيضا الى المشروبات الروحية التى لا نرى أى ضرورة لتعاطيها حتى ولو كان ذلك لايقاظ شهوة الطعام . لأن تأثيرها فى هذه الحالة هو احداث تهيج فى المعدة ينشأ عنه ميل كاذب لتناول الطعام ، وهذا يؤدى إلى عسر الهضم وأمراض أخرى .

(ب) — وأما وسائل العناية بالكهولة فى أطوارها المتأخرة ، وتشيخوخته ومشيخوخته ، فقد أشرنا أيضا إلى الكثير منها فيما تقدم (انتهى ما أردنا ذكره من كلامه) .

وهذا ما يذكر لهذا العالم وقد سبق عنى عن ذكر ما ذكره ووسيلته فى أن نقول : وقد أشرنا فى فصل سابق فى المعالجة بأشعة الشمس الطبيعية والصناعية ، وأكتفى بأن أذكر هنا بعض أخطار لهذه الشمس وطرق الوقاية منها . وهذه الأخطار هى

ضربة الشمس (الرعن) والصهر والحرق ، ويحدث الأول بسبب الرفع الموضعى لدرجة حرارة المخ والجسم جميعه بينما ضربة الحرارة تحدث بسبب رفع حرارة الجسم فقط ، واذا ارتفعت حرارة المخ لدرجة عالية نشأت عن ذلك الوفاة ، ولهذا السبب وجب وقاية الرأس والعمود الفقرى من حرارة الشمس ، ويسبق ضربة الحرارة عادة خلل فى عملية إفراز العرق التى يتوقف عليها تنظيم حرارة الجسم ، ولاسيما فى البلاد الحارّة ، ويساعد على حدوث الرعن الاصابة بمرض آخر ، وتعالج هذه الحالة بالتعريق الصناعى ، وتحصل ضربة الحرارة فى الجوّ الجاف الذى لاريح فيه ، وكذلك فى الأماكن المرتفعة الحرارة ، وقد يتولد عن الاصابة بالحرق استعداد للحالتين السابقتين بما يحدث عند الانسان من ضعف المقاومة بسبب امتصاص متخلفات الأنسجة المحروقة ، أما معالجة الحروق الناشئة عن حرارة الشمس فلاتختلف عن الحروق الناشئة عن أسباب أخر ، و بعض الأشخاص لايطيقون المعالجة بالشمس كالصغار والمسنين والمصابين بأمراض عصوية مزمنة ، وأولئك الذين يطيقون المعالجة الشمسية يتمتعون بمناعة ممتازة من البرد والتهابات الجهاز التنفسى ، ولهذا السبب جدا لو انتفع كل مواطنينا بالشمس الجميلة التى أنعم الله بها على بلادنا ، والتى لايوجد شك فى أنها لواستعملت بحذق لكانت من الأسباب العظيمة لتقوية بناء الجسم ولإطالة العمر . أما أهمية ضوء الشمس فهى فى حيازته لخاصية قتل الجراثيم ، وهو ماتقوم به الأشعة التى فوق البنفسجية الموجودة فى الطيف الشمسى ، هذا عدا عن فعلها فى تنشيط ميتابولزم الكالسيوم ، ولهذه الأشعة علاقة متينة بالفيتامين ومفرازات الغدد الصماء كما تكسب الدم خاصية اهلاك الجراثيم كما كشف عن ذلك الاستاذ [ليونارد هل] » .

(٦) ثم أخذ يشرح حمام الرئة فقال فى صفحة ١٣٣ مايأتى : « إن الرئة لاتقوم بوظيفة اخراج الحمض الكربونيك فحسب بل هى عند الضرورة تخرج سواه ، ولذلك تشم رائحة الكحول فى زفير المخمور ، والطريقة الوحيدة لتطهير الرئة هى التنفس العميق ، أوالتنفس أثناء المرانة البدنية فى الهواء الطلق ، وبهذه الطريقة يجدّد شباب كل عضو من الأعضاء من المخ حتى الجلد » .

(٧) وهنا شرح أمراضا كثيرة لا داعى لذكرها ، ولنقتصر على مايفيدنا . قال فى صفحة ١٥٣ وما بعدها ما يأتى : « فالمحور الذى تدورحوله كل جهود رجال الصحة هوسعادة الانسان ، أوبالتالى إطالة عمره فى صحة وعافية لأنها والسعادة توءمان ، وبديهى أن السعادة ليست فى وفرة المال فحسب ، بل هى السلام وهدوء البال ، وأهمّ أركانها التمتع بالصحة ، ونعمة الصحة تدعم حياة الانسان اذا توافر له الغذاء الجيد النوع الكافى المقدار ، وما يقيه من الملبس والمسكن ونحو ذلك ومتى رزق النفس الصحيح البنية ، وهذه هى المسائل الأربع الهامّة التى تبذل المصالح الصحية المختلفة فى أنحاء العالم كل جهودها لتوفيرها لبنى الانسان ، ولذلك كان من رأيى أن العناية بالصحة العامّة هى الوسيلة الأولى لاطالة العمر . لأنه لاتوجد عقبة فى سبيل طول حياة الانسان اذا توفرت لديه كل هذه الوسائل . ولو كان يعيش الناس سعداء آمنين مطمئنين لوأتيح لكل منهم أن يحصل على نصيبه من الوسائل لآنفة الذكر ، وكيف كانت تكون حال الدنيا من الهناء اذا طالت أعمار بنى آدم الحدّ الأقصى فى صحة ورخاء ، تلك انهم كانوا يستهينون بالموت ، بل وينتظرونه كحادث طبيعى لابدّ من . وقوله فى آخره « ونحن اذ أدركنا هذه الغاية بلغنا منتهى مايتمنى الانسان فى الحياة » ولايخفى أن طول الحياة فى هذه الحالة سيكون خير واسطة لتقدّم الانسان ، وذلك لامكان

زيادة الانتاج العلمى والأدبى والمادّى ، ولاسيما فى سنّ النعقل والرزانة ، والله المستعان على مافيه خير الأمة والانسانية جمعاء » .

« أصبح التعمير أواطالة العمر من الامور العلمية بعد أن كان من الأمانى والأحلام التى لايرجى أن تحققها الأيام ، وقد وضعت له أسس وقواعد أملاها العلم وأيدها الاختبار ، وخصوصا علم الصحة العامة الذى تقدّم تقدّما كبيرا فى السنين الأخيرة ، لأن التعمير من أهمّ مايعنى به رجال الصحة فى كافة البلاد ، حتى انه بفضل جهودهم أصبح متوسط عمر الانسان فى العصر الحديث أطول منه فى العصور الغابرة فلقد زادمتوسط مايعيشه الانسان فى الخمسين سنة الأخيرة نحو اثنتى عشرة سنة » انتهى ما أردنه شرحا وتلخيصا ونقلا من كلام طبيبنا مواطننا [شاهين باشا] ولقد أجاد وأفاد ، وبان أن كلامه كله يرجع أهمه إلى الأغذية والأهوية والمشى والتمرينات العضلية .

ولاجرم أن الأغذية هى ما حولنا من المخلوقات ، وقد قال : « إن الشمس نافعة للصحة » فباجتماع التمرين العضلى مع ضوء الشمس على الجسم مع الأغذية الطازجة التى لاافراط فيها يعيش الانسان عيشا أهنأ وهو سعيد فى نفس هذه الحياة .

واعلم أن الاستحمام بالشمس تقدم فى ﴿ سورة يونس ﴾ عند آية : « هوالذى جعل الشمس ضياء » الخ وقد تقدّم الكلام على الأغذية ونحوها فى سور كثيرة ، فى سورة البقرة عند آية : « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هوخير » وفى سورة الأعراف عند آية : « وكلوا واشربوا ولاتسرفوا » وفى أوّل الحجر عند الاشارة إلى آدم ، وفى سورة [طه] عند ذكر آدم أيضا ، وفى سورة الشعراء عند آية : « واذا مرضت فهو يشفين » وفى سورة [ص] عند آية آدم فى آخرها وعند ماقبلها فى قصة داود وفى سور أخرى .

اللهم إنى أحمدك حمدا كثيرا ، لأنك علمتنا مالم نكن نعلم ، وهديتنا الصراط المستقيم ، وأزلت عنا الحجب المانعات من سعادتنا وهنائنا فى نفس هذه الحياة الدنيا ، وأريتنا تفسير قولك فى كتابك العزيز : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلاتبصرون ، وفى السماء رزقكم وماتوعدون » فوجدنا هناك تآلفا واتحادا بين الخضر والفاكهة مما فى الأرض مع ضوء الشمس على صحة أجسامنا . والى هنا تمّ الكلام على اللطيفة الأولى فى قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين » ومابعدها . والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٣١ .

اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلاتبصرون » ومابعدها

كتب قبيل الفجر ليلة السبت ١١ ابريل سنة ١٩٣٢ م

تفسير : « وفى أنفسكم أفلاتبصرون » الداخلة فى قوله تعالى : « إن المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل مايهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفى أموالهم حقّ للسائل والمحروم ، وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلاتبصرون ، وفى السماء رزقكم وماتوعدون ، فوربّ السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون »

كتبت هذا العنوان بخط يرصيق القلم الذى اعتاد أن يستشير فى هذا التفسير ، فقلت : ماذا تريد من أمر النفس اليوم والتفسير مشحون بعجائبها ؟ فقلت : إن العجائب التى سأذكرها هنا يسوق لها نظير .

فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت : إن فى النفس لحدائق و بساتين ، وجنات وعيونا ، وبهجة غفل عنها الناس . فقال : الناس أجعون ؟ فقلت نعم أجعون . فقال : إنى أخاف منّ اطلاق هذا القول ، ان علم النفس اليوم ارتقى ارتقاء مدهشا ودخل فى تربية المدارس فى هذا القرن بهيئة عجيبة . فقلت : أنا سأبرهن لك فى هذا المقام على ما أقول وسأريك أوّلا حدائق النفس و بساتينها وأشجارها بهيئة تسرّ الناظرين ، ثم أقفى بتبيان أن هذه الحدائق انتفع الناس بظلها الظليل ، فتفيؤا ظلالها ، وعاشوا فى مناكبها ، وذلك فى علوم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والمعادن وجميع الصناعات ، وأبين ذلك بالأمثلة الواضحة ، ثم أثلث بأن الأمم كلها وان استظلت بظل تلك البساتين فى العلوم والصناعات لم تجن الثمرات ولم تتناول القطوف الدانية من الغصون الوارفة فى تلك الأشجار الباسقة ، بل هم لايزالون مفتونين بالظواهر ، مشغولين عن نفوسهم ودراستها ، ولوأنهم كما درسوا نظام هذه الدنيا درسوا نفوسهم أيضا من حيث نظامهم لبنوا سياستهم فى الحياة الدنيا على نظام أقلّ مافيه انه يشبه نظام النحل أوالنمل أوالأرضة ، ولكنهم إلى الآن جهال مبعدون عن هذه السعادة فى أرضنا هذه وهم غافلون . فقال : والله ان هذا الكلام عليه مسحة الحق ، لقد شاقنى هذا البيان أن أسمع منك فقلت انها فصول ثلاثة الفصل الأول منها فى الجذر والتربيع والمتوالية العددية والهندسية والكسر الدائر ونحوها . ثم قلت : انظر هذه الحديقة :

الجذر والتربيع

قواعد . ارتفاعات . أوتار . أعداد . رواسم	٤ من ١٢	١٢ من ٢٤	٢٤ من ٤٠	٤٠ من ٦٠	٦٠ من ٨٤
	٨	١٢	١٦	٢٠	٢٤
	٤	٤	٤	٤	٤

هذه فروق متساوية فى الارتفاعات

	٥ من ١٣	١٣ من ٢٥	٢٥ من ٤١	٤١ من ٦١	٦١ من ٨٥
	٨	١٢	١٦	٢٠	٢٤
	٤	٤	٤	٤	٤

فروق متساوية فى الأوتار

٣	٤	٥	١	و ٢	
٥	١٢	١٣	٢	و ٣	
٧	٢٤	٢٥	٣	و ٤	
٩	٤٠	٤١	٤	و ٥	
١١	٦٠	٦١	٥	و ٦	
١٣	٨٤	٨٥	٦	و ٧	

هذه هى الحديقة الغناء . فقال : اللهم إنى أتهم فى رقعة الشطرنج وأنواع الألعاب ولا أفهم فى هذه الحديقة شيئا . فقلت : أيها الصديق : إن هذا الجدول كه يرجع لأمر يعرفه العالم والجاهل وهو ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ الخ ولكن المعرفة السطحية جاهلة ، فانظر فى الجدول المرسوم تحت عنوان أعداد رواسم أليس هذا الجدول عبارة عن نفس هذه الأعداد ؟ قال نعم . فقلت : أتدرى ماذا حصل فيها ؟ قال لا . قلت ربعوا ١ و ٢ ثم طرحوا مربع الأوّل من مربع الثانى فكان باقى الطرح ٣ ثم جمعوهما فكان المجموع ٥ وضربوا ١ فى ٢ ثم ضربوا الحاصل فى ٢ فصار ٤ فالعمل إذن رجع إلى التربيع وطرحه وجمعه ، والى ضرب نفس الجذرين فى بعضهما ثم تضعيفهما . فقال : مامعنى جذر ؟ فقلت ٢ جذر و ٤ تربيع له ٣ جذر و ٩ تربيع له وهكذا . فقال فهمت . فقلت : إذن عندنا ٣ و ٤ و ٥ قال نعم . قلت : وهذه ناتجة من عددى ١ و ٢ فنحن حقا بسبب التربيع طرحنا وجمعنا ، والجذر ضربا وتضعيفا . قلت : الحمد لله قد فهمتنى .

ثم قلت : هذا هوالمثلث القائم الزاوية [ا ب ج] :

فخط (ا حـ) ارتفاع ، وخط (ب حـ) قاعدة ، وخط (ا ب) وتر ، فاذا كان خط (ب حـ) (٣) فى المثلث القائم الزاوية (حـ) فان (ا ب) فيها يكون ٥ و(ا حـ) يكون ٤

فانظر أيها الذكى ألست ترى أن مربع ٥ وهو ٢٥ يساوى مجموع المربعين وهما ١٦ و ٩ — قال حقا والله . قلت : أليست هذه هى النظرية المشهورة فى الهندسة وهى مربع وترالمثلث القائم الزاوية يساوى مجموع مربعى الضلعين الآخرين . فقال : أهى هذه ؟ قلت نعم هى هى التى كشفها [فيثاغورس] . فقال عجب ! أهذه البدائع كلهاترجع إلى ١ و ٢ فقط . فقلت نعم وغاية الأمر جعلناهما جذرا ور بعناهما تارة وضربناهما أخرى واستعملنا الطرح والجمع والضرب فخرج هذا كله . فقال هـذا حسن ، وحسن جدا ، واذا دمت فى الافهام على هذا المنوال حتى استوفيت المسائل إلى أن تصل علم السياسة فان عقلاء الأمم يفهمونها وتحدث أثرا على مقدارطاقة نوع الانسان فى هذه الأرض . فقلت : ثم انظر إلى عددى ٢ و ٣ فى نفس هذا الصف وهو صف أعداد رواسم فلنجعلهما جذرا والمربعان ٤ و ٩ اذا جمعناهما كان المجموع ١٣ وبالطرح يكون الباقى ٥ وبضرب ٢ فى ٣ وتضعيف الحاصل وهو ٦ يكون عندنا ١٢

فهذه هى أضلاع المثلث السابق مكبرا ، فان ١٣ وتر و١٢ ارتفاع و٥ قاعدة ، ولاجرم أن مربع ١٣ وهو ١٦٩ يساوى مجموع مربعى ١٢ و٥ وهما ١٤٤ و٢٥ . فقال بالله ماأبهج العلم وألذالحكمة وأبدعها إذن بقية الأعداد هكذا : أى ٣ و ٤ ثم ٤ و ٥ ثم ٥ و ٦ . قلت نعم كلها على هذا النمط قواعد وارتفاعات وأوتارا بحيث يستمر الحساب إلى مالانهاية له من غير حصر .

ملاحظات

بالنظر فى هذه الجداول نجد أن ترتيب المثلثات المذكورة على الأعداد البسيطة أنتج أولا أن الفرق بين القواعد عدد ٢ لأنها ٣ ٥ ٧ ٩ الخ — ثانيا : ان بين كل ارتفاع ومايليه نسبة وباقى طرح أحدهما من الآخر اذا قابلناه بباقى طرح مايليهما كان الفرق بين باقي الطرح ٤ مثلا ارتفاع ٤ نطرحه من ارتفاع ١٢ والباقى ٨ وارتفاع ١٢ نطرحه من ارتفاع ٢٤ فالباقى ١٢ وهكذا فاننا نجد الفرق بين كل باق ومايليه ٤ ، ومثل مافعلنا فى الارتفاعات نفعل فى الأوتار سواء بسواء ، فنفعل فى ٥ و١٣ و ٢٥ الخ مثل هذا فيكون الفرق أيضا ٤ وهذا هوالعجب ، إذ نرى الأعداد البسيطة على ترتيبها تظهر منها هذه الأعاجيب . نظام مقدس فى القواعد لأن الفرق ٢ ونظام مدهش فى الارتفاعات والأوتار . لأننا نجد الفرق بينهن ١ وهذا أمر عجيب جدا ونظام غريب فى بواقى طرح الارتفاعات والأوتار وهو ٤

مساواة مربع الوتر لمربعى الضلعين الآخرين

وذلك كله بدخول الجمع والطرح والضرب على مقتضى الأحوال . أليست هذه هى الحقيقة لعلماء من ١ و ٢ و٣ وهكذا . فهذه الأعداد البسيطة عند الجهلاء [illegible] لايعقل نفسه لايعقل

جمال هذه الأعداد ، بل هذه الأعداد جزء من النفس ، فالنفس الانسانية فى أوّل أمرها مبهمة غير مفصلة ، ولكن كشف هذه الحقائق لها يجعلها مفصلة واضحة لأن إحساسها بعد ان كان امرا مجملا أخذ الحساب يفصله ، وأخذ يطالع فى نفسه هذه العجائب الناتجة من الأعداد البسيطة السهلة ، إن أمر الحساب لعجب ! أمر الحساب عظيم ، انظر كيف يقول الله : « والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل اذا يسر » ثم يقول : « هل فى ذلك قسم لذى حجر » ثم ذكر أمر الدول وخرابها ، ويقول فى آخر السورة : « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » فأىّ مناسبة للشفع والوتر مع الفجر والليالى ؟ ثم ماسابة هذه كلها للنفس وصاها ودخولها الجنة .

هذه إشارات بعيدة الغور ستعرفها الانسانية فى المستقبل ؛ فان الحساب ونظامه لبنات جيلة بنى بها هيكل النفس فى أوّل أمرها أشبه بخلية الجسم فى أوّل أمره ، خلية الجسم واحدة تنقسم إلى ٢ وهذه تكون ٤ و٨ و١٦ و ٣٢ وهكذا ، فهذه متوالية هندسية كل الأجسام فيها سواء ، وعمدة حياة هذه العوالم كلها الحساب ، فالحساب الذى هو جزء مهمّ من نفوسنا هو الذى بنى عليه نظام أجسامنا وأجسام العالم كله ، فكما أن خلية الجسم الأولى صارت آلافا وآلافا من الخلايا . ولكل خلية حياة خاصة ترجع إلى الجسم العام هكذا النفس الواحدة المشبهة الخلية تتسع لكل محسوس ومعقول ، فهذه المعلومات تزيدها اتساعا كما يزيد الجسم حجما بالأغذية ، والفرق بينهما أن الجسم يتجزأ والنفس لا تتجزأ ، فهى تعظم بهذه الصور الروحية وتزداد عظما روحيا لا جسميا ، ولو أن الأعداد وما تائلها من جميع العلوم ذهبت من النفس لأصبحت أشبه بالدودة الضعيفة

اذا تقرّر هذا نقول : إن الجداول المتقدمة المنتظمة أمر ثابت فى نفسه مجرّد عن المادّة ، ولما كانت النفوس أقرب إليه دخل فى أمزجتها وصار جزءا منها لا يتجزأ ، فجميع هذه الجداول وبدائع الحساب ثابتات كلها فى نفوسنا ، وهذه النفوس تكشف هذه الخبايا بالدراسة فتزداد سعادة .

مثلا : فى هذا اليوم ١١ ابريل سنة ١٩٣١ م زار بلادنا المصرية [جراف زبلن] وهذا المنطاد مرّ فوق القاهرة ، ورأيته أمس آخر النهار يطوف بالعباسية ، وهو أشبه بالحوت فى البحر ، له لون فضى جميل ورأيته صباح اليوم قبيل كتابة هذا المقال ، ولفّ حول الحى الذى أنا فيه الآن (شارع زين العابدين) وكنت أمس واليوم أجد جميع سكان القاهرة رجالا ونساء وصبيانا وشيوخا يقفون فوق السطوح فرحا بهذا الأمر العظيم المدهش ، لأنه أمر عجب ! ولم يروا مثله ، وأعوزه جهاد عظيم وعلم غزير حتى برز للوجود . إن هذا سرور للنفس ، ولا جرم أن خبايا النفس اذا ظهرت لكاشفها تكون أكبر سعادة لها .

إن فى الأعداد المستقرّة فى النفس الشفع والوتر المذكورين فى الآية ، أما الوتر فقد ظهرت أمثلة له فى قواعد الجداول المتقدمة ، وهما يدهش الفيلسوف من قاعدة واحدة تكفل آلافا مؤلفة من المثلثات القائمة الزاوية المختلفات اختلافا تاما بحيث ان ما قلناه فى المثلث الأوّل ينطبق على كل مثلث بعده . ولما أن نجعل الارتفاعات والأوتار السابقات فى الجدول المتقدّم رواسم لها . كما اتخذنا ١ و٢ و٣ الخ رواسم لتلك الجداول نجعل ما ترتب على تلك الرواسم من الارتفاعات والأوتار قواعد فماذا يكون إذن ؟ يكون هذا الجدول فتكون القواعد كلها مربعات للقواعد المتقدّمة فى الجداول السابقة :

قواعد	ارتفاعات	أوتار	أعداد رواسم	قواعد	ارتفاعات	أوتار	أعداد رواسم
٩	٤٠	٤١	٤ و٥	٨١	٣٣٨٠	٣٢٢٨١	٤٠ و٤١
٢٥	٣١٢	٣١٣	١٢ و١٣	١٢١	٧٣٢٠	٧٣٢١	٦٠ و٦١
٤٩	١٢٠٠	١٢٠١	٢٤ و٢٥	١٦٩	١٤٣٨٠	١٤٢٨١	٨٤ و٨٥

فههنا أصبحت القواعد أعدادا مربعات ، ولهم طرق أخرى يجعلون فيها القواعد كلها زوجية مثل هذه :

قاعدة	ارتفاع	وتر	عدد راسم
٦	٨	١٠	١ و٣

وهو يجرى على القاعدة عينها ، فلنكتف بهذا فى هذا المقام . انتهى الكلام على الجذر والتربيع من الفصل الأوّل والحمد لله رب العالمين .

الكلام على المتوالية العددية والهندسية

المتوالية العددية مثل ١ و٣ و٥ و٧ و٩ و١١ الخ ، وهذه متوالية عددية تصاعدية ، أو تقول هكذا ١١ ٩ ٧ ٥ ٣ ١ فهذه متوالية عددية تنازلية ، والفرق بين كل عددين متواليين يسمونه أساسا للمتوالية وهو فى هذه ٢ ويكون ٤ فى الآتية ٢٦ ٢٢ ١٨ ١٤ ١٠ ٦ ٢ ولو أخذ ثلاثة أعداد (حدود) كان مجموع الطرفين ضعف الوسط كحدود ١٤ و١٠ و٦ من التنازلية فان ضعف ١٠ وهو الوسط ٢٠ ومجموع الطرفين وهما ١٤ و٦ يساوى ٢٠ وفى التصاعدية كذلك مثل ١٤ و١٨ و٢٢ فان ١٤ فى ٢٢ يساوى ١٨ فى ٢ فاذا أخذنا ٤ حدود كان مجموع الطرفين يساوى مجموع الوسطين وهو ظاهر .

الكلام على المتوالية الهندسية

هى مثل ٣ و٦ و١٢ و٢٤ و٤٨ و٩٦ وهذه تصاعدية ، ويقال فيها نسبة ٣ الى ٦ كنسبة ٦ إلى ١٢ كنسبة ١٢ إلى ٢٤ وكل حدّ يساوى الحد الذى قبله مضروبا فى الأساس مثل ٦ يساوى ٣ مضروبا فى ٢ أى يساوى الحد الذى قبله مضروبا فى الأساس و٢ هنا هو الأساس ، وهو الخارج من قسمة كل حد على الحد الذى قبله وهو لا يتغير ، وهذه المتوالية تكون تنازلية كما تكون تصاعدية ، وماقيل فى الوسطين والطرفين هنالك يقال هنا ولكن بطريق الضرب فنقول هنا حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين ، أو حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسط فى نفسه (مربع الوسط) مثلا ٣ و٦ و١٢ مربع الوسط فيها وهو ٣٦ يساوى حاصل ضرب ٣ فى ١٢ وهذا واضح .

إنما ذكرت ذلك هنا ليكون ذلك تذكيرا لمن لم يعرف علم الحساب ، وأريد هنا أن آتى بعض المقصود فأقول : إن للمتوالية العددية والمتوالية الهندسية فوائد فى علم الأوفاق ، وقد تقدّم فى هذا التفسير شذرات منه ، ولكنى أريد هنا أن أذكر منه عجبا :

جدول وفقى فردي

٣	٢٠	٧	٢٤	١١
١٦	٨	٢٥	١٢	٤
٩	٢١	١٣	٥	١٧
٢٢	١٤	١	١٨	١٠
١٥	٢	١٩	٦	٢١

كل قطر أو صف أفقي أو رأسي هنا اذا جمع يساوى ٦٥ أى يساوى حاصل ضرب جذر عدد الخانات ، وهو ٢٥ فى عدد ١٣ الذى هو وسط المتوالية الذى هو (فى مربع تقاطع قطرى هذا الجدول) فالجذر ٥ فى ١٣ يساوى ٦٥ وكيفية تعمير هذا الجدول تراها فى كتاب أستاذنا المرحوم على مبارك باشا فى كتابه [خواص الأعداد] وفى كتابى [بهجة العلوم] فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم الحديثة .

جدول وفقي زوجي

٣٤	٤	١٤	١٥	١
	٩	٧	٦	١٢
	٥	١١	١٠	٨
٣٤	١٦	٢	٣	١٣

هذان الوفقان المنتظمان العجيبان فيهما متوالية عددية أولها ١ وآخرها ٢٥ فى الأول و١٦ فى الثانى ، وفيهما بدائع وعجائب ، فالخط الأفقي والرأسى والقطر كلها متساوية ، وجذر العدد الفردى وهو ٢٥ بضربه فى وسط المتوالية الموضوع فى الوسط يكون هو نفسه ذلك المجموع ، ولا أكتف بما ذكرته الآن فى أوفاق المتوالية العددية .

أوفاق المتوالية الهندسية

إن كل ماقيل فى أوفاق المتوالية العددية يقال نظيره فى أوفاق المتوالية الهندسية ، ولكن الأمر هنا يكون بالضرب وهناك بالجمع ، فتجد فى الوفق المثلث الآتى أننا عمرناه بهذه المتوالية : —

١ ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤ ١٢٨ ٢٥٦ فهنا ترتيب كترتيب الوفق العددى لكل قطر وكل صف أفقي أو رأسى حاصل ضرب أعداده يساوى ٤٠٩٦ وهو مكعب ١٦ الذى فى الخانة الوسطى ، وطريقة التعمير هنا كالطريقة هناك :

٨	٢٥٦	٢
٤	١٦	٦٤
١٢	١	٣٢

وفق مثلث للمتوالية الهندسية .

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

وفق مثلث للمتوالية العددية .

فوازن بينهما أيها الذكى فانك تجد عدد كل صف وكل قطر فى الفردية ١٥ وهو من ضرب ٥ الذى هو فى الخانة الوسطى وهو وسط المتوالية أيضا ، ٣ الذى هو جذر عدد الخانات وهو هنا ٩

أما فى وفق المتوالية الهندسية فانك تجد حاصل ضرب أعداد كل صف أفقي أو قطرى أو رأسى مساويا لمكعب تلك الخانة التى فى الوسط وهى هنا ١٦ فى الفردية ٥ مضروبة فى جذر عدد الخانات ، وهنا مكعب تلك الخانة التى هى فى الخانتين يمر بهما القطران معا وتكون وسط الوفق بالضبط ، فهى فى الوفق كقلب الانسان وأخيرا .

عند ذلك قال صاحبي : لقد فهمت المتوالية بقسميها ، وفهمت أوفاق العددية بقسميها ، ولكن لم أطلع على وفق للمتوالية الهندسية يكون زوجيا ، فقلت : إن الأمر يطول ، وأنا لم أذكر شيئا من ذلك هنا إلا مقدمة لما سأذكره في الفصل الثاني ، والثاني مقدمة للثالث أعني أني كما قلت لك سابقا أريد بهذه المقدمة أن أبين عجائب الأعداد في نفوسنا ، ولكني لا أطيل أكثر من اللازم ، وأقفي بأن أمثال هذه القوانين التي في نفوسنا وجدت في نفس الطبيعة ، ثم أقفي بأن أقول : من العار على هذا الانسان (الذي وجد في نفسه تلك القوانين ، ثم عرفها في الطبيعة ، ثم استعملها في الصناعات التي يعيش بها) أن يكون غافلا أشد الغفلة ، جاهلا أخس الجهل ، إذ لم يطبقها على نفس الانسان ، فالذي أريده من ذلك كله أن أبين أن للانسان في نفسه بصيرة ولكنها محجوبة عنه ، ومادامت محجوبة فانه يكون معذبا في حياته الدنيا والآخرة ، وهذا أصبحت به موقنا ، فعليّ إذن أن أبينه لنوع الانسان . قال : إذن فلنكتف في هذا الفصل بما ذكرت ونبتدئ في الفصل الثاني . فقلت : نعم ولكن بقي أن آتي بلمعة يسيرة لأتم هذا المقال ، وذلك بذكر الأعداد المتحابة وذكر الأعداد الكاملة لتدهش أيها الذكي من عجائب نفوسنا البديعة . فقال : أرجو أن توضحه هنا ايضاحا تاما . فقلت : انه سيأتي في ﴿ سورة الرحمن ﴾ عند قوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » فاني سأبين هناك أن العوالم كلها مبنية على الحساب كنص الآية ، ولكني أشير إليه هنا إشارة بسيطة لاستيفاء المقام :

اعلم أن العدد الكامل هو الذي يساوي مجموع مضاريبه ، أما الناقص والزائد فهما على خلافه فعدد ٦ من ضرب ٢ في ٣ ومن ضرب نفس العدد في ١ وبجمع ٢ و٣ و١ يكون المجموع ٦ وهذا العدد نادر جدا ، وعدد ٢٨ ناتج من ضرب ٢ في ١٤ ومن ضرب ٤ في ٧ ومن ضرب ٢٨ في ١ وبجمع ١ و٢ و٤ و٧ و١٤ يكون المجموع ٢٨ وليس في الأعداد من ١ الى ١٠٠ سوى هذين العددين ، وله جدول تجده في هذا التفسير عند ذكر خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وهنا أذكر قاعدة استخراج الأعداد الكوامل لمناسبة المتوالية الهندسية المذكورة التي رأينا فيها عجائب الأوفاق العددية السابقة ، فانظر ما يأتي :

٢	٤	٨	١٦	٣٢	٦٤	١٢٨	٢٥٦	٥١٢
٦		٢٨		٤٩٦		٨١٢٨		١٣٠٨١٦
٣ في ٢		٧ في ٤		٣١ في ١٦		١٢٧ في ٦٤		٥١١ في ٢٥٦

فلما نظره قال : لم أفهم شيئا ؟ فقلت : إن هذه هي المتواليه الهندسية ، فانك في الصف الأعلى تجد ٢ و٤ و٨ و١٦ وهكذا ، ففي الصف الذي تحته تجد الأعداد الكوامل وهي ٦ و٢٨ وهكذا ، أما في الصف الأسفل فانك تجد أن ٢ التي في أول الفاصل الأول من أعلى قد نقلت تحت ٤ في نفس الفاصل وتجد عدد ٣ في نفس الفاصل قد وضعت في محاذاة ٢ وعدد ٣ هذا هو عدد ٤ في الفاصل الأول المذكور نقصنا منه واحدا ، وبضرب ٣ في ٢ يكون الحاصل ٦ وهذا هو المطلوب ، وهكذا نفعل في الفاصل الذي دون عدد ٤ الذي في أعلاه قد وضعناه في أسفل الصف الذي في أعلاه ثمانية و٧ التي هي في محاذاة ٤ هي عين ٨ التي عند الفاصل الذي وقعت واحدا ، وبضرب ٧ في ٤ يكون عدد ٢٨ وهو العدد الكامل . ونفعل من هذا على الدوام في كل المتواليات الهندسية بلا حصر ، ويمكن أن نضع جدولا بأعداد كوامل من غير نصب يبلغ العدد وآلافا ، وقد ذكرت هذا الجدول المذكور بما تقدم من هذا التفسير ، ولكن لم أذكر هذه القاعدة هناك ، وقاعدة سنأخر بمشيئة .

فقال : إن هذا عجب عجاب ! كيف تكون المتوالية الهندسية ذات خواص على هذا المنوال ، فلها ذات أوفاق عددية وزوجية عجيبة ، وبها أمكننا استخراج الأعداد الكوامل ، ولكن لم أعرف الأعداد المتحابة فقلت : انها واضحة هي وطريقة استخراجها فى ﴿ سورة الرحمن ﴾ فيما يأتى . فقال : ولكنى أرجو أن أعرف طرفا منها هنا لأتصور أمرها ؟ فقلت : هي من أسرار عدد ٢ كالتى قبلها ، فانك تجد عددى ٢٢٠ و٢٨٤ متحابين ، لأن مضاريب ٢٢٠ يساوى مضاريب ٢٨٤ والعكس ، لأن ٢٢٠ يساوى ١ و٢ و٤ و٧١ و١٤٢ وهذه عينها مضاريب ٢٨٤ و٢٨٤ يساوى مضاريب ٢٢٠ وهى ١ و٢ و٤ و٥ و١٠ و١١ و٢٠ و٢٢ و٤٤ و٥٥ و١١٠ واستخراج هذا كله بسبب عدد ٢ لأنه اذا ضرب فى ٣ ثم فى ٦ ثم ضرب مربعه وهو ٤ فى ١٨ حصل عندنا ٦ و١٢ و٧٢ فاذا نقصنا من هذه الثلاثة واحدا واحدا كان هكذا ٥ ١١ ٧١ واذا ضربنا ٥ فى ١١ وضربنا الناتج وهو ٥٥ فى ٤ كان الناتج ٢٢٠ وهو أحد العددين السابقين ، ويمكن إيجاد العدد الآخر بضرب ٧١ فى مربع ٢ المذكور ، وهو ٤ فيكون الناتج ٢٨٤ وهو العدد الثانى وهو المطلوب ، وهكذا يمكن استعمال أىّ قوّة من قوى عدد (٢) على هذا النمط لاستخراج الأعداد المتحابة ، وهذا سيتضح اتضاحا تاما فى ﴿ سورة الرحمن ﴾ فانتظره . فقال : حقا قد استوفينا هذا المقام بقدر الامكان . فقلت : بقى الكلام على الكسر الدائر البسيط والمركب ، فانظر ½ فهو اذا جعل كسرا اعشاريا يكون هكذا ٠٫٣٣٣٣ وهكذا إلى مالانهاية له فهذا كسر دائر بسيط ، وانظر الكسر الدائر المركب فهو كهذا ½ وهكذا إلى مالانهاية ٠٫١٤٢٩٥٧١٤٢٩٥٧ وترى كسر ½ ٠٫١٦٦٦ إلى مالانهاية له . واعلم أن الأعداد البسيطة على ثلاثة أقسام : زوجية وكلها كسورها منتهية وهى ½ و¼ و⅛ فهى تساوى ٠٫٥ و٠٫٢٥ و٠٫١٢٥ وفردية وهى كلها غير منتهية ، وقد تقدّمت هنا ، وأعداد أوّلية مثل ½ والأوّل ٠٫٢ فهو مسته كالأعداد الزوجية ، والثانى غير مسته كالأعداد الفردية .

اللهم إنا نحمدك ونشكرك ، أنت الجليل ، أنت الحكيم ، أنت البديع ، أبدعت نفوسا وملأتها بالجمال أنت العليم تعلم كل شىء ، ولما أبدعت أرواحنا أشرق عليها نورك فأصبحت الأعداد من كيانها ومزاجها وحقيقتها ، وهذه الأعداد لها نظام جميل ، فاذا كانت الكسور المتقدّمة قد اختلفت (فمنها ماله نهاية ، ومنها مالانهايةله ، ومالانهاية له إما كسر دائر بسيط ، واما كسر دائر مركب ، ولكل من هذه الأقسام التى امتزجت بنفوسنا نتائج طاهرات فى العوالم حولنا) فان أمر نفوسنا إذن لعجيب ، إذ كيف ترى ماحسبناه فى الأعداد الممتزجة بنفوسنا تصير مظاهره فى العوالم حولنا كما سيأتى فى الفصل الذى يلى هذا ومابعده مثل :

(١) إن سير الكواكب لم يخرج عن الكسر الدائر المركب ، وذلك بسبب تكرار الأدوار فى القرون والدهور .

(٢) ومثل ان هذا النوع الانسانى لايعلم لأجزاء المادّة نهاية عند تحليلها الكيمائى كما لاعلم له بنهاية الكسر الدائر .

(٣) ومثل عدم علمه بنهاية العالم من حيث المكان من جهاته الست .

(٤) وكذلك هو لايعلم متى ابتدأ الزمن متى ينتهى . إن هذا كله قد أوضحه الكسر الدائر الذى وعته نفوسنا إذن نفوسنا كمنت فيها العوالم ونماذجها .

(٥) ومن هذا أيضا ندرك أن الله لانهاية لعلمه ، واذا كان الكسر الدائر لانهاية له وقد انطوت عليه نفوسنا وصار فيها محملا . وعلومنا بالنسبة لعلم الله أقلّ آلاف مرات من نسبة أجسامنا إلى العوالم كلها ، فهو إذن فى علم الله مع عدم نهايته معقلا . واذا نحن عرفنا الكسوف والخسوف بعد آلاف

آلاف السنين معرفة مجملة فالله يعلم ذلك مفصلا ، ويعلم كل الحوادث الصغيرة والكبيرة التي لانهاية لها مفصلة وذلك التفصيل ضرب له المثل بما سيأتي :

(٦) ألم تر المثلثين اللذين رسمناهما آنفا وفيهما المتواليتان العددية والهندسية ، أفلا تعجب معي أيها الأخ الذكي ، أفلا تدهش أن ترى عدد ٥ في المتوالية العددية وعدد ١٦ في المتوالية الهندسية قد جاء وضعهما في المربع الذي هو في وسط المثلثين ، فكما كان عدد ٥ هو وسط ٩ هكذا عدد ١٣ وسطها ثم ان ضرب ٥ في جذر ٩ هو عين مجموع الصفوف الأفقية والرأسية والقطرية ، هكذا تكعيب ١٦ هو حاصل ضرب كل صف وكل قطر ، هذا النظام الذي تقدم فيهما يدلنا على أن نظام العالم على هذا النمط كما نرى نظيره في ترتيب العناصر الذي تقدم ذكره في سورة العنكبوت ، فان صانع العالم رجنا بعلم الحساب وبهذه العجائب فيه التي أرتنا مفصلات الجداول منظمة مرتبة لاخلل فيها ولاخطأ ، ولواختل منها واحد لاختل الجميع ، وهذا هو الذي نفهم به على سبيل اليقين والمشاهدة ولو بطريق التنظير قوله تعالى : « وكل شيء فصلناه تفصيلا » وقوله « إنا كل شيء خلقناه بقدر » وقوله : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » وقوله : « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وذلك لأن الحساب لايغير ، ولو غير الحساب لاختل نظام المجموع ، فكل امرئ في الأرض أشبه بعدد في مربع من تلك الأعداد ، وكل أمة أشبه بجدول أفقي أو رأسي وبين الأفراد علاقات لاخلل فيها ، وكل فرد وكل أمة تختلف عن الأخرى ، وهكذا خلق كل حيوان وكل انسان وكل معدن الخ .

(٧و٨) نظام الأمم ، وتشريح الأجسام : وكما أن علم الله مبني على نظام واحد وهو حساب محكم ظهر لنا نموذجه الذي تقبله عقولنا الضعيفة هكذا يجب أن يكون نظام أمم الأرض جميعا ، لأن اختلاط الأمم الآن دلنا أنهن متعاونات مرتبطات ارتباط هذه الأعداد ببعضها ارتباطا لا انفصام له ولا انقطاع ، وأي فرق بين ارتباط الأمم وتعاونها وارتباط أعداد هذه الأوفق وتناسب أعضاء الجسم الواحد ؟ فالرجل لو نطقت لقالت أنا أحب العين وكلاهما يحب الكبد والكلية والعظم وما أشبههن .

الله أكبر جل الله : ظهر الحق واستبان السبيل . فقال صديقي : وأي حق غير ما تقدم ؟ فقلت : هو سر الأسرار وعلم الأبرار . فقال : وما هو يرحمك الله ؟ فقلت : أي صديقي : اذا كانت هذه حال الأعضاء من الصداقة والمودة بحيث يرى كل عضو لو كان يعقل أنه يحب بقية الأعضاء ولا يحسد واحدا منها ، لأن الجميع ينفع بعضه بعضا ، غاية الأمر أن الأعمال اختلفت كما أن عدد ١ و٢ و٣ الخ في الوفق المتقدم كل واحد منها في مربعه وهو مرتبط بجدوله وبالجداول الأخرى وبينهن مناسبات عجيبة ، بل لو نطقن لقال كل واحد انى أحب باقي الأعداد لأن الوفق كله لايتم اذا نقص واحد منها أو زاد أو انتقل من محله كما ينقص الجسم بنقص عضو واحد وتتألم لفقده بقية الأعضاء ، والذي يخطر لي كثيرا أن هذه العقول الانسانية في الأرض سائرة إلى هذه الحال يوما ما . وهي قبل أن تصل إلى هذه الحال لاتزال في ذل وعذاب مهين كأهل أرصا اليوم ، فان كل أمة من شدة الجهالة الغاشية في نوع الانسان تريد أن تستقل بالحياة . وهي في ذلك أشبه بعضو في الجسم ، أو مربع في الوفق يريد الاستقلال بالحياة وحده ويذهب الباقي من الحياة . وهذا هو السبب في أن حقد والحسد وبعض الناس من الكبائر ، لأن ذلك حجاب حجب هذه الناس عن الاتحاد الذي يجعل كل نفس تفرح بمسرة ، وهذا إلى الآن لم يكن له أثر في أرصا إلا قليلا ، وقد نجد رجل الحكومة يتعاون مع رجل المستعمرات وغيرهم ، ولكنه تعاون ظاهري ، وكل يقصد نفسه ، وخير لكل مرئ في الأرض أن يقصد المجموع لا نفسه كما

قدّمناه فى ﴿سورة الزمر﴾ منقولا عن الاستاذ [كانت] الألمانى فى رسالته عن التعلم ، فانه حض جميع أفراد الأمم على أن يكون المقصد الأسمى سعادة المجموع . هذا هو الحقّ الصراح ، فليجدّ المسلمون من الآن فى إسعاد جميع النوع الانسانى ، وهذا هو سبيل الله والجهاد فيه موصل للقاء الله عزوجل ، وكيف يلاقى الناس ربهم وهذه حال قلوبهم المملوءة جهالة بهذا الوجود وبهذه النفوس . وبهذا انتهى الكلام على الفصل الأوّل فى حدائق النفس وبساتينها .

الفصل الثانى فى حدائق العلوم التى تفيأ الناس ظلالها

وعاشوا فى أكنافها من علم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والمعادن وجميع الصناعات

لقد ذكرنا فى الفصل السابق الجذر والتربيع ، وأبنا أسرارا بديعة جميلة . وحكما بالغة ، وذلك فى المثلثات القائمات الزوايا ، وكيف كان عدد ١ و٢ و٣ الخ بواسطة الجذر والتربيع أمكن استخراج آلاف آلاف المثلثات القائمات الزوايا ذوات الأوتار والقواعد والارتفاعات اللاتى لهنّ من المناسبات والاتفاقات والعجائب مالا حصر له . هذا هو الذى رأيناه فى خفايا نفوسنا (كما قال تعالى : وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فهاهو ذا الذى فهمته نفوسنا واشتملت عليه سواء أكانت جاهلة به أم عالمته طهر فى نفس الطبيعة ، ألا تذكر بعض ماتقدّم من الجذر والتربيع فى هذا التفسير ؟ فقال نعم قد تقدّم فى مواضع كثيرة مثل ماجاء فى أوّل [آل عمران] ، ذلك ان سرعة الأجسام الساقطة الى بئر مثلا من فوق جبل ، أو ارتفاع ما ، أو من فوق الأرض نفسها تكون بحساب ١٦ قدما مضروبة فى ١ فى الثانية الأولى ، وفى ٣ للثانية الثانية ، وفى ٥ للثانية الثالثة ، وفى ٧ للثانية الرابعة ﴿وبعبارة أخرى﴾ ١٦ فى الأعداد الوترية ١ ٣ ٥ ٧ ٩ ١١ ١٣ ١٥ وهكذا لكل ثانية على التوالى ، واذا ضربنا عدد الثوانى مربعا فى ١٦ قدما كان ذلك هو البعد الذى سقطه الجسم ، فالثانيتان يكون البعد فيهما ٤ فى ١٦ والثلاثة ٩ فى ١٦ والأربعة ١٦ فى ١٦ ﴿وبعبارة أخرى﴾ ١ ٣ ٥ ٧ ٩ ١١ ١٣ ١٥ اذا ضرب كل منها فى ١٦ كان الحاصل هو الذى سقطه الحجر فى تلك الثانية فقلت : أحسنت أيها الأخ متذكر تمام التذكر وهناك زيادة إيضاح ، ولكن الذى ذكرته أيها الأخ كاف فيما نحن بصدده ، ذلك أنا نريد فى هذا الفصل أن نبين أن المربعات (التى تقدّمت فى الفصل السابق وجذورها وهى فى نفوسنا ماهى إلا أعداد مجرّدة لها نظام عجيب من تربيع وجذر ولهما نتائج فى حساب المثلثات العقلية المطلقة الصحيحة) قد ظهرت آثارها فى الطبيعة حولنا مما يدل على أن نفوسنا بينها وبين العالم حولنا مناسبة وكلما رددنا دراسة ردنا علما بنفوسنا ، وكنا أقرب إلى ربنا ، وهل يكون قرب إلا بالعلم ؟ وهل العبادة إلا فتح باب للعلم ، وهل الصيام والحج والزكاة إلا مساعدات على حلوص النفس من أوحال هذه الدنيا فتلحق بالعالم المجرّد عن هذه المادّة فتقرب من ربها ، وهل ترى أعجب من أن التربيع والجذر الكامنين فى نفوسنا قد ظهرا فى الطبيعة التى صنعها الله عزّوجل بيده بحسابه المتشكل لما فى نفوسنا « ولله المثل الأعلى » الذى بدرسه نزيد حبا له وعشقا وغراما

ثم قلت له : هذا هو الجذر والتربيع فى حركات الأحجار الساقطات ، فهل تذكر جذرا وتربيعا فى غير ذلك ؟ فقال نعم قد تقدّم فى ﴿سورة الرعد﴾ عند قوله تعالى : « وكل شىء عنده بمقدار » فهناك الجذر والتربيع فى سرعة الدور والصوت والحرارة والحادية ، ذلك أن شدة الصوت تقلّ بمقدار مايزيد مربع البعد عن الجسم الصائت كما إذا أتينا بأربعة أحراس بحجم واحد ووضعناها على بعد ٤٠ ذراعا ووضعنا جرسا آخر بحجمها على بعد ٢٠ ذراعا ، فإنا نحس صوت الأربعة كصوت الواحد ، لأن بعدها كبعده مرّتين و٢ × ٢ = ٤ فيكون كل واحد من الأربعة صوته كصوت الجرس القريب . ونقول مثل ذلك

فى الحرارة ، وفى النور ، وفى الجاذبية فهنّ سواء ، والتمثيل والايضاح تقدّماهناك ، فهل أعيده ؟ فقلت . كلا . لأنا هنا نريد التذكير بما مضى ومن أراد فليراجع مانقدّم . ثم قلت : هل تتذكر فيما مضى عجائب المتوالية العددية والهندسية المتقدّمة فى الفصل السابق حتى يكون التطبيق عليها مما سبق فى هذا التفسير ؟ فقال نعم أتذكر مامرّ فى [سورة العنكبوت] عند آية : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » فان هناك جدول العناصر البسيطة التى كشفها العلماء ، وقد وضعت منظمة بحيث رأينا أن الايدروجين هو الوحدة التى يقاس عليها ، وأن الهليوم زاد عليه اثنين تقريبا ، وهكذا عناصر أخرى عدّوها مع ضم الايدروجين إليها ٨ وثامنها الاكسوجين وهو له عدد ١٦ فكان لكل واحد اثنان فى الجملة وان اختلف بعض أفرادها وتجد أن ذرّة الكبريت ٣٢ وكسر وهى تمام الثمانية الثانية ، وعلى كل فالنسبة بين كل عنصرين اثنان ولكن هذا أمر تقريبى قد يختلف ، ثم لننظر إلى الصفوف الرأسية التى يسمونها الطوائف فنجد أن الليثيوم فى الصف الرأسى ٦٫٩٤ والصوديوم تحته ٢٣ والفرق بينهما ١٦ ثم ان البوتاسيوم تحته ٣٩٫١ فالفرق بينهما ١٦ فهناك ثبت أن ترتيب زيادة العناصر ٢ ـ ٢ ـ ٢ عند وزنها معنى أن الايدروجين وهو أخفها جعل وحدة يقاس بها كما يقيس الناس بالذراع ، وهذه العناصر كلها أثقل منه بعدد ٢ ـ ٢ ـ ٢ إلى آخرها ثم وجد تناسب بينها فى الخطوط الرأسية ، إذن هى تفاوتت ٢ ـ ٢ ـ ٢ أفقيا وتفاوتت رأسيا بمضاعف ٢ وهو ١٦ وهو العدد المسمى بروج الروج الذى هو عدد الشطرنج المعروف ، فلما أجاب بذلك قلت له : لقد كنت قوىّ الذاكرة ، فلنكتف بهذا حتى اذا أراد أحد الأذكياء توسعا فى ذلك ورجع إلى نفس الجدول هناك رأى تفصيله . ثم قلت : وهل تذكر أثرا لأمثال هذا النظام فى علم النبات ؟ فقال نعم قد تقدّم فى [سورة البقرة] عند آية الطير وابراهيم أن العناصر تدخل فى نظام النبات بحساب ، فاذا شئت بسطت القول فيه فهو هناك مفصل . فقلت . كلا . فمن أراده فليراجعه هناك وفى أىّ سورة أخرى غير البقرة . قال فى سور كثيرة ومنها سورة الحجر ، فان هناك بين الأوراق مناسبة عجيبة جدّا لأنا نجد شجرة التفاح المرسومة هناك أوراقها ذوات دوائر منظمة تامة النظام ، وكل دائرة تحوى دائرتين صغيرتين ، وتشتمل على خمس ورقات متكون هكذا ٢/٣ فالرقم الأعلى يشعر بالشكلين الحلزونيين ، والرقم الأسفل يشعر بعدد الأوراق ، وهناك نباتات أخرى فيها نسبة بين أوراقها وأشكالها الحلزونية ، وهناك نظمت هذه النسب وجعلت بهيئة جيلة ، ولم نظر فيها العلماء وجدوا بين هذه النسب بدائع حسابية جيلة ، فكما كانت العناصر بينها نسب هندسية وحسابية ، هكذا جميع أوراق الشجر فى مشارق الأرض ومغاربها بين بسط كل منها مع مقامه مناسبات لبسط باقى النبات ومقامه . فقلت : وهذا مما يحير هذا الانسان الجهول الذى لم يدرس نفسه حتى يعلم أن بين أفراده فى جميع أممه نسبا حسابية . وهذه النسب جعلت لانتفاع المزايا الانسانية المختلفة لا القضاء عليها ولا محاربتها (انظر شكل ٢٧ و ٢٨) الآتيين فى الصفحة التالية .

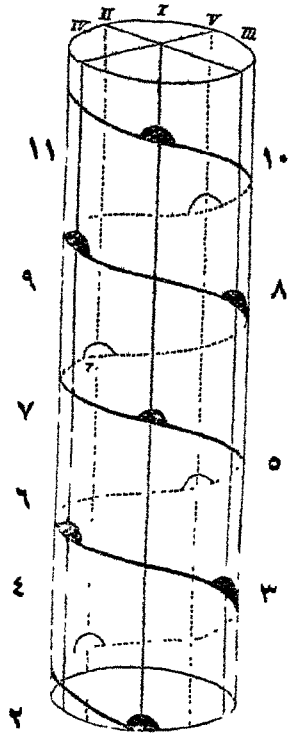

١ (شكل ٢٧)

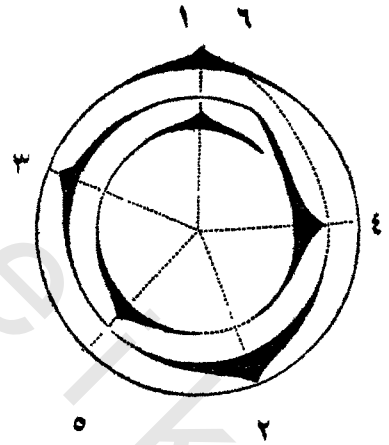

٢ (شكل ٢٨)

قد جاء فى المجلد الثامن من هذا التفسير مانصه : « هاتان الصورتان المرسومتان أولاهما صورة الغصن التفاح أوالبلوط وقد دارت الأوراق عليه مبتدئة من الأسفل دائرة حول الغصن ، فالورقة الأولى المعنون عنها بعدد واحد تتلوها خمس قد صنعت دورتين حلزونيتين كما قدمنا ، والخامسة منها التى هى السادسة فى العدد تراها أمامك فى الرسم فوق الأولى على خط مستقيم وهى تمام الدائرة الأولى وتليها الدائرة الثانية ، ونهايتها ومبدأ الدائرة الثالثة عدد ١١ وهكذا ، هذا واضح فى الشكل الأوّل ، ولكن لما كان هذا لايظهر منه أن كل خمس ورقات دائرة تامّة وجب رسم الشكل الثانى الذى يمثل الدائرة التامّة من هذه الدوائر بورقاتها الخمس بوضعها الأفقى لتظهر للناس فيعلمون أن هذه الأوراق الموضوعة وضعا رأسيا هى دائرة تامّة منظمة مقسمة خمسة أقسام بخمس ورقات كل قسم منها ٧٢ درجة تقسيما عادلا » .

فانظر فى الشكل الثانى (شكل ٢٨) فانك تجد الورقات الخمس التى صنعت دورتين حلزونيتين قد ظهرت واضحة جليـة ، فالورقة الأولى عدد ١ والثانية عدد ٢ والثالثة عدد ٣ وهكذا إلى السادسة التى جاءت فى مقابلة الأولى على خط مستقيم ، ومن أراد الزيادة فليقرأ هذا الموضوع هناك اه

موازنة حساب الأجرام السماوية بالكسر الدائر

ثم قلت : فهل تذكر مما تقدّم فى هذا التفسير نظيرا للكسر الدائر ؟ فقال نعم تقدّم فى بعض السور كثير منه ولكنى لا أتذكره . فقلت اننا كما نقول ان الكسر الاعتيادى $\frac{1}{7}$ اذا حوّلناه إلى كسر اعشارى يصير مركبا من ستة أعداد تتكرّر بلانهاية هكذا نقول فى حساب الكواكب بعد أن تعرف عدد أيام السيارات مثلا لحلول :

عدد الأيام		عدد الأيام	
عطارد	٨٨	المشترى	٤٣٣٣
الزهرا	٢٢٥	زحل	١٠٧٥٩
الأرض	٣٦٥	أورانوس	٣٠٦٨٧
المريخ	٦٨٧	نبتون	٦٠١٢٧

تذكرة

أعداد أيام السيارات التى حصل فيها جبر للكسر

لتسهيل الموازنة بين الكسر الاعشارى السابق و بين حساب الكواكب ، فاذا قلنا ان الكسر $\frac{1}{7}$ يساوى ١٤٢٩٥٧ ١٤٢٩٥٧ ١٤٢٩٥٧ر٠ وهكذا تكرّر هذه الأرقام الستة بلانهاية وهى ١-٤-٢-٩-٥-٧ هكذا نقول عطارد يدور إلى الأبد على مقتضى هذه الأعداد ٨٨ ٨٨ ٨٨ وهكذا إلى مالانهاية له ، ونقول : الأرض تسير على هذا النمط ٣٦٥ ٣٦٥ ٣٦٥ ٣٦٥ ٣٦٥ الى مالانهاية له ، وأورانوس يدور على هذا الحساب وهو ٣٠٦٨٧ - ٣٠٦٨٧ - ٣٠٦٨٧ - ٣٠٦٨٧ :

اللهم انك أنت الحكيم الجميل العليم ، أنت أبدعت الجمال والحكمة ، وأريتنا الكسر الدائر ظاهرا نظيره فى سير الكواكب ، وفى تركيب كل مركب ، فهو فى الحركات وفى نظام العناصر ، فيالليت شعرى هل كانت هذه الدورات الفلكية نتيجة تقسيم الواحد الصحيح إلى أجزائه ، أم ماذا كان ؟ وكيف كان الكسر $\frac{1}{7}$ تكررت فيه ٦ أرقام من الأعداد البسيطة ، وأورانوس تكرّر فيه ٤ منها ، ونبتون كذلك ، وهكذا المشترى وزحل وفى عطارد ٢ وفى الزهرة والمريخ والأرض ٣ ، فيظهر لى أن العوالم أجمعها كأنها وحدة ، وهذه الوحدة تتجزأ ، دائما وتتبع طريقا مرسوما لا تتحوّل عنه كما لم يتحوّل الكسر الدائر عن منهجه ، واذا كان الكسر المذكور لا تنتهى أدواره ، هكذا هذه الدرارى لا تنتهى أدوارها انتهاء معلوما لنا بل علم الانتهاء عند خالقها ومدبرها ، وبهذا تمّ الكلام على الفصل الثانى ، وهو تطبيق ماظهر فى العوالم من الحساب الموافق لما فى نفوسنا جذرا وتربيعا وكسرا دائرا ومتواليات هندسية وحسابية وغيرها .

الفصل الثالث

فى أن الأمم وان استظلت بظلال تلك العلوم فى حياتها لم تجن ثمراتها فى سياساتها ، ولم تتناول القطوف الدانية ، من العصون الوارفة ، فى تلك الأشجار الباسقة ، بل هم لايزالون بنظام أنفسهم فوق الأرض جاهلين

ألم تر أيها الصديق أن هذا الانسان رأى الثعلب يصيد فقلده ، والعنكبوت شبكة للصيد فقلده ، والبعض السمك مفشارا و بلطة فقلده ، والسرطان درعا فقلده ، وأخذ أحقاق النشوق عن [أم الخلول] ، وحرث الأرض عن الخنزير ، والتباعد عن الروائح الكريهة من الهرّة ، وتعاطى المسهلات عن الكلب . وتجنيد الجنود عن النمل ، والمشاورة عن المقنق ، والحذر عن الغراب ، واتخاذ أجنحة عن الفنس . والخيلاء عن النمر ، والهندسة عن النحل ، وعمل الفقس عن الحمل [بفتح الحاء واللام] . وأخذ الكهربا عن السمك الرعاد ، والغناء عن الطيور ، و بناء الأقنية عن بعض الثيران ، والهندرة فى البنية والنجارة عن كلب الماء ، وصناعة الورق عن الزنابير ، والغزل عن دود القز ، والمسح عن دود الربيع . وحياكة البديعة الدقيقة عن بعض الطيور ، وهكذا الخياطة والكحل والمراياعن النمل .

كل ذلك وأكثر منه تقدم فى [سورة طه] فكل مايصنعه الانسان اليوم لرقى حياته تعلمه من الحيوان ونعم مافعل ، ولكنه لايزال فى سياسته طفلا غرا جاهلا أبله ، ذلك أنه استعمل عقله فى درس هذا الوجود ، وابتدأ معارفه بالعلوم الرياضية ، والعلوم الرياضية هدته إلى استعمال العوالم التى حوله ، وهاهوذا الانسان شرقيه وغربيه أدرك الجذر والتربيع المشروح آنفا ورآهما ظاهرين واضحين فى الطبيعة كما تقدم فى بعض الفصول السابقة ، وأن الضوء والجاذبية والكهرباء والصوت كلها انتشرت حولها بمقتضى هذين القانونين ، وهكذا رأى هذا الانسان أن ١ ٢ ٣ الخ بجذرها وتربيعها وأعمال حسابية أخرى نتجت منها مثلثات لاعدد لها ، منظمة الحساب ، قائمة الزوايا كما تقدم ، فاستعمل ذلك كله ، ورأى الكسر الدائر المشروح فيما تقدم فوجد له نظيرا فى المادة وهو أولا أنها لم تعرف لها نهاية فى جميع أقطارها علوا وسفلا ويمينا وشمالا ، ولافى زمانها أزلا وأبدا ، ولا فى عظمتها وبعدها المكانى ، ولافى أجزائها عند تحليلها ، فكل هذه لم يعرف لها الانسان نهاية كما لم يكن للكسر الدائر نهاية ، وقد تقدم هذا كله ، وأعداده هنا لترتب عليه مايأتى ، وهوالمقصود من هذه المقالات كلها .

الانسان لم يدرس حقائق السياسة كما درس أحوال الحياة

هذا الانسان درس ذلك كله مدفوعا بعامل الحاجة المقومة لهيكله ، الحافظة لحياته ، ولكنه إلى الآن لم يتفرغ لدراسة نظامه السياسى ، ذلك لأن النظام السياسى كمال ونظام الحياة مقدمة له ، والمقدمات عادة تصنع قبل النتائج .

اذا كان الانسان قدر على استكمال نظام حياته واستعان عليها بالرياضيات التى تعلمت من صميم العوالم المحيطة به من كل جانب فأحرى به الآن أن يستكمل السياسة بالعلوم الرياضية أيضا ، مثلا الجداول المقدمة المسماة بالأوفاق فانظر فيها أليس المربع الذى فيه عدد ١ والذى فيه عدد ٢ وهكذا إلى نهاية الجدول كل منها فى مرتبة لايسد بها غيره ، وله صلة بجميع الأعداد ، وفى الوسط هناك عدد هو أكبرها ، فتأمل هناك تجد نظاما حسابيا بديعا أشبه شىء بنظام الجسم الانسانى والحيوانى ، فكما أن كل عدد فى الوفق لايغنى عنه سواه ويتوقف عليه جميع ماسواه : هكذا كل عضو فى الجسم لايغنى عنه سواه ويتوقف عليه ماسواه ، ولونطقت تلك الأعضاء أو تلك الأعداد لقالت إن المحبة بيننا تامة لشدة حاجة بعضنا إلى بعض ، واذا كانت العناصر المذكورة فى [سورة العنكبوت] المشار إليها آنفا بينها نسب هندسية وحسابية ، وهكذا أوراق النبات المرسومة المحسوبة فى [سورة الحجر] .

أقول : اذا كانت هذه كلها بينها نسب فليس من المعقول أن تكون عقول النوع الانسانى وحدها هى المجردة من الحساب ولنظم فنحن ثوتا لاشك فيه أن بنى آدم يجهلون أنفسهم حق تقيها ولابد من دراستها حتى يعرفوا استعداد كل أمة وكل قسل وكل طائفة ، وتوضع كل أمة وكل فرد فى مرتبته التى فطر عليها ، وهذا آت لاشك فيه ، والسعيد لذلك قد شرحته فى كتابى [أين الانسان] وهذا يتضمن معنى الآيات التى نحن بصدد الكلام عليها وهى : « وفى الأرض آيات للموقنين » والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الثلاثاء ١٢ مايو سنة ١٩٣٢ م

اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

اعلم أيها الذكى أن هذه الآية الشريفة من الرحمة التى استدرك بها كل ماشملته الرحمة ، وبها لايسعد أحد ولا يكمل ، فكل شىء فى هذا الوجود حتى الذرة ، واذا تقدمت هذه العناصر فما فيه جمال

وبهجة لأذكياء المسلمين ، ولكن لابدّ من أن نذكر هنا [ثلاث شذرات جيلات] تبصرة وذكرى ورحمة للذاكرين ، وتلك الشذرات لاتختص بعلم تشريح البدن الذى هوالممهد لعلم النفس ، ولابعلم الطب الذى به اصلاح البدن ، ولابعلم النفس الذى هو المقصود بالذات ، بل يعمّ هذه الثلاثة .

الشذرة الأولى فى كريات الدم الحمراء

جاء فى جريدة الاهرام أوّل يناير سنة ١٩٣٢ م تحت هذا العنوان مانصه : « نشرت صحيفة ألمانية خلاصة إحصاء وضعه الاستاذ [كيزرلنغ] عن عدد الكريات الحمراء فى دم الانسان ، ففى الألتار الخمسة (وهى مقدار مافى جسم الانسان العادى من الدم) من الدم ٢٥ تريليون كرية حمراء ، واذا وضعت تلك الكريات الواحدة إلى جنب الأخرى ألفت خطا طوله ١٨٧٫٠٠٠ كيلومتر ، ويقتضى عدّها ثمانين ألف سنة بلا انقطاع اذا عدّت عشر كريات فى الثانية ، واذا [1] وضعت الكرية الواحدة فوق الأخرى بلغ ارتفاعها ٦٢ ألف متر : أى ما يبلغ مرّة ونصف من محيط الأرض ، وذلك يساوى مسافة يقطعها قطار الاكسبريس فى مائة يوم اذا كان يقطع سبعين كيلومترا فى الساعة ، واذا وضعت الكريات الحمراء بعضها إلى جنب بعض غطت سطحا تبلغ مساحته ١٤٠٠ متر مربع » انتهت الشذرة الأولى .

الشذرة الثانية

فى بعض المنافع الطبية التى تقدّم فى هذا الكتاب كثير منها تغنى أولى الألباب عن الطبيب غالبا كما جرّبته ولكن الذى ذكرته فى طب الأسنان كان يعوزه ماهو أكمل فيه لأنه تقدّم فى هذا التفسير أن الأسنان عليها مدار أكثر الصحة فى الحياة ، وقلنا هناك ان الأمة الألمانية وغيرها لاتدع مريضا إلا كتبت قبل الشروع فى مداواته عن صحة الأسنان ، فتى داوتها كان ذلك حطوة فى صحة المريض ، فهاك ماقاله الدكتور محمد على عثمان طبيب الأسنان المعروف بالقاهرة خريج كلية الطب الملكية المصرية ، وهذا نصه : ـ

وجوب المحافظة على الأسنان

الأسنان هى أجسام صلبة تشبه العظام ، موضوعة فى مدخل القناة الهضمية ، ومثبتة فى قطعتين من العظم يقال لهما الفكان ، وظيفتها قضم ومضغ الطعام وتهيئته حتى يسهل على المعدة هضمه ، فطبيعى أن نظافة الطعام المعدّ للهضم ، وخلوّه من الميكروبات تتوقف على نظافة الأسنان وخلوّها من المواد المتعفنة ، فاذا كانت الأسنان غير نظيفة فعند المضغ يختلط الطعام بما عليها من الأوساخ والمواد العفنة ، ويدخل المعدة فيسبب أمراض الامعاء وعسر الهضم ، وما إليها من أمراض القناة الهضمية ، وحرىّ بل ومحتم أن يمتص الدم جزءا من هذه المواد المعدية فيسبب كثيرا من الأمراض منها بل وأظهرها أمراض المفاصل وأمراض العين وغيرها ، فمن ذلك نرى أن العناية بنظافة الأسنان هى أساس الصحة .

تنظيف الأسنان

سواء أكانت بالسواك أوالفرشة أو المرحون [الفرشة هى التى تؤدّى الغرض اذا استعملت بالطريقة الصحيحة . الطريقة الشائعة فى استعمال السواك والمرحون هى تنظيف الأسنان بالآلة المستعملة وجعل تحريك الآلة فى اتجاه مضادّ للاتجاه الطولى للأسنان ، فهذه الطريقة خطأ ، فبينما تستعمل هذه الطريقة لتنظيف سطح من الأسنان ، فهى فى الوقت نفسه تدفع الفضلات المتجمعة بين الأسنان فتتحمر وتكون بؤرة يتجمع

(١) فى هذا خطأ وصواب وكان نقله بالحرف اهـ

حولها الأوساخ فتتكوّن المواد الجيرية على الأسنان وتظهر كأنها طبقة منها ، وهذه الطبقة الجيرية هي الأساس الأكبر في كل أمراض اللثة وتسويس الأسنان ، واستعمال هذه الطريقة يسبب تآكل اللثة شيئا فشيئا حتى تتعرّى الأسنان وتبتدئ تتخلخل .

الطريقة الصحيحة

هي بتحريك الأداة في اتجاه واحد مواز للاتجاه الطولي للأسنان بمعنى أنه عند تنظيف أسنان الفك الأسفل توضع الاداة عند ابتداء اللثة وتحرّك الأداة إلى أعلى ، ويكون التحريك دائما من أسفل إلى أعلى ، فبذلك تخرج كل الفضلات التي بين الأسنان ، أما في أسنان الفك الأعلى فيكون التحريك من أعلى إلى أسفل ، ويجب عمل هذه العملية على كل الأسنان (انظر شكل ٢٩)

(شكل ٢٩ ـ صورة تبين طريقة تنظيف الأسنان السفلى . اتجاه الفرجون من أسفل إلى أعلى)

بعد الانتهاء من تنظيف الأسنان يجب تدليك اللثة بالأصبع حتى تصير اللثة ذات ملمس ناعم غير لزج فهذا التدليك يفيد :

أوّلا : في أنه يزيل الطبقة الرفيعة من الطعام التي قد تكون على اللثة .

ثانيا : تجذب جزءا كبيرا من الدم النقيّ إلى هذه الجهة فتقويها .

[ملاحظة] يجب تدليك اللثة بعد كل أكل ، بل وكلما أمكن الانسان في أي لحظة وقت غسيل الفم . أما عملية تنظيف الأسنان فيجب أن تكرّر مرّتين في اليوم على الأقل [الأولى] قبل النوم مباشرة ، لأن الانسان عند ما ينام يكون فمه دائما مقفلا فلا يمرّ فيه إلا هواء الزفير المملوء بثاني اكسيد الكربون الذي يساعد على سرعة عملية التخمير مع بقايا الطعام ان كانت موجودة في الفم [والثانية] عند القيام من النوم ، وذلك أن الانسان في مدة النوم التي تتراوح بين ٦ — ٨ ساعات فيها لا يتجدّد لعابه فيكون غير مستعد لأن يؤدّي وظيفته على الوجه الأكمل كما ان طعم الفم عند الصباح لا يكون مقبولا .

عدد الأسنان عند الرجل والمرأة ٣٢ سنا ، منها ثمانية قواطع ، وأربعة أنياب ، وثمانية أضراس صغيرة ، واثنتا عشرة طواحن . وتتركب السن من تاج وهو الجزء الظاهر في الفم ، وجذر وهو الجزء المثبت في

الفك ومغطى باللثة ، و بين التاج والجذر طبقة يقال لها [عنق السن] ، وهى تكون الحدّ الفاصل بين الجذر والتاج ، وفى الحالة الطبيعية تكون [عنق السن] مغطاة باللثة . وتتكوّن الأسنان من : -

[ميناء] : وهى مادّة صلبة جدا ، بل أصلب مادّة فى جسم الانسان ، وهى تغطى التاج فقط .

[سيمنت] : وهى طبقة تشابه العظم العاوى من جسم الأسنان فى التركيب وتغطى الجذر .

[العظم] : وهى طبقة سميكة يتكوّن منها معظم جسم السن ، وتكون مغطاة بالميناء والسيمنت ، وتمتدّ من الداخل إلى اللب .

[اللب] وهو مركز الحياة فى السن ، وهو عبارة عن مجموعة شرايين وأوردة وعروق ، ومكانها فى تجويف داخل عظم السن ، ومحتويات اللب تتصل بالدائرة الدموية العامّة فى جسم الانسان ، ومن هذه المحتويات أيضا تتفرّع فروع دقيقة جدا تتخلل عظم السن والسيمنت ، وقد تمتدّ إلى جزء فى الميناء . ويتصل السن بعظم الفك بطبقة ليفية رفيعة تحيط جذور الأسنان ، و يمرّ فى هذه الطبقة بعض الشرايين والأوردة والعروق التى توصل الفروع المتفرّعة من اللب إلى الفروع الموجودة فى عظم الفك .

من ذلك ترى أن الأسنان عبارة عن أجسام حية ، لا كما يظنّ البعض أنها أجسام ميتة لاحياة فيها .

جذور الأسنان

كل القواطع والأنياب العليا والسفلى لها جذر واحد .

الأضراس الصغيرة كلها أيضا لها جذر واحد ماعدا الضرسين الصغيرين الأوّلين فى الفك الأعلى ، فقد يكون لهما جذران .

الأضراس العليا كلها لها ثلاثة جذور .

الأضراس السفلى كلها لها جذران فقط .

هذا التقسيم هو الشائع ، ولكن قد تشذ بعض الأسنان فتخالف المألوف .

تسويس الأسنان

يتكوّن تسويس الأسنان من : أن الانسان يترك بعض فضلات الطعام فى الفم فتتخمر وتفرز أحماضا تؤثر على مادّة الأسنان فتذيبها ، و بذلك تتكوّن فتحة فى الأسنان قابلة لأن تمتلئ ببقايا الطعام عند ما يكون التسو يس واصلا للعظم فقط قد يشعر الانسان بآلام عند شرب الماء البارد ، أو الساخن ، أومع استعمال كثير من التوابل ، أوعند الأكل ، وقد لايشعر الانسان بآلام قط ، واذا ترك هذا التسو يس بدون علاج يمتدّ إلى اللب فيسبب آلاما شديدة متقطعه غير محتملة ، وتزيد الآلام عند ماينام الانسان أفقيا وتكون حادّة جدا عند الأكل أو الشرب .

عند ما يكون التسويس فى الأسطح الجانبية للأسنان وهى الأسطح التى ليس عليها ضغط قد لايشعر الانسان بأىّ آلام ، وقد يصل التسويس إلى اللب بدون أن يدرك المريض ، ففى هذه الحالة قد يموت اللب و يبقى متعفنا يسبب خراجا .

أمراض الطبقة الليفية

قد تكون أمراضا حادّة ، وفى هذه الحالة يكون الألم مستمرّ دقة ، وتكون اللثة حول الأسنان محمرة ومتورّمة ، وتتألم لأىّ ضغط ، والأسنان أيضا تتألم عند الأكل ، أو مجرّد الضغط ، وتكون فى الغالب مخلخلة

وفى هذه الحالة يتكوّن فى الغالب خراجا حول السن المريض ، والأمراض المزمنة لهذه الطبقة تكون بتآكل اللثة مع هذه الطبقة ، وسببها يكون من ضغط المادّة الجيرية التى تتكوّن على الأسنان ، وقد تكون من أسباب أخرى كثيرة لايتسع المقام لذكرها .

أمراض اللثة

[التهاب فى اللثة] : وفى هذه الحالة تدمى اللثة من أقلّ لمس ، وسببها الأوساخ والموادّ الجيرية التى تتكوّن على الأسنان وعلاجها يكون بإزالة هذه الموادّ .

[تضخم اللثة] : قد تظهر اللثة متورّمة ، وتدمى لأقلّ لمس ، وسببها كالمرض السابق وغيرها من أمراض أخرى ، وأغلب أمراض اللثة تتقدم بدون أن يعيرها الانسان أدنى التفات فتسبب امتصاص العظم الذى حول الأسنان فتكوّن بذلك بين الأسنان وبين اللثة مسافة قابلة لتخزين فضلات الطعام فتتخمر فى هذه الجيوب ، فتجعل الفم ذا رائحة كريهة ، وعند ضغط اللثة تفرز صديدا ، وبعض من هذا الصديد يمتص فى الدم فيولد أمراضا كثيرة غير الأمراض التى تتولد من امتصاص هذا الصديد مع الطعام إلى المعدة والأمعاء .

من كل ماسبق نجد أن جميع الأمراض التى تتكوّن فى الفم نتيجتها وساخة الأسنان .

[ملاحظة] ـ إذا تكوّنت الموادّ الجيرية على الأسنان قد تترك سطحا خشنا ، فمن كثرة احتكاك اللسان بهذا السطح يتكوّن فيه قروح قد تسبب سرطانا . عند مايتقدم امتصاص العظم الذى حول الأسنان تجد الأسنان تتخلخل وتقع من زوال مايربطها بالفك . لايصح أن يعتبر كل تآكل فى العظم الذى حول الأسنان مرضا ، فان تقدّم السن يكون مصحوبا دائما بتآكل هذا العظم ، ففى حالة كبر السن لايصح أن يعتبر تعرية الأسنان مرضا إلا اذا كانت مصحوبة بعوارض أخرى .

تركيب الأسنان الصناعية

قد تسمم رأى معظم الناس بأن العلاج الوحيد للأسنان من أىّ مرض كان هو تغطيتها بغطاءات ذهبية .

ماعمل هذه الغطاءات الذهبية ؟

أولا : أنها تعزل السن المريض عن العوامل الخارجية فلايتأثر بالحرارة والبرودة وغيرهما .

ثانيا : فى الوقت نفسه يبقى المرض داخل الضرس فيخربه ، فبعد تركيب الغطاء الذهبى بمدّة وجيزة يبتدئ الضرس فى تسبب متاعب كثيرة ، وقد يكون علاجها شقا جدّا على المريض والطبيب .

ثالثا : إن هذه الأغطية تثبت على الضرس بطبقة من الأسمنت ، وأن هذه الطبقة قابلة للذوبان فى اللعاب فتترك بذلك مسافة بين الضرس والغطاء يصعب تنظيفها فتتخمر فيها بقايا الطعام وتسبب بذلك أمراض اللثة ومايتتج عنها من الأمراض الوبيلة .

رابعا : قد يضغط الذهب على اللثة فيسبب للانسان اختلالا فى الأعصاب لايعرف لها سببا .

خامسا : إن صعوبة تنظيف الفضلات التى بين الذهب واللسن تجعل رائحة الفم دائما كريهة .

من هنا ترى أضرار الغطاءات الذهبية المنتشرة فى كل أنحاء المعمورة ، والتى يجب أن نمتنع عنها بكل مانؤتيه من قوّة ، ولعلاج الأسنان يجب أن نبحث عن سبب المرض وتزيله ، فان كان الضرس به تسويس يجب أن نحشو الضرس حيدا بازالة الأجزاء المريضة . وبعد ذلك نضع فى الضرس حشوا ليحل محل ماأزيل

من الضرس ، وبذلك تتفادى عن عمل الأغطية الذهبية . وان كان لايمكن إزالة المرض يجب خلع الضرس إصالة حتى لايسبب للانسان متاعب لاداعي لها .

كثير من الناس عند مايخلع له ضرس لايفكر مطلقا إلا فى تركيب بدله شيئا ثابتا ، أو بمعنى آخر تركيب [كبرى ذهبي] والكبرى هوعبارة عن غطاءين ذهبيين مثبتين على الضرسين اللذين حول الضرس المخلوع وبين هذين الغطاءين يوجد ضرس ذهبي ملحوم بهما ، وأظننا بحثنا سابقا أضرار الأغطية الذهبية ولاداعي لذكرها الآن ، إنما أحسن طريقة لوضع بدل الأضراس المخلوعة هو طريقة الأجهزة المتحركة التي يمكن اخراجها وتنظيفها كلما دعت الحالة فذلك يبقي الفم دائما حافظا لرونقه .

الأسنان اللبنية للأطفال

تبتدئ أسنان الأطفال فى الظهور من سن ٦ أشهر تقريبا . وتكمل فى سن ٣٠ شهرا وعددها ٢٠ وتقسيمها :

أربعة أسنان أمامية عليا ، ومثلها سفلى .

نابين أعلى ، ومثلهما اسفل .

أربعة أضراس عليا ومثلها سفلى .

أسنان الأطفال عرضة للأمراض بسرعة ، فتركيبها من مادة ليست من الصلابة الكافية بحيث تقاوم ماهي معرّضة له من تخمر فضلات الطعام ، ومن الحلوى المغرمة بها الأطفال ، فعند مايشكو الطفل من أضراسه يجب عرضه على الطبيب مباشرة حتى يزيل سبب الألم ، وبعض الأضراس عند مايهمل علاجها تبقى فى الفك مدة زيادة عن المقرّرة لها ، فتسبب بذلك اعوجاج الأسنان الأخرى الثابتة التي ستحل محلها ، فيظهر لنا الشخص فى بعض الأحيان ذا بروز فى أسنانه الأمامية ، أوخلل فى ترتيب أضراسه . ويكون نتيجة ذلك سرعة تسرّب مرض الأسنان .

واجب الأم نحو طفلها

يجب على الأم أن تمسح أسنان طفلها يوميا بقطعة مغموسة فى [البرتو الأبيض النقي] حتى تبقى أسنانه دائما نظيفة .

الاضطرابات التي تحدث للطفل فى وقت التسنين

عند التسنين تحدث جملة اضطرابات عند الطفل من الصعط الذى يحدث من السن على اللثة التي فوق منها :

(١) فقدان الشهوة عند الطفل فيرفض كل طعام يقدم له ، ولايقبل أن يرضع من ثدى أمه .

(٢) يحدث عند الطفل تشنجات وحركات عصبية .

(٣) ترتفع درجة حرارته وقد تصل إلى ١٠٤° فيشك أن عنده حمى .

(٤) لأرق المستمر .

(٥) يتقيأ كثيرا ، ويطرد اللبن الذى يعطى له .

(٦) يحصل عنده إسهال شديد .

(٧) بعض الأحيان لاستطيع الطفل أن يرى النور .

(٨) بعض الأحيان تحصل تشنجات عضلية وتتراجع الرأس إلى الخلف ، ويشتكي الالتهاب السحائي [الحمى الشوكية] . فى الوقت نفسه يحدث التهاب عام فى فم الطفل ، وفى بعض الأحيان

تحصل قروح صديدية فى فمه .

ففى هذه الحالات يجب عرضه على الطبيب لعلاج مرض الطفل العام ، وفى الوقت نفسه يعرض أيضا على طبيب الأسنان ليعالج الالتهابات ، أو يفتح اللثة ، حتى يخفف الاضطرابات عن الطفل .

هذا موضوع مقتضب عن حالة الأسنان وأمراضها يمكن به الانسان أن يعرف حالة أسنانه مؤقتا حتى يستشير أصحاب الرأى فى ذلك ، وماسبق لايجب أن يتخذه الانسان قاعدة عامة تسن على كل حالة ، بل لكل حالة علاجها الخاص ، ولكن مماسبق يمكنه أن يكون رأيا مبدئيا عن أى حالة كانت ، وبذلك يستعد لأن يفهم مايقوله له الطبيب عند مايعرض عليه الحالة . والذى دعانى إلى كتابة تلك الكلمة الموجزة عن الاسنان وأمراضها أستاذنا الكبير فضيلة [الشيخ طنطاوى جوهرى] مؤلف هذا التفسير .

دكتور محمد على عثمان
جرّاح وحكيم أسنان
خريج كلية الطب الملكية المصرية

الشذرة الثالثة

مسامرة بينى وبين صديقى العالم الذى اعتاد أن يحادثنى فى هذا التفسير

فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

وذلك فى يوم الجمعة ١٩ صفر سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٢ م بعد العصر

فى أمر النفس وعجائبها ، ومدار الحديث على ما ياتى :

(١) الحقول هى الكلية الأولى لعلم النفس وما حوله من العلوم .

(٢) الأزهر .

(٣) المدارس النظامية .

(٤) فلاسفة القدماء .

(٥) الفلاسفة المحدثون ونظم علم النفس عندهم مع العلوم الأخرى .

(٦) علم النفس فى اخوان الصفاء .

(٧) فى جمهورية أفلاطون من حيث قياس نظام النفس الواحدة على نظام الأمة .

(٨) فى علم التربية الحديث ، وأن علم النفس فيه أوسع نطاقا بحيث يرجع إلى مبدأ الخليقة متبعا سلسلة الرقى الحيوانى والانسانى ، فكأن كل فرد فى حياته سلسلة منتظمة من العوالم كلها ، وهذا آخر ماوصل إليه العلم الآن ، وهذا بعض سر : وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون

قال محدثى : إنى اليوم أريد أن أحدثك فى هذه الآيات : « انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل مايهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ، وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

فهى ذه آيات انتظمت فيها أولا جوامع عبادات من صلاة واستغفار ، ثم تبعها العطف على الناس بالاحسان ، ثم الكلام على الآيات فى الأرض ، ثم النفس الانسانية ، ثم السماء ، ثم ختم هذا المبحث بهذا القسم العظيم بقسم بالسموات والأرض الذى أحاطت بالنفس من كل جانب ، فقلت :

أيها الأخ الذكي : إن هذا النظام معلوم مما قررته فى مواضع كثيرة من هذا التفسير . فقال : ولكنى أريد قولا أوسع ، ودرسا أتم ، وايضاحا أوفى ، بحيث تسكن إليه نفس الحليم ، و يطمئن إليه قلب الحكيم . فقلت : أيها الأخ أحدثك عما زاولته فى ذلك مدة حياتى فى هذه الدنيا ، وذلك فى ثمانية فصول :

الفصل الأول علم النفس فى الحقول

رباه : أنت قد أشرق نورك ، وتجلى جمالك فى البر والبحر ، والعامر والقفر ، والجبل والسهل ، والنهر والحقل . ذلك أنى أيام الصبا وزمن الحيرة المطلقة لم يكن لى مدرسة إلا فى حقلنا الذى كنا نزاول الزراعة فيه (فى أرض الثمانية) بكفر عوض الله حجازى ، فسبحانك اللهم وسعدانك ، ماذا كانت دراستى ؟ دراستى فيها كانت راجعة إلى مافى الحقل من ذرة وقمح وقطن و برسيم ، وماحوله من ماء جار وطرق يطرقها المارون ثم مافوق الحقل من الهواء والسحاب والمطر ، والأضواء والنجوم ، والشمس والقمر ، والحر والبرد.

هذا هو الذى كنت أدرسه ، ولكننى كنت جاهلا جد جاهل ، أدرس ولاأدرى ماذا أدرس ، أنظر بعين حائرة ، وقلب خافق مضطرب ، ونفس وثابة إلى العلا ، فالنفس وامقة ، والشقة طويلة ، فأين المفر ؟ . هنالك حرت فى هذا الوجود الذى يرجع لثلاثة أمور : نفسى المضطربة ومافوقها وماتحتها ، فالوجود كله ثلاثة فى حقلنا .

هذه أيام حيرتى ، ولكنى كنت أستعين بالصبر والصلاة ، أصلى ليلا وأصوم نهارا ، وأضرع إلى صانع نفسى وأخاطبه وأنا أنظر إلى النجوم ليلا قائلا : يا ألله : قد ظهر لى أنك بر رحيم بهذه الطيور ، قد علمتها ووهبتها كل ماتحتاج إليه ، وأنا أريد المعرفة ولست أدرى من يعلمنى ، أفلاترى أيها الأخ أن ما اتفق لى فى ذلك يوافق أول هذه الآيات من حيث الاكباب على العبادة والالتجاء لصانع العالم ، وهذه مجرد مصادفة لأنى ماكنت أدرى من هذا شيئا . لأنى كنت أحفظ القرآن بلاعلم ولاعقل ولاهدى ولاكتاب منير .

ولكم كنت أسامر النجوم ليلا ، وأتفقد الشجر والزهر ، والثمر والحب ، وكل حشرة ودابة الخ فهذه كلها كنت أدرسها درسا غامضا ، أتلمس الحقيقة بين هذه المخلوقات . انتهى الفصل الأول .

فقال : قبل أن ننتقل للفصل الثانى أرجو أن تذكر لى قبل المباحث الأخرى لماذا ذكرت النفس بعد العبادات و بعد آيات الأرض ؟ فقلت : هذا الترتيب يظهر لك فى الفصول الآتية ، لأنك سترى أن الأمم قبلنا لم تجد لها مناصا من دراسة العوالم التى حولنا قبل دراسة أنفسنا ، لأن هذه العوالم مقدمات لخلق نفوسنا ، فدراستها يجب أن تكون مقدمة على دراسة النفس ، فهاهوذا أفلاطون فى الجمهورية يجعل النفس مقيسة على نظام الأمة ، وهاهم أولاء الفلاسفة المتقدمون وهومنهم يقولون : إن لها قوى ثلاثة سيأتى ايضاحها ، وهذه القوى نظامها كنظام النبات والحيوان وهى الشهوية والغضبية والعاقلة . فقال : قد اكتفيت بهذا الآن . فقلت :

الفصل الثانى : دراستى فى الجامع الأزهر

كنت أدرس فيه علوم اللسان من النحو والصرف وعلم الأحكام الفقهية ، و بعض المنطق والتوحيد ، وهوالذى حرك وجدانى للبحث ، لأن نظامه إذ ذاك لم يكن مثل نظامه اليوم ، فهواليوم أرقى مما كان عليه إذ ذاك ، وسيزداد إن شاء الله تعالى .

ولطالما كنت وأنا أحفظ فى [متن المنهج] وهوآخر كتاب لدراسة الفقه أنظر إلى السماء وأقول : يا ألله أنا أريد الحقائق ، وقد وضعت بيدك على ما فوق هذا ، وأنا أوضحت هذا المعنى فى ثنايا هذا التفسير فى كتابى

[التاج المرصع] الذى ترجم إلى القازانية ببلاد الروسيا ، والى الاوردية ببلاد الهند ، ونشر فى جميع بلاد الاسلام ، فليراجعه من أراد . انتهى الفصل الثانى .

الفصل الثالث فى مدرسة دار العلوم

لما دخلت هذه المدرسة اعترانى الدهش مما رأيته فان العلوم الطبيعية من الضوء والحرارة والصوت ونحوها هى التى كنت أفكر فيها فى حقلنا وهكذا الحيوان والنبات ، ثم علم الفلك ، فكنت فى المدرسة مثلى فى الحقل أقرأ بشوق وتوق لتشبع النفس مما كانت تتوق إليه ، إذن الحقل كان لى مشوّقا ، أفلا ترى أيها الأخ الذكىّ أنى على حقّ اذا قلت : إن أمم الاسلام يجب عليها أن لاتهمل أبناءها كما أهملت أنا فى الصغر وضاع زمان المراهقة فى حفظ القرآن بلاعقل ، وأن تبادر بتعليم الأطفال ما كنت أتعلمه وأنا فتى ، فليروهم جمال الأشجار والأزهار والأنهار والنجوم ، وليحببوهم فى ذلك ، فاذا انتظموا فى سلك الدراسة قالوا هذا الذى كنا ندرسه من قبل ، وهذه الطريقة هى المتبعة فى جميع بلاد الله شرقا وغربا الآن ، ولكن العلوم فى تلك المدرسة علوم جزئية فلابدّ من البحث فى :

الفصل الرابع فى الكلام على الفلاسفة القدماء

هنالك اشرأبت نفسى إلى أن أقف على آراء النوع الانسانى فى علم النفس وسوابقه ولواحقه بهيئة نظامية فان الحقل لاعلم فيه إلا المشوّقات ودراسة الدين بالطريقة القديمة دراسة جزئية ، و بعض الكتب والعلوم تريك النفوس ، ودراسة المدارس إيضاح لما أشكل علىّ فى الحقل

ولكى أريد أن أنظر النظام العام وآراء الأمم جميعا فيه حتى تطمئن نفسى وأقول انى لم أهملها فى التعليم فماذا وجدت ؟ وجدت أن محصل علوم الأمم القديمة فيما كنت أدرسه فى الحقل هكذا . نظروا فى مقادير المادّة من العدد والمقياس والحركات ، ومعنى هذا أنهم قبل أن يدرسوا نفوسهم اضطرّوا أن يدرسوا المادّة التى تتركب منها أجسامهم التى تسكنها نفوسهم ، ذلك لأن أجسامنا مركبات مما حولها فدراسة ماحول الأجسام الانسانية مقدّمة لدراستها ، ودراسة تلك الأجسام مقدّمات لدراسة النفوس ، ومنى درسنا نفوسنا انتقلنا إلى مايتبع عنها من الاجتماع المدنى والمنزلى والتهذيب الخلقى ، فعندنا مادّة حولنا وأجسام لنا ونفوسنا ، ونتائج نفوسنا ، وقوّة قاهرة فوق الجميع ، ولكن هذه المادّة لاتصح دراستها إلا بمقدّمات وهى الأعراض القائمات بها ، وذلك مثل العدد والمقدار والحركات وهكذا فاذن ابتدءوا بعلم الرياضيات ثم الطبيعيات المختومة بعلم النفس ثم الالهيات ، وأحرزوا العلوم السياسية الثلاثة وهى : تهذيب النفس وتدبير المنزل وتدبير المدينة ، فأوّل العلوم عندهم علم الدولة [الارتماطيقى] تسعة أقسام مشروحة فى كتابنا [بهجة العلوم] فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية [تحت الطبع] . وثانيها الهندسة [الجومطريا] الذى يبحث عن النقطة والخط والسطح وهكذا ولها علوم تتفرّع عليها وصناعات تتبعها ، ولاجرم أنى فى الحقل كنت أفكر فى أعداد هذه الأشياء ، وفى الامتداد والطول والعرض وأشكال المخلوقات البديعة و بدائعها ، إذن هذان العلمان مبدؤهما كان فى الحقل من عدّ وامتداد . وثالثها علم الفلك [الاسطرونوميا] وفيه صنعة البروج والمنازل وحساب الشمس والقمر وهكذا . ولاجرم أن هذا العلم هو الذى كنت أفكر فيه ليلا وأنا أنظر النجوم بلاعلم ولاهدى ، ويلحق بعلم الفلك عند قدماء علم الجغرافيا ، ورابع العلوم علم الموسيقى ، وعلم الموسيقى ليس شيئا سوى مقياس حركات الأصوات كما أن الزمن مقياس حركات الأفلاك ، فاسوا حركات الكواكب فقالوا علم الفلك . وقاسوا حركات الأصوات فقالوا علم الموسيقى ، وهذا العالم كله موسيقى ، وقد جعل الله لنا

دليلا على ذلك غناء الأطيار على الأشجار ، وحفيف الأوراق ، ونغمات الأشجار اذا هبت الأرواح وفاءت الأفياء . هذه هى الموسيقى التى وضعها الله وأنعم بها على العالمين ولكنّ أكثر الناس لجهلهم بها لا يطربون ، ويظنون أن الطبيعة لا طرب فيها لأنهم غافلون .

هذه هى العلوم الرياضية عند القدماء وهى ترجع إلى الأعداد والحركات والمقادير ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ إن هذه لابدّ منها قبل دراسة المادّة المقدّمة على الجسم المقدّم على النفس المقصودة بالذات .

خامس العلوم علم المنطق الذى به ينتظم الفكر كما انتظم النطق بالنحو ، وبهذا انتهت العلوم الرياضية وما يقرب منها وهو المنطق .

سادس العلوم إلى ثالث عشرها هى العلوم الطبيعية ، وماهى العلوم الطبيعية ؟ هى التى كنت أجاهد وأنا فى الحقل لأعرف حقائق المادّة التى أزاول العمل فيها ، مثلا علم [سماع الكيان] وماهو سماع الكيان ؟ عبارة عن دراسة الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان ومايخص الجسم من الأعراض الزائلة واللازمة ، وهو العلم السادس .

سابع العلوم « السماء والعالم » وهو عبارة عن شكل العالم العام ونظامه فى أفلاكه وكواكبه وطبقاته ولكن تكون الدراسة إجمالية . ولاجرم أنى فى الحقل كنت أبحث عن ذلك وهذه العوالم تحيط بى .

ثامن العلوم : يبحث فيه عن تكوّن المعدن والنبات والحيوان ومأشبه ذلك ، وهذه كلها كانت محل نظرى فى الحقل وفى دار العلوم ، وهذا يسمى [علم الكون والفساد] .

تاسع العلوم : هو الذى يبحث فيه عن حوادث الجوّ والبرد والسحاب والمطر والثلج والرعد والبرق وقوس قزح والهالات ، ومنشأ السحب من البخار ، وغير ذلك من النور والظلمة ، وتصاريف الرياح ، والأنهار والبحار ، وما يكون من العيوم والضباب ، والطل والندى ، والشهب وذوات الأذناب ، وماشا كل ذلك ، وهذا العلم يسمى [الآثار العلوية] وهى التى كنت ألاحظها فى الحقل ولاأفهمها .

عاشر العلوم : وهو الذى يبحث فيه عما فى التراب والطين والأرض السبخة كالكبريت والأملاح والشبوب والزاجات ، أوفى قاع البحار كالدرّ والمرجان ، أوفى كهوف الجبال ، وجوف الأحجار ، وهو [علم تكوين المعادن] .

حادى عشرها : [علم النبات] والبحث عن أجناسه وأنواعه وخواصه ومنافعه ومضارّه ، ومايثبت منه على رؤوس الجبال ، وعلى شواطئ الأنهار ، وفى الآجام ، ومايغرس فى القرى والبساتين ، وما يكون منه تحت الماء ، ومايثبت منه على وجه الماء ، ومايفسح على الشجر ، وعلى وجه الصخور وهكذا .

ثانى عشرها : علم الحيوان وعجائبه وطبائعه ، وأنه متصل بالنبات من أدناه ، مرتبط بالانسان من أعلاه .

ثالث عشرها : [علم الانسان] وفى هذا العلم يبحث عن أمرين : تركيب جسده وهو علم التشريح ، ومعرفة نفسه وما يلزمها وهى الحواس الخمس ومافيها من الحس المشترك ، والقوّة المخيلة والمفكرة والذاكرة وهكذا .

فترى من هذا أن علوم المادّة وأحوالها قد قدّمت على علم جسم الانسان ، لأنه لا يفهم إلا بعد فهمها ، وهذا هو السر فى قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلاتبصرون » فالقرآن قدّم الأرض ومباحثها وهى العلوم المتقدمة وهى اثنا عشر علما على علم النفس ، وهكذا الفلاسفة . لذن القرآن أشار بقوله : « وفى الأرض آيات للموقنين » إلى هذه العلوم الاثنى عشر ، وأتى بعدها بعلم النفس .

نرجع إذن إلى أقوال الفلاسفة القدماء ، فنقول : قد اطلعت فى كلام أفلاطون وسيما و فارابى و ابن رشد على علم النفس فوجدتها أنهم يقولون بناء على ماوصل لهم من علم اليونان فى رأس موضع منها ماهو يفكر

فى وسطها ، ومنها ماهوللخيال فى مقدمها ، ومنها ماهوللتذكر فى مؤخرها ، وكانوا يقولون : انهم عرفوا ذلك بواسطة علماء الطب ، لأنهم لما رأوا أن مرضا يحلّ بجهة من هذه الجهات يختل ماهومنوط بذلك الجزء من الادراك كالتخيل والتفكر والتذكر .

قرأنا ذلك إجمالا غامضا وانتهى ذلك الدور ، ثم وجدناهم أيضا يقولون : إن للنفس قوّة شهوية وهى للنبات أقرب ، وقوّة غضبية وهى بالآساد والنمور من الحيوان أليق ، وقوّة عاقلة وهى إلى الملائكة أقرب ، فعليه نرى أن ماسنذكره فى علم التربية حديثا من جعلهم أن الطفل يمرّ على الأدوار السابقة للانسانية من مبدئها إلى آخر ما سيأتى إن هو إلا أشبه بتفصيل لما أجمله القدماء .

ثم إن القدماء يأتون بعد هذه العلوم بأبحاث عامّة ، وهذه الأبحاث العامّة يسمونها [العلم الإلهى] أو [الكلى] أو [العلم الأعلى] وذلك العلم الالهى أوالأعلى جعلوه أقساما :

(١) فمنها قسم سموه [الامور العامّة] مثل : ماهو الوجود والماهية والوحدة والكثرة والوجوب والامكان والامتناع ونسب مابينها ومايخصها من حيث هى موجودات [مثال ذلك] أن يقولوا : إن الوحدة فى جسم الانسان ظاهرة ، فهو واحد من جهة لكنه كثير من جهات أخرى ، فله أعضاء وحواس وأجزاء لايعرف عددها ، وجواهر فردة الخ فههنا وحدة وههنا كثرة ، والعدد الذى لانهاية له واحد من جهة أنه عدد وكثير من جهة أفراده ، والعالم كله واحد كثير من جهات ، وهكذا من تلك المباحث .

(٢) ومنها قسم فى النظر فى مبادئ العلوم كلها وتبيين مقدماتها ، وهكذا المقولات العشرة المذكورة فى ثنايا هذا التفسير مشروحة كالكم والكيف الخ .

(٣) ومنها قسم للنظر فى إثبات الإله الحق والدلالة على وحدته وتفرّده بالربوبية واثبات صفاته ، وبيان أنها لاتوجب كثرة فى ذاته .

(٤) ومنها قسم للنظر فى إثبات الجواهر المجرّدة وهوالعقول والنفوس والملائكة .

(٥) ومنها قسم للنظر فى أحوال النفس البشرية بعد الموت .

فهذه خمس علوم سموها [علم ما وراء الطبيعة] ولخصها ابن سينا فى كتاب الشفاء والاشارات ، فهذه بضمها إلى ماقبلها تبلغ العلوم ١٧ علما ١٣ فى الرياضيات والطبيعيات وخمسة فى الالهيات ، وهذه يسمونها العلوم العلمية ، وهى رياضية وطبيعية وعلوم كلية لاتختص بقسم من القسمين الأوّلين ، وهذه هى العلوم العلمية ويتبعها نتائجها ، وهى العلوم العملية ، وهى الخاصة بعمل الانسان وماقبلها كلها راجعة لعمل الله تعالى وهذه العلوم ثلاثة : علم الأخلاق الباحث عن القوى الثلاث المتقدّمة الشهوية والغضبية والعاقلة ، وعلم تدبير المنزل فى معرفة معاشرة الأهل والخدم الخ وسياسة المدينة ، وهوعلم السياسة المعروف ، وفى هذا العلم إجمال عام لسياسات الأمم .

فهذه عشرون علما ١٧ علمية وثلاثة عملية ، وهذه العلوم لها فروع كثيرة [مثال ذلك] علم الهندسة له فروع مثل علم المناظر ، وعلم المرايا المحرقة ، وعلم مراكز الأثقال ، وعلم المساحة ، وعلم انباط المياه ، وذلك لاحياء الأرضين ، وعلم جرّ الأثقال . وعلم الحكمت ، وهوعلم به يعرف إيجاد الآلات المقدّرة للزمن مثل هذه الساعات التى يحملها لدس اليوم ، ومثل الآلات الحربية .

فهذه فروع الهندسة ، وهذه صنعت صنعات تدرس فى مدارس خاصة . وترى أن علمى النبات والحيوان يتفرّع عليهما فروع كثيرة من صناعتى النجارين والحرارين ترجعان إلى النبات والحيوان ، وعلى هذا فقس

فالعلوم المذكورة وفروعها عند القدماء بلغت نحو ٦٠ ولهذه الستين فروع بلغت مئات سجلها قدماؤنا فى كتبهم هذا ماوصل إليه علم القدماء ، ولكن نفسى التى تعلمت مبادئ هذه العلوم فى الحقل وخرجت منه فى شوق إلى العلم لاتقف عند كلام القدماء ، هنالك نظرت فى كلام المتأخرين فماذا رأيت ؟ رأيت مايأتى :

الفصل الخامس فى ذكر مارآه الأستاذ بيكون الانجليزى

انه قسم العلوم المذكورة إلى ثلاثة أقسام : [أوّلا] نظر إلى العلوم الاثنى عشر الأولى ومعها علم التشريح فقال هذه لا أسميها فلسفة ، وقال : كل علم منها له تاريخ فلنسمها هكذا : التاريخ الرياضى ، التاريخ الطبيعى كالحيوان والنبات الخ . ثم قال : فأما علم النفس ومعرفة نظام الطبيعة ومعرفة الله فهى التى أسميها فلسفة ، إذن الفلسفة الحديثة هكذا : تواريخ العلوم المتقدّمة على علم النفس ، ثم نظام الطبيعة ، ثم علم النفس .

إذن [بيكون الانجليزى] بهذا التقسيم الذى عليه مدار الدراسة فى كرتنا الأرضية الآن تقريبا هكذا العلوم التى كانت تسمى رياضية وطبيعية جعل مقدّمات للفلسفة ، وسميت بتواريخ لهذه العلوم وعليه الدراسة فى المدارس العامّة الآن ، والامور العامّة وهى العلوم الخمسة جعلها قسمين : قسم منها وهو الخاص بنظام الطبيعة سماه نظام الطبيعة ، والقسم المختص بالله فصله وحده وأخذ علم النفس أيضا فقال هكذا : [الله ، نظام الطبيعة ونفسى] وانما ذكر نظام الطبيعة لأن جزئياتها مشروحة قبل هذا العلم فى الذى سماه تواريخ العلوم .

فأما العلوم العملية الثلاثة فانه ضم إليها علم المنطق ، وقال : هكذا النفس تعقل المنطق ، إذن هذا العلم يتبع نفسى ، ثم إن نفسى تعرف الجمال ويعوزها التهذيب ونظام الأسرة ونظام المدينة فيقول : إن نفسى يتفرّع عليها علم الجمال بعد المنطق ، وعلم الأخلاق ، وعلم تدبير المنزل ، وعلم سياسة الأمة .

مبدأ التقسيم عند القدماء وعند المحدثين

نظر [بيكون] إلى تقسيم المتقدّمين فرأى أنهم يقولون هكذا : العلم الطبيعى يحتاج إلى المادّة فى ذهننا وفى الخارج ، والعلم الرياضى يحتاج إلى المادّة فى الخارج لافى أذهاننا لأننا نتصوّر العدد بدون التقيد بمادّة خاصة ، والعلم الالهى لايعوزه مادّة فى أذهاننا ولافى الخارج .

أقول : لما نظر هذا التقسيم . قال : ومالنا وللمادة فلنرجع التقسيم إلى نفوسنا ، إن نفوسنا فيها قوّة الخيال ، وقوّة الفكر ، وقوّة التذكر ، فهذه إليها ترجع جميع العلوم .

فأما القوّة المخيلة فاليها يرجع كل ما كان من قبيل الشعر والنقش والتصوير والموسيقى ، فهذه العلوم التى ترجع إلى التصوير والتخيل فانها ترجع إلى تلك القوّة .

وأما قوّة الذاكرة فلها جميع العلوم الرياضية والطبيعية ، وهى الثلاث عشرة المتقدّمة . وعلم التاريخ الأثرى والبشرى ، فهذه كلها تواريخ حفظت فى ذاكرة الانسان وعليه العمل اليوم كما تقدم ، فالتاريخ البشرى منه عام وخاص ، والتاريخ الأثرى هو ماجاء فى الكتب السماوية ، وهكذا التاريخ الطبيعى والرياضى الخ .

أما القوّة العاقلة فعلومها هى المختصة بالفلسفة : [الله ، ونظام الطبيعة ، ونفسى] ومن النفس تفرّع المنطق والجمال وما والاها كما شرحناه .

تبين من هذا أن النوع الانسانى اليوم رجع العلوم إلى النفس من العلوم سوابق وهى ١٣ علما . ومنها معرفة الله ونظام الطبيعة ، ومنها لواحق وهى علوم نظم الأمم [وبعبارة أخرى] ان نظم العلوم ودراستها مقدّم على علم النفس . ونظام الانسان مؤخر عن دراستها ، إذن دراسة مدارس الأمم الآن تجرى على نظام هذه الآيات ، فقوله : « وفى الأرض آيات للموقنين » يدخل فيه علوم نظم الطبيعة ومعرفتها ، ومعرفة الله ،

وقوله : « وفى أنفسكم » الخ إليه يرجع علم النفس ، تلك النفس التى جعلت مبدأ لتقسيم تلك العلوم سوابقها ولواحقها ، إذن آيتنا التى نحن بصددها الآن يجب على المسلمين أن يفكروا فيها ، إذن نحن نستحق أن نعنف على جهلنا فيقول الله لنا : « وفى أنفسكم أفلاتبصرون » وهذا التعنيف يخجل نفوس الأذكياء منا معاشر المسلمين فلندرس .

فقال صاحبى العالم : إن هذا البيان لجميل جدّ جميل ، ولكنى أريد أن أسألك سؤالا يجول فى خواطر أكثر الناس : هل هذه الآية يترتب عليها هذا كله ؟ أى انك تقرأ علوم الأمم كلها عليها ، وهل أذكياء المسلمين مكلفون بذلك ؟ فقلت : لم لا وما المانع ؟ ألست أنا شهيدا على الناس ؟ فقال أنت أنت . فقلت : وأنت أيضا ، ألم تسمع الله يقول : « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » فكيف نشهد على الناس ونحن لا نعقل علومهم ! فليقم الخواص بدراسة علوم الأمم ، وأهمها علم نفوسنا . فقال : إن علماء الاسلام لم يقولوا ماتقوله أنت فى هذا المقام . فقلت : ولكن القرآن يقول . فقال القرآن ؟ فقلت نعم . فقال : ماذا يقول فى هذا ؟ قلت : انه لم يقتصر على قوله : « لتكونوا شهداء على الناس » بل أوضحها فى آية أخرى وهى : « وماشهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين » فهل نشهد على الأمم إلا بعد العلم بما نشهد به . فقال حسن جدّا ، فأرجو ايضاح علم النفس الآن . فقلت : ذلك فى :

الفصل السادس

فيما قاله [اخوان الصفاء]

إن كتاب [اخوان الصفاء] جاءت فيه العلوم موجزة ولكنها أوضح مما فى الكتب التى قبلها ، وقد جعل أكثر العلوم المذكورة فى خمسين رسالة ، وأكثرها ثمين وأقلها غثّ ، وفيها آراء يجب تعديلها أو محوها فلنذكر مافيها من حيث علم النفس ، وهذا الموجز سأنقله بنصه وفصه من نفس الكتاب ، ومؤلفه هو الذى لخصه فى قوله ، وهاك نصه :

الرسالة العاشرة فى الحاس والمحسوس

والغرض منها هو البيان عن كيفية ادراك الحواس محسوساتها واتصالها بواسطة القوّة الحاسة واتصالها إلى الحاسة المشتركة الروحانية الواصلة التى منها انبعثت قوى الحواس الظاهرة وأنها ترد كالخطوط الخارجة من المركز إلى المحيط بنقط كثيرة الراجعة إليه بنقطة واحدة وهو أوّل منازل الروحانية ، إذ القوّة الحاسة المؤدّية إليه جسمانى بوجه وروحانى بوجه ، والحاسة المشتركة أعنى الداخلة روحانية محضة لأن حكم الجزء منها حكم الجميع وان كانت التجزئة لاتقع عليه بالحقيقة ، لأن تصوّرها الشىء بادراكها واتصالها إلى القوّة المتخيلة التى مجراها مقدم الدماغ لتوصلها إلى القوّة المفكرة التى مجراها وسط الدماغ لتميزها وتخلصها بجولانها فيها وتعرف حقائقها ثم توصلها إلى القوّة الحافظة الذاكرة التى مجراها مؤخر الدماغ لتمسكها وتحفظها معتقدة أوغير معتقدة إلى وقت التذكار . ثم تؤدّيها إلى القوّة الناطقة العاقلة التى هى ذات الانسان المدبرة للكل الباقية بالذات تنتزع جميع المعانى والصور ، ثم تصوّر تلك المعانى والصور لمنتزعة من مصوّراتها المترسمة فيها ، وهى القوّة الناطقة أيضا بوساطة الأولى ، فتلك الصورة هى لها كالموضوع وكالهيولى ، والقوّة المعبرة أيضا للنطق الخارج هى القوّة الناطقة أيضا على وجه ثان بواسطة الألسن ، فاذا همت الأولى باظهار شىء إلى خارج وهو النطق الإلهى على حقيقة من صورة النفس تصوّرت النفس الناطقة إذ هى جوهر واحد لتجرّدهما عن الموادّ وتعرّيهما عن هيولى الجسمية فتأدّت إلى القوّة المتى مجراها على لسان لتعبر عنها بالألفاظ الدالة للمخاطبين على

المعانى التى تخرج من النفس إلى القوّة الصانعة التى مجراها اليدان لتخط بالأقلام على أوجه الألواح وصفحات الدفاتر و بطون الطوامير تلك الألفاظ وهى النطق الخارج والكلام الظاهر لتبقى العلوم بصورها الذاتية أعنى معانيها محفوظة من الأوّلين إلى الآخرين ، وخطابا من الحاضرين للغائبين ، إلى يوم يبعثون . انتهى ماأردته من كتاب « اخوان الصفاء » وبهذا تمّ الكلام على الفصل السادس والحمد لله رب العالمين .

الفصل السابع

فيما جاء فى جمهورية أفلاطون

نظر أفلاطون فى علم نظام الأمم فقال : « لاسبيل إلى نظام الدولة إلا بأن يكون فيها فلاحون وعمال وصناع وتجار الخ وهؤلاء أشبه بالقوّة الشهوية فى الانسان ، و بأن يكون فيها جند مدرّبون بالكراع والسلاح ، وهذه هى القوّة الغضبية لحفظ الدولة فى الداخل والخارج ، ونظيرها فى الانسان قوّة غضبية بها يحافظ على شرفه وأدبه ، و بأن يكون فيها رجال عرفوا بسموّ النظر والعقل الراجح ، وهم رجال السياسة الذين يأمرون الجند ، وهؤلاء الساسة وجندهم لهم السلطان والاشراف على الزرّاع والصناع والتجار ، وهذه الطوائف الثلاث لابدّ من نظام واعتدال فيها وهذا هوالعدل » .

ولقد شرحت هذا النظام فى مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذى فى [سورة النحل] عند آية : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فهكذا قوى الانسان الثلاثة اذا قويت القوّة العاقلة فحكمت على الغضبية وهى تشرف على القوّة الشهوية وتمّ النظام بين الثلاثة كان العدل ، فهذه أربعة أصول فى مقابلة الأربعة الأولى .

فلما سمع ذلك صاحبى قال حسن والله ، لقد أطلعنا على هيئة العلوم فى العالم ، ولكن لم تذكر لنا علماء الصين ، هل كان علمهم على هذا النمط ؟ فقلت : لقد تقدّم فى [سورة الحجرات] مايفيد أن أمم الصين قبل التاريخ كانت معارفها على هذا النمط ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ان القرآن فى أكثر سوره يمثل لنا عقول الأمم وعلومها . فقال : هذان أمران فأرجو ايضاحهما . فقلت نعم : أما الأمر الأوّل فهو قول [كونفشيوس] فيلسوف الصين قبل الميلاد المذكور فى ﴿ سورة الحجرات ﴾ فان أقواله هناك هكذا :

(١) إن قدماءهم نظموا الممالك .
(٢) بعد أن نظموا أسرهم .
(٣) وهذا بعد تهذيب أخلاقهم .
(٤) وهذا بعد تنقية نفوسهم .
(٥) وهذا بعد كونهم مخلصين صادقين فى تفكيرهم ، منزهين فى أغراضهم .
(٦) وهذا بعد توسيع معارفهم .
(٧) وتوسيع معارفهم كان عن طريق البحث والمشاهدة . انتهى — ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ هكذا :
(١ و٢) توسيع المعارف بالمشاهدة : أى مشاهدة الأشياء والأفعال .
(٣) ثم كمال المعارف .
(٤) ثم خلوص أفكارهم وزلفة أغراضهم .
(٥) ثم تهذيب أخلاقهم وتقارة نفوسهم .
(٦) ثم انتظام أسرهم .

(٧) ثم انتظام دولهم . هذا هو الأمر الأوّل .

أما الأمر الثانى فهو هذه الآية : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . فقال : ولكن الآية قدّمت الأرض على السماء ، فلم يكن ترتيب العلوم الذى شرحناه مطابقا لها . فقلت : هو مطابق كل المطابقة ، انه قدّم الأرض و بعدها النفس ، ثم ذكر السماء والأرض معا مقدّما السماء ، وذلك معناه تقديم العلوم الرياضية ، لأن علم الفلك من نتائجها . فقال حسن ولكنى أريد أصرح من ذلك فى القرآن بحيث ينطبق على نظام علوم الأمم كلها المذكور هنا . فقلت : هناك سورة تفيد ذلك وهى : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها » . فهذه الخمس ترجع لعلم الفلك وهو من العلوم الرياضية ، بل هو أجلّ ثمراتها ، ثم هو من جهة أخرى علوم مشاهدة أشارها [كونفشيوس] وقوله : « والأرض وما طحاها ، ونفس وما سوّاها » موافق لآيتنا هنا : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ومعنى هذا أن العلوم الطبيعية المشروحة قريبا تكون قبل علم النفس فى نظام المدارس وفى القرآن ، والعجب العجيب من القرآن انه قدّم الأرض على النفس فى هذين الموضعين وفى غيرهما وألهم الأمم جميعها أن تفعل ذلك وقال [لبيكون] : يا بيكون اجعل نظام الطبيعة قبل علم النفس كما قال لكونفشيوس بالصين ولإخوان الصفاء وللأمم كلها ، إن هذا القرآن مدهش ، إذن عندنا مزرعتان : مزرعة هى أرضنا ، ومزرعة هى نفوسنا ، ومزرعة نفوسنا هى المذكورة فى سورة الشمس إذ يقول الله بعد ذلك « فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

جلّ الله : أليس هذا بعينه هو الأخلاق والسياسة ونظام الدولة ، أليس الفجور والتقوى واضحين فى الأخلاق والأسرات والممالك ، أليس هذا بعينه هى السياسة العملية المتقدّمة عند فلاسفة اليونان والعرب وأوروبا والصين ، فهاهوذا بيكون يقول : نظام الطبيعة ثم النفس ثم الأخلاق وسياسة الناس ، وهاهم أولاء فلاسفة القرون الأولى يؤخرون الأخلاق وما عطف عليها عن العلوم ، وهاهوذا كونفشيوس يفعل ذلك ناقلا عن آبائه المتوغلين فى القدم ، وهم لا يعرفون علوم اليونان ولا غيرهم .

أيها المسلمون : لا عطر بعد عروس ، ولا مخبأ بعد يوس ، حمّ الأمر وأزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة ، لتقرءوا مزارع الله فى الآفاق ومزارعه فى النفوس ، إن القرآن لوح رسمت فيه صور علوم الأمم تذكرة لكم فهل أنتم مذكرون ! .

تباركت يا ألله : أريتنا علوم الأمم السابقة كلها فرأينا مدارها على علم نفوسنا ، فنفوسنا هى المصدر الأصلى ، فقد جعلوا علوم الرياضيات والطبيعيات مقدّمات لمعرفة النفس وعلوم السياسات والأخلاق والجمال نتائجها ، ومنهم من غير بعض النظام ، وذلك تبع اختلاف الأنظار وتباين الآراء ، والنتيجة من هذا كله فهم قولك فى قرآنا الكريم : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

هانحن أولاء نظرنا فى أنفسنا نظرا مستمدّا من آراء الأمم كلها لنشهد على علم ، ولكن لا تتمّ شهادتنا فى ذلك إلا بدراسة علم النفس والتربية الحديثة ، لأن العلوم المذكورة نقلها تلاميذ ابن رشد من يهود ومسلمين إلى أوروبا منذ نحو ٧ قرون فارتقت تلك العلوم ، واذا بقينا على ما قرأناه من كلام قدمائنا أصبحنا كأننا نعيش فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ولكن نحن فى القرن العشرين ، إذن فلنذكر :

الفصل الثامن فيما جاء فى علم النفس الحديث

أمامى الآن كتب [أصول النفس وأثره فى التربية والتعليم] تأليف الأستاذ [أمين مرسى قنديل] [illegible] أحد شهادات عالية فى هذا العلم من جامعات

أوروبا ، فهو كتاب موثوق به يدرس بمصر الآن ، وهو علم لم يدرس من قبل فى بلادنا ، وموضوعات الكتاب هكذا مثلا : معنى العلم وأغراضه ، حقيقة علم النفس ، طرق البحث فى علم النفس ، فروع علم النفس ، التربية وعلم النفس ، العقل ، الشعور ، اللاشعور ، الاستهواء ، الجهاز العصبى ، ردّ الفعل ، الأفعال المنعكسة ، تربية الجهاز العصبى ، الغرائز والميول ، دراسة طائفة من الغرائز والميول الفطرية ، العادات ، التعلم ، التمرّن ، الشوق ، التشويق ، الشوق والتربية ، الانتباه ، عوائق الانتباه كالتعب ، الأعمال المدرسية ، وهكذا .

نظرة عامة فى علوم النفس عند القدماء والمحدثين

أيها الأخ الذكىّ هذه صفحة عامة من صفائح نفوسنا المشرقات ، تلك النفوس التى هى مزارع الله عزّ وجل فى أجسامنا ، وحقوله التى تولى هو غرسها بيديه وقال لنا : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » بعد أن أرشدنا إلى أن ننظر دراسة مزارع أرضنا .

هاهو ذا الآن أمامى كتاب [سلوك المالك ، فى تدبير الممالك] الذى ألفه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى الربيع ، ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسى ، إن المؤلف فى هذا الكتاب قسم الفضائل والرذائل تقسيما عجيبا جدا ، وأوضح ذلك أيما إيضاح ، وعلم الملوك والسوقة والفضلاء وغير الفضلاء ، ولم يترك بابا إلا ولجه ، ولا فضيلة إلا فصلها ، ولا رذيلة إلا أوضحها ، بجداول جميلة وعبارات طريفة وبهجة وجمال ، ولأقتصر على ماجاء فيه من جداول الأخلاق الناقصة ، ثم أتبعه بما جاء فى علم التربية الحديث المذكور ، أريد بذلك أن يرى المسلمون وأنت أيها الذكىّ أوّلهم آراء الأوّلين والآخرين فى أحوال نفوسنا ، وأنهم جميعا يسعون لغرض واحد متجهين لنتيجة واحدة ، ذلك أنهم جميعا يعاملون النفوس فى محو رذائلها معاملة الأجسام فى شفاء أمراضها بحيث أصبح تهذيب النفس مطابقا لشفاء الجسم من حيث سير العلاج الجسمى والروحى معا سيرا منظما ، فانظر كيف يقول صاحب كتاب [سلوك المالك ، فى تدبير الممالك] فى صفحة ٣٨ مانصه :

إن من شرّ رذائل القوّة الغضبية الغضب ، وهو أكبر الرذائل ، وله موادّ وأسباب :

الرذيلة	مداواتها
الزهوّ	باستعمال التواضع
العجب	بمعرفة عيوب النفس
الفخر	باليقين أنه من جنس عبده
المرح	بالتشاغل بما يجب من الحقائق
الهزل	بالجدّ فى طلب الفضائل
الهزؤ	بالتكريم عن أذى الناس
التعيير	بالقدرة على ترك الأقاويل القبيحة
الملاحاة	بصيانة النفس عن مرّ الجواب
المصادّة	بترك العناد
الغدر	باستعمال الوفاء

ثم أبان أن هذه كلها سببها الخوف : أى أنه يرجو لأنه يريد العتق ويخاف من عدم هذه الصفة وهكذا الباقى ، وهذا استهرأ بعبيره فعاء أنه أعنى منه وهكذا . ثم أخذ يذم كل الكسل الذى هو جزع من أن يفعل فعلا ما كسل عنه فعنه معنى الخوف أيضا لأنه يخاف أن يعمل . ثم حقر الجبن ، فالجبن جزع من

أن يعرف بشيء قبيح لم يفعله ، والثانى جزع من أن يعرف بشيء قبيح فعله ، وذكر (الفرق) بفتح الراء من فعل شيء عظيم يضعف عن احتماله (والحذر) وهوالجزع من شعور أمر مترقب واشتباهه ، ثم الذعر وهو الجزع من صورة ليست مألوفة الخ .

هـذه صفحة من علم الأخلاق فى كلام قـدمائنا فى العصور الأولى ، وعلم الأخلاق ربيب علم النفس ، فهاهم أولاء جعلوا لكل منقصة دواء ، وماهو هذا الدواء ؟ هوأن يجعلوا الضد مزيلا لضده كما يفعل الأطباء بحيث يداوون الحارّ بتعاطى البارد والعكس بالعكس ، فلننظر إذن فى كلام علماء التربية فى عصرنا ، فهذا كتاب « أصول التربية » فقد جاء فيه فى صفحة ١٥٣ تحت عنوان « استعمال غريزة ضـد أخرى » ماملخصه : —

إن المربى يستعمل غريزة ضد أخرى ليخفف من شرّها ، فغريزة الخضوع تخفف شر غريزة السيطرة والظهور ، والخوف يردع به الطفل عن كثير من الشرور ، وهؤلاء يقولون : « إن الغرائز لاتجوز إزالتها بل يجب تهذيبها وتوجيهها إلى المثل الأعلى لاقتلها فان قتلها جناية » — [مثال ذلك] غريزة المقاتلة والافتناء يجب أن توجه إلى مغالبة الآلام والتغلب على العقبات التى تعترض المرء فى طريقه ، والى المنافسة فى عمل الخير ، والى الدفاع عن مبـدأ نبيل ، وضربوا لذلك مثـلا بأن الحـكومات تتخذ اللصوص القدماء وسائل لمساعدة رجال الشرطة فى ضبط السارقين والقاتلين ، فهذا معناه أن المربى ينقل الغريزة من حال ضارّه إلى حال نافعة ، فالغضب والمقاتلة عند المهذب يكونان معينين على كل فعل نبيل كالدفاع عن كل ضعيف .

هذه هى الصورة الواضحة فى التربية الحديثة ، وهى على منوال التربية القديمة ، فالعلم هوعينـه غاية الأمر أن الحديث قد أوضح إيضاحا أكمل ، وأبان وجوه الاصلاح أيما إبانة .

واذ فرغت من إيضاح الصور التهذيبية عنـد القدماء والمحدثين فلأشرع فى شرح المزارع التى تزرع فيها تلك التعاليم والحدائق العلماء الالهية التى تنبت فيها تلك الأزهار والرياحين .

تبصرة وتذكرة لآياتنا التي نحن بصدد الكلام عليها

« وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلاتبصرون »

فقال صاحبى : إن المسافة طويلة ، والشقة بعيدة بين مزارع الأرض ومزارع الدماغ ونبات الأخلاق فيه ، إن مزارع الحقول مشاهدة ، وهل شوهدت مزارع الغرائز فى حقول الدماغ ، غاية الأمر أنها عرفت بطريق الاستنتاج . فقلت : اعلم أيها الأخ الذكىّ انى كما كنت فى الحقل أيام الفتوّة أرى المزارع وهى كانت درسى نهارا ، والنجوم وهى كانت درسى ليلا ، هكذا اليوم أشهد فيما ستراه فى الدماغ مزارع الغرائز متجلية واضحة تزدهر فيها العرائز والأميال ، فكما كانت النجوم والحقول وماينهـما من نفوس الناس هى التى منها استمدّت جميع العلوم التى شرحناه هنا فى أمم كلها ، هكذا هذه الجمجمة الصغيرة التى ستراها الآن أصبحت مزرعة فيها جميع المزارع التى كنت أشاهدها ، والنجوم التى كنت ألحظها ، والعلوم التى درستها ، والسياسات التى عرفتها .

تباركت يا ألله : جعلت الأرض مكان الانسان ، وجعلت أدمغتنا حدائق ، كل حديقة منها مختصرة من هذا العالم العظيم وعلومه المفصلات . حقّ الله ، جلّ الله . ومما أدهشنى فيماستراه أيها الأخ النبيل أنما كنت أراه فى سكنة بقعة من أن المحبة فى مقدم الدماغ ، والمعكرة فى وسطه ، والقوة الذاكرة فى مؤخره كما ذكرته سابقا ، وأن ذلك استنتجه الفلاسفة من تجاريب الأطباء فى مرضاهم أصبح اليوم مشروحا على هذا

النمط بعينه ، فسترى أن هناك مناطق ثلاثة : أمامية ووسطى وخلفية ، جعلت للتفكير والتصوّر ، وباضطرابها لا يكون الانسان عاقلا ولكن علماء العصر الحاضر برعوا براعة أوسع من السابقين :

(١) أرونا أن فى المخ تلافيف وشقوقا تتضح فى العقول الكبيرة ، وتصغر ولا تتضح فى العقول الصغيرة وفى الحيوان .

(٢) أرونا أن للمخ نصفين كل نصف يقسم أربعة أقسام ، فهذه ثمانية أقسام ، وكل قسم يسمى باسم عظم القحف الذى يقرب منه ، وكل واحد من هذه الثمانية ينقسم إلى أقسام على حسب التلافيف التى فيه الخ

(٣) إن المخ محط جميع المواصلات فى الجسم .

وستشاهد أن فى هذا المخ مناطق معينة للحس وأخرى للحركة وأخرى لربط المعلومات ، فترى منطقة البصر عند الفص المؤخرى من الرأس ، وهناك منطقة إدراك المرئيات والقراءة ، ويلى تلك المنطقة من الداخل منطقة السمع ثم الذوق والشم ، وهاتان بالقرب من الفص الصدغى . وترى فى المنطقة الخلفية التى تقرب من الفص الجدارى مراكز ربط تلك المعلومات وترتيبها وتنظيمها ، وترى أيضا منطقة ربط أخرى أمامية .

أيها الأخ الذكىّ : انى الآن فى دراسة مخ الانسان لم أعد ما كنت أدرسه فى الحقول أيام الشباب ، كيف لا ، أليست هذه المزارع التى فى أدمغة الانسان بعد أن يدرسها المدرّسون ويعرفوها ، يحتالون فى تهذيبها وتوجيهها ، وفى انتزاع واهلاك ماضرّ منها ، ويوجهون العرائز من الضار إلى النافع .

فياليت شعرى أىّ فرق بين تقطيع الحشائش فى الحقول وبين إزالة الكذب من أفواه الأطفال ، ثم أىّ فرق بين تهذيب القوّة العضبية فى الطفل بأن نوجهها إلى اقتناء الفضائل ، والى الحماسة فى حماية الضعيف وبين تقليمنا الأشجار وتشذيبنا الأغصان لتعدل الأشجار عن إضاعة قواها فيما لا يفيد ، ولتتجه إما إلى ازدياد الخشب فى نحو الصنوبر ، واما إلى ازدياد الثمار فى الأشجار المثمرة ، إذن نظام العالم واحد « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » وحقلنا كما كان مضرب مثل لعلوم الأمم هكذا هو مضرب مثل لعلوم النفس وتهذيب الأخلاق ونظام مناطق مخ الانسان .

فقال صديقى : الله أكبر ، الله أكبر ، حسن حسن ، يظهر لى أنك ذكرت هذه المقدّمة لتكون نورا يأتنس به من يطلع على هذه المعانى فيما تريد أن تلقيه ، لأن هذا العلم صعب المنال ، بل اذا لم يفهم القارئ إلا ما ذكرته لحسبه ، والعقول الكبيرة ستفهم نفس الموضوع بتفاصيله وصوره الشمسية . فقلت : نطقت بالصدق ، فهاك الموضوع الذى اخترته من ذلك الكتاب بتمامه ، فقد جاء فيه فى صفحة ١٠٩ ومابعدها ما يأتى بالحرف الواحد :

المخ

« يملأ الجزء العلوى من القحف ممتدّا من الأمام إلى الخلف ، وحدّه الأسفل من الأمام مستوى الحاجبين ، ومن الجانبين حذاء الأذنين (انظر شكل ٣٠)

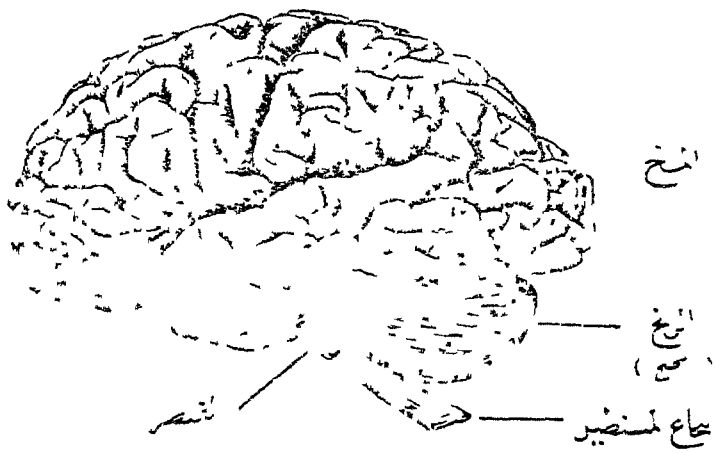

(شكل ٣٠)

ويبلغ متوسط وزنه ١٤٠٠ جرام [١] إذ هو يختلف عادة بين ١٣٠٠ و ١٨٠٠ جرام ، ويشبه فى الشكل قلب الجوزة ، فهو منقسم بشق مستطيل إلى نصفين متماثلين : النصف الأيمن ، والنصف الأيسر ، ويعرف كل منهما بنصف كرة ، والنصفان ليسا منفصلين بعضهما عن بعض تمام الانفصال بل متصلان من الأسفل بحزمة من الألياف العصبية تعرف بالجسم الصلب ، وبكل نصف منهما ثنايا كثيرة تعرف بالتلافيف بينها منخفضات ظاهرة تسمى شقوقا ، وهذه الثنايا تجعل سطح المخ فى مجموعه كبيرا جدا ، وبذلك تكون المادّة السمراء أواللحاء كبيرة أيضا ، لأنها تدخل فى الشقوق وتغطى التلافيف كلها ، وهذه التلافيف قليلة ليست ظاهرة فى الحيوانات ، ولكن كلما ارتقى الحيوان بدت الشقوق والتلافيف عميقة جليـة حتى انها لتكون واضحة كل الوضوح فى الانسان فكأن نموّها وعددها يسيران يدا بيد مع نشوء الحيوان وترقيه فى سلم النشوء والتطوّر . تميز التلافيف بعضها عن بعض بالشقوق التى بينها ، وأهمّ هذه الشقوق اثنان : شقّ رولندو ، أوالشق الأوسط ، وشق سلفيوس ، أوالشق الجانبي ، والتلافيف تختلف اختلافا قليلا باختلاف الأفراد ، ولكنها فى جملتها ثابتة ، ولذلك وضع لكل منها اسم خاص كما وضع لكل شق اسم خاص به أيضا وتراها واضحة فى (شكل ٣٠) الذى تقدم قريبا .

ينقسم كل نصف من نصفى المخ إلى أربعة فصوص يسمى كل منها باسم عظم القحف القريب منه ، وهذه الفصوص هى : (١) الفص الجبهى (٢) والفص الجدارى (٣) والفص الصدغى (٤) والفص المؤخرى

وكل فص من هذه الأربعة ينقسم إلى أقسام أخرى حسب مافيه من التلافيف ، فالفص الأمامى مثلا ينقسم إلى أربعة تلافيف التلفيف : الأوسط الأمامى (الصاعد الامامى) والتلفيف الأعلى ، ثم الأوسط ، والأدنى .

مادة المخ البيضاء

تتكوّن هذه المادّة البيضاء من الألياف العصبية المغلفة بذلك الغلاف الأبيض العازل الذى يجعلها بيضاء اللون ، وأغلبها خارج من الخلايا المحركة التى فى المخ ، والبعض الآخر وارد إليه من الخلايا الحساسة التى فى المحيط ، فالألياف الصادرة تخرج من أجسام الخلايا المتعدّدة فى اللحاء ، ثم تجتمع هذه الألياف بعضها مع بعض وتكون حزمتين كبيرتين من المادّة البيضاء تتصلان بالقنطرة وبالنخاع المستطيل (انظرشكل ٣١) فى الصفحة التالية .

---

(١) لقد حاول كثيرون أن يجعلوا زيادة وزن المخ على هذا المتوسط دليلا على الذكاء ، فمخ الأبله والغبى يكون عادة أقلّ من المتوسط بكثير ، فى حين أن مخ العالم الطبيعى [كوفييه] كان يزن ١٨٦٠ جراما ، ومخ [اللورد بايرن] الشاعر الانجليزى ١٨٠٠ جرام ، ومخ [كرمول] ٢٢٠٠ جرام ، ومع ذلك فان هذه لاتتخذ قاعدة ثابتة ، فمخ [فمبتا] الخطيب الفرنسى يزن أقلّ من المتوسط ، ولكن يقال ان تلافيفه كانت أعمق من المعتاد ، والحقيقة أنه لا بدّ من أن نحسب لنوع المخ حسابا ، وأن لايقتصر على الثقل وحده .

على أنه قد حاول كذلك كثير من العلماء إيجاد نسبة بين ثقل المخ والجسم ، ليتبينوا من وراء ذلك مقدار الذكاء ، وغاية مايستطيع الجزم به هو أنه كلما كانت النسبة كبيرة كان الحيوان أذكى من غيره ، ومع ذلك فهذه الحقيقة ليست مطلقة ، فبعض الطيور كالعقعق نسبة ثقل مخها إلى جسمها الصغير أكبر من نسبة ثقل مخ الانسان إلى جسمه اهـ

شكل ٣١

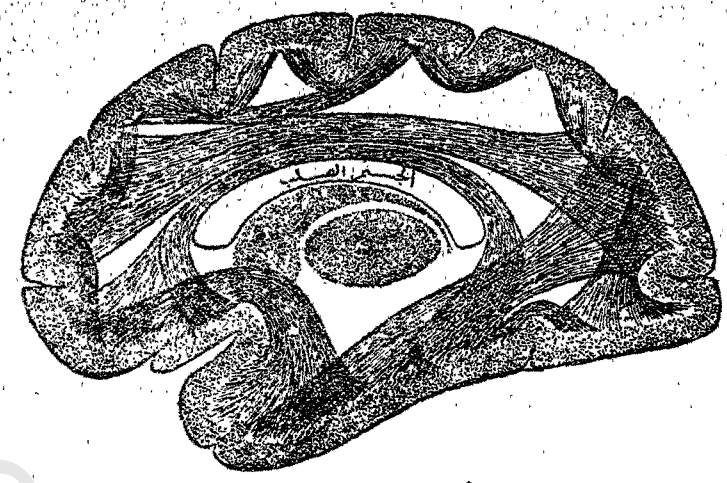

(شكل ٣١ ــ مقطع جانبي للمخ يبين الألياف الرابطة متجهة بين كل تلفيف وآخر وبين الفصوص المختلفة وترى الجسم الصلب فى الوسط)

والألياف البيضاء التى تتكوّن منها مادّة المخ البيضاء أربعة أنواع :

(١) ألياف رابطة وترى متجهة بين التلافيف تربط خلاياها كل نصف كرة بعضها ببعض كما ترى فى شكل ٣١ وبذلك تتصل مراكز اللحاء كلها بعضها ببعض .

(٢) الألياف الضامّة : وهذه أيضا رابطة ، ولكنها تربط نصفى الكرة بعضها ببعض بواسطة الجسم الصلب وغيره ، بذلك تكون التلافيف التى فى كل نصف كرة مرتبطة بالتلافيف التى فى النصف الآخر .

(٣) الألياف المصدرة وهى محركة ، وقد تسمى الألياف النازلة .

(٤) الألياف الموردة وهى حساسة ، وقد تسمى بالألياف الصاعدة .

وكلا الألياف المصدرة والموردة هذه تربط اللحاء بالأجزاء السفلى من المخ وبالحبل الشوكى ، ويتصل بالدماغ مباشرة اثنا عشر عصبا تذهب إلى الرأس كلها تقريبا وتتفرّع فى أعضاء الحواس المختلفة (شكل ٣٢)

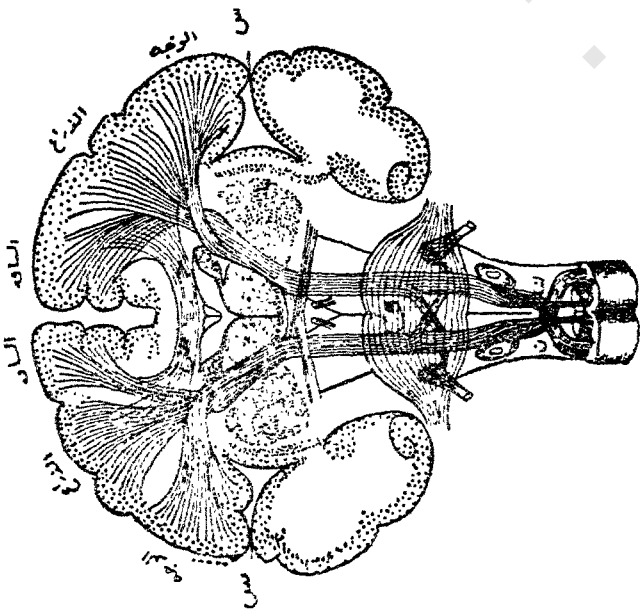

(شكل ٣٢)
مقطع مستعرض للمخ يوضح الألياف المصدرة وتقاطعها عند النخاع المستطيل (ق) قنطرة (ح م) الجسم الصلب (س) شق سلفيوس

اللحاء

تغطى الدماغ كله طبقة رقيقة من المادة السمراء وهذه تتكون كما تقدم من جسوم الخلايا العصبية وأوائل فروعها ، ويختلف سمكها القليل الذى لا يزيد على ثلاثة ملليمترات باختلاف أجزاء المخ ، واللحاء على رقته يتكون من خمس طبقات من الخلايا بينها طبقات أخرى من الألياف العصبية ، وخلايا الطبقات تختلف شكلا ووظيفة .

(١) فالطبقة العليا ، أو السطحية تتكون من خلايا قليلة العدد تمتد فروعها امتدادا أفقيا وأكثرها يتكون من فروع خلايا الطبقات التى تحتها ، ومن نهايات الأعصاب الموردة ، وهى كلها لا تزيد ½ ملليمتر ولا شك فى أن وظيفتها ربط الخلايا الحساسة (الموردة) بالخلايا المحركة (المصدرة) .

(٢) تلى هذه الطبقة طبقة أخرى بها خلايا كثيرة العدد ، مختلفة الحجم ، هرمية الشكل ، وظيفتها الربط أيضا ، وسمك هذه الطبقة يزداد برقى الحيوان فى مرتبة الشوء ، ثم طبقة :

(٣) ذات خلايا صغيرة نجمية الشكل محاورها قصيرة كثيرة التفرع .

(٤) ويلى هذه طبقة رابعة فيها خلايا هرمية كبيرة الحجم طويلة المحاور : وأغلبها فى منطقة الحركة فى المخ .

(٥) وأخيرا توجد طبقة خامسة خلاياها متعددة الشكول ، مختلفة الحجوم .

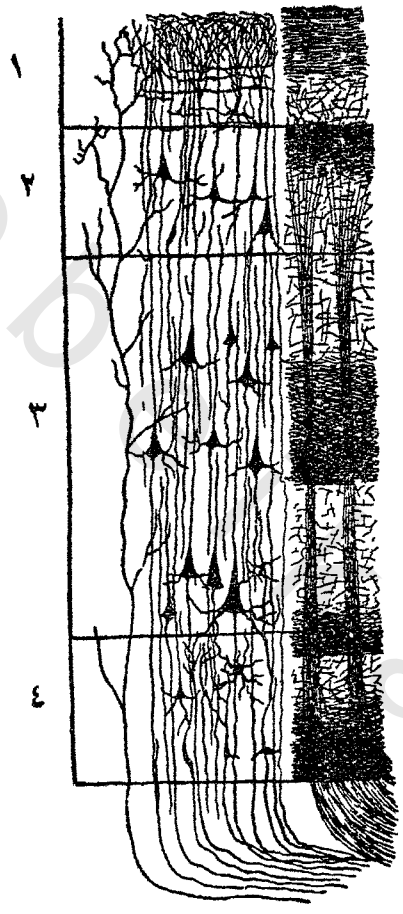

(شكل ٣٣)

مقطع فى اللحاء يبين طبقاته وأشكال خلاياه المختلفة . الجزء الأيمن من الشكل يوضح الألياف العصبية . والأيسر يوضح الخلايا . وهذان الشكلان يجب أن يتصورا معا بعضهما فوق بعض . وبذلك يتضح التعقيد الكبير فى تركيب اللحاء .

فخلايا اللحاء المخى كثيرة جدا معقدة التركيب ومختلفة الشكل ، كل خلية ترسل فروعا كثيرة متشابكة تشابكا كبيرا بعضها مع بعض ومع غيرها من فروع الخلايا الأخرى ، وهذا التشابك الكثير مما يميز الانسان الراقى عن غيره من الحيوان . وفى الوقت نفسه إلى اللحاء نهايات محاور كثيرة أيضا من أجزاء شتى تتشابك أطرافها مع فروع الخلايا الأخرى ، واذا تذكرنا أن بالمخ مراكز تمثل جميع أعمال الجسم الكثيرة ووظائف أعضائه المختلفة اتضح لنا مقدار التعقيد الكبير فى تركيب المخ ، ولاسيما فى طبقته الرقيقة الخطيرة الشأن المعروفة بالمحه .

وظائف المخ

المخ أهم أجزاء الجهاز العصبى ، فهو الذى يشرف على سلوك الانسان ويدبره ويراقب كل حركة ارادية أوغير ارادية من السلوك ، ويوفق بين أعمال الأعضاء المختلفة ويربطها بعضها ببعض ، وهوموطن العمليات العقلية السامية ، ففيه مراكز الاحساس والادراك الحسى والذكر والتفكير وربط العمليات العقلية بعضها ببعض ، وهوموطن الشعور ، فكل تأثير يقع على أىّ جزء من أجزاء الجسم ، ولم يصل أثره إلى المخ فان المرء لايتفطن إليه ولايشعر به ، ولذلك فانه اذانزع مخ حيوان كالضفدعة أوالحمامة مثلا فانها تفقد كل حركاتها الارادية ، وتصبح كأنها آلة من الآلات لاتتحرك بارادتها وباختيارها ولاتحس بما يسلط عليها من المؤثرات فالمخ هومحط جميع خطوط المواصلات فى الجسم ، وهو مستوى جميع المراكز العليا .

مناطق اللحاء

لكل جزء من أجزاء اللحاء المختلفة علاقة بأجزاء معينة فى الجسم يشرف عليها ويديرها ، فالنصف الأيمن من المخ يسيطر على الجزء الأيسر من الجسم وبالعكس (انظرشكل ٣٤) .

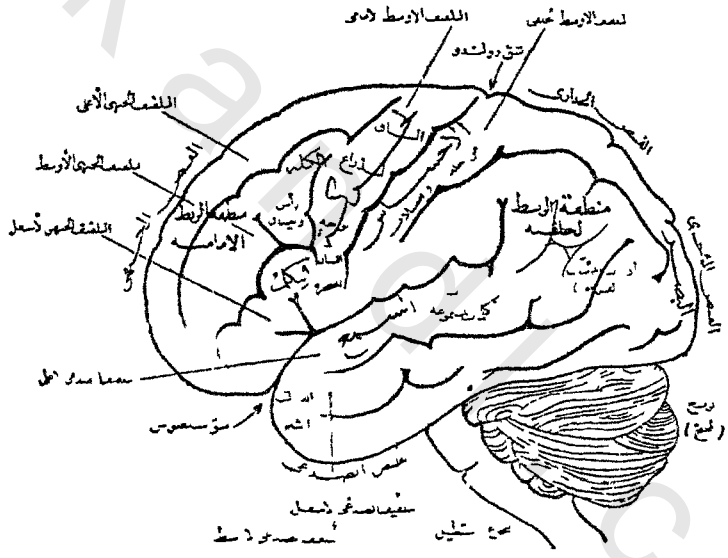

(شكل ٣٤)

ولقد تمكن الباحثون من علماء وظائف الأعضاء والتشريح من تعيين مواضع كثير من المراكز المختلفة فى اللحاء التى تقوم بوظائف خاصة ، وكثير من هذه المراكز ينحصر فى ثلاث مناطق : مناطق الحس ، ومناطق الحركة ، ومناطق ربط فالحس مراكز : للبصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس ، وتحريك العضلات ، وللحركة مراكز كثيرة أيضا تشمل عمل الأعضاء المختلفة ، من ذلك مراكز لتحريك الرجل واليد وغيرها كما سترى . وهذه المناطق توجد فى كل من نصفى المخ ، وقد تبين بحوث وتجارب العلماء أن مراكز النصف الأيمن تشرف على النصف الأيسر من الجسم ، ومراكز النصف الأيسر من المخ تشرف على الجزء الأيمن من الجسم :

[منطقة الحركة] : توجد فى نصفى المخ ... [منطقة الحس] وهى

مراكز لتحريك أعضاء الجسم المختلفة ، ففى الجزء الأعلى من هذه المنطقة مركز تحريك أصابع القدم تليه مراكز تحريك الركبة فالحرقفة فالأطراف العليا فالوجه وهكذا بترتيب تنازلى ، فكل حركة ارادية تنشأ من عمل مركز خاص فى هذه المنطقة ، إذا أصيب مركز منها بضرر أو مرض أعقبه شلل العضو المتعلق به فلا يمكن تحريكه بالارادة .

[منطقة الحس] : توجد موازية لمنطقة الحركة على الجانب المقابل لها من شق [رولندو] فى الفص الجدارى ، وفيها مراكز الاحساسات الآتية من الجلد وحركة الأعضاء المختلفة ، وترتيب مراكز الاحساس فى هذه المنطقة عين ترتيبها فى منطقة الحركة ، فمراكز الاحساسات الآتية من الساق مثلا توجد حذاء مراكز تحريكه وهكذا .

[منطقة البصر] : مراكز البصر توجد فى الفص المؤخرى من المخ ، فأى اصابة لها تحدث العمى مع أن العين نفسها قد تكون سليمة من كل شائبة ، وفى الفص المؤخرى هذا مراكز أخرى لادراك المرئيات ، فمنها مايتعلق بادراك الكتابة ، ومنها مايتعلق بادراك الألوان أو الأشياء وهكذا .

[منطقة السمع] : تقع فى الجزء الخلفى من التلفيف الصدغى الأعلى ، وهو تلفيف يقع أسفل شق سلفيوس ، وهى متصلة مباشرة بالأذنين ، فأى أثر يلحق بمراكز الاحساس السمعى فيها يحدث الصمم ، وقرب هذه المنطقة كما فى منطقة البصر مراكز مختلفة لادراك الكلمات المسموعة ، أو لتمييز الأنغام المختلفة وهكذا .

مناطق الربط والاتصال

يختلف مخ الانسان عن مخ القردة العالية وغيرها من الحيوانات الأخرى بأن به مناطق (صامتة) أوسع رقعة مما لديها ، وليست هذه المناطق وظيفة الحس أو الحركة وانما ربط مراكز الحس بعضها ببعض ومراكز الحركة كذلك والتوفيق بين أعمالها الكبيرة المعقدة ، فاذا أصيبت هذه المراكز لايحدث للمرء ضرر مادى فى جسمه مثل شلل أو فقدان الحس ، وانما يفقد قدرته على التفكير أو المهارة المكسوبة فيختلط عقله ويلتاث أو يصطرب اضطرابا واضحا فى كل عمل من الأعمال التى كان يؤديها قبلا بمهارة وحذق ، وتوجد هذه المناطق فى ثلاثة مواضع :

(١) المنطقة الأمامية ، وتقع فى الفص الجبهى أمام شق [رولندو] وأمام منطقة الحركة .

(٢) المنطقة الخلفية ، وتقع فى الفص الجدارى بين منطقتى الاحساس والبصر .

(٣) المنطقة الوسطى ، وتقع فيما يعرف بجزيرة [رايل] .

وهذه المناطق الثلاث ملتقى الاحساسات المختلفة الآتية من الحواس ، وفيها تربط بعضها ببعض وتحبك بواسطة الألياف الرابطة ، فيحدث الادراك الحسى والتذكر والترابط وسائر العمليات العقلية السامية من التفكير والحكم والاستدلال . وهى مناطق التفكير بمعناه المعروف ، أو ان شئت فقل هى أعضاء التفكير ، ولقد دل التشريح وعلم الأمراض أن خواء المخ وضعف العقول يكون أرق من المعتاد فى هذه المناطق فى حين أنه يكون سميكا نوعا ما ، وتكون التلافيف عميقة ومعقدة عند النابغين والمفكرين ذوى العقول الكبيرة ، ومن هذا يستنتج أن مقدرة الانسان العقلية تتوقف على عاملين :

(١) على التربية والتدريب .

(٢) وعلى صفات المخ الخلقية التى فطر عليها .

وهذا تجد فى البيئة وعلى الوراثة ، فمن الناس من يولد ذا استعداد طبيعى للموسيقى مثلا ،

فهذا معناه أنه ولد و بعض أجزاء من مناطق الربط فى مخه منظمة تنظيما خاصا مخالفا لغيره يجعلها متهيئة لقبول مهارة خاصة والنبوغ فيها اذا وجدت الأحوال معينة لها ، كأن يوجد الشخص المجدود هذا فى بيئة موسيقية ، أو يجد من مدرسته تشجيعا وحثا على العناية بتغذية موهبته هذه ، فالمواهب السامية العاملة ليست ثمرة التدريب وحده ، بل ثمرة تدريب استعداد فطرى وتربيته ، والواقع أن التربية لاتستطيع أن تبنى إلا على أساس الفطر والغرائز والاستعدادات ، فهى لاتخلق ماليس موجودا ، ولكن تذكى الموجود منها وتنظمه وتوجهه إلى العمل فى متجهات خاصة بما تغذيه به من الخبرات ، و بما تدربه عليه من الأعمال وتوجده فيه من ميول .

مراكز اللغة فى اللحاء

فى لحاء المخ أربعة مراكز ذات شأن كبير فى التربية المدرسية لاتصالها باللغة ، وهذه هى مراكز [الكلام] و[الكتابة] و [ادراك الألفاظ المسموعة] و[الألفاظ المكتوبة] ، وكل مركز منها يقع قرب المركز العام المتعلق به ، فمركز الكلام يقع فى النصف الأيسر من المخ فى التلفيف الأدنى من الفص الأمامى أمام مركز تحريك اللسان ، وذلك عند من يكتب بيده اليمنى ، فالطفل يتعلم التعبير عن خواطره بألفاظ وعبارات خاصة يكتسبها بالمحاكاة والمرانة ، فتذكر التعبير بهذه الأصوات يتركز فى هذا المركز ، ومنه ينتقل الأثر إلى المنطقة المحركة المجاورة له فيتحرك اللسان و ينطق بالألفاظ ، فاذا أصيب مركز الكلام هذا بضرر ما فقد الانسان القدرة على التعبير بالألفاظ ، أوكان تعبيره على الأقل مضطربا لاتآلف فيه ولذا لايفهم مع أن لسانه يكون صحيحا غير مصاب بأىّ شلل ما ، فهو ليس بأبكم ولكنه مع ذلك يعجز عن التعبير عما فى نفسه بعبارات يدرك السامع مدلولها ومعناها ، و يقع [مركز الكتابة] فوق مركز الكلام أمام مركز حركة اليد وهو مرتبط بها كل الارتباط ومتوقف عليها ، واذا أصيب بضرر فقد المرء القدرة على الكتابة وما يماثلها من الأعمال التى تستلزم مهارة وتدريبا مكتسبا بطول الخبرة والمرانة . و يقع مركز [ادراك الألفاظ المسموعة] قرب منطقة السمع ، و يعرف بمركز فرنك ، واصابته تحدث مايعرف بالصمم اللفظى ، فالمصاب يسمع الألفاظ ولكن لايفهم معناها ، ويقع مركز [ادراك الكلمات المرئية] أو [مركز القراءة] فى الفص المؤخرى قرب مركز البصر ، ومرضه أواصابته تحدث العمى اللفظى ، فلايستطيع المصاب أن يدرك لما يرى من الكلمات المكتوبة معنى مّا ، مع أن نظره قد يكون سليما من كل شائبة مرض ، فوقفه يكون أشبه بمن يرى لغة غريبة عنه لم يتعلمها قط ، ولربما كان عجز بعض الأطفال عن التقدم فى القراءة راجعا إلى ضعف فى هذا المركز . وهذه المراكز فضلا عن كونها مراكز ارتباط فى نفسها متصلة بعضها ببعض ، ولاسيما مركز إدراك الألفاظ المسموعة والكلام ، والأوّل منهما يسبق الثانى فى ترقيه ، فالطفل يفهم كثيرا من الألفاظ والعبارات التى يسمعها من أهله و يدرك معناها قبل أن يستطيع التلفظ بها على الوجه الصحيح ، ولربما تظلّ هذه الحال كذلك فى الانسان طول حياته ، فتكون قدرته على الفهم أكبر من قدرته على التعبير عما يجول بنفسه ، ولهذا فان هذا المركز أهمّ المراكز الأوّلية كلها ، فعند القراءة الجهرية تتأثر العين بما ترى من الكلمات ، و يسير أثر الانفعال إلى مركز القراءة ثم يتجه إلى مركز إدراك الكلمات المسموعة بواسطة ألياف رابطة فيستثير ذكرى أصواتها ، ثم تتصل هذه بألياف رابطة أخرى إلى مركز بروكا أو مركز الكلام ، فيلفظ المرء الأصوات التى ترمز إليها الكلمات التى يقرؤها ، وكذلك الحال عند ما يكتب الانسان مايملى عليه ، فان الألفاظ المسموعة تتجه من الأذن إلى مركز إدراكها ، ثم تتصل بمركز الكلمات المرئية فتستثير ذكرى أشكال الحروف التى ترمز إليها ، ثم تتصل بمركز الكتابة ، وهذا كما عرفت متصل كل الاتصال باليد ، فتتحرك هذه عندئذ وتكتب الأشكال التى تدل على

ماسمع ، ومن هذا نعلم أن فى التدريس يجب استعمال أكثر من حاسة واحدة ، لأن ذلك يعين على سرعة الفهم وحسن تذكر مافهم لكثرة الارتباطات التى تتم بين المراكز المختلفة .

الرنح أو المخيخ

يوجد الرنح خلف المخ وهو أصغر منه حجما ، ويشبهه من حيث وجود المادّة السمراء على سطحه ، وبكثرة مافيه من التلافيف ، وهو منقسم إلى قسمين كبيرين بينهما قسم صغير يعرف بالدودة ، على أن تلافيف الرنح تختلف عن تلافيف المخ من حيث شكلها ، فكلها مستعرضة وتحلة بخلاف المخ .

واذا شقّ الرنح رؤى أن المادّتين السمراء والبيضاء تتدخلان فى بعضهما البعض تدخلا يجعلها تشبه تفرّع شجرة ، ولذا يطلق عليها شجرة الحياة ،

وظيفته

من الثابت أن وظيفة الرنح هى ضبط حركات الجسم المختلفة ، والاحتفاظ باتزان الجسم فى حالى الحركة والوقوف ، وهو يؤدى هذا العمل بنفسه عادة من غير تدخل المخ إلا فى أحوال استثنائية تقتضى تدخله عند ماتكون الحركات غير عادية كالسير على حبل ممدود مثلا ، أوفى حالة الترنح من السكر ، فالرنح ليس مركز حركات إرادية إنما هو مركز توفيق بين هذه الحركات ، فاذا قطع أوأصيب كانت حركات الحيوان مضطربة اضطرابا كبيرا لاتوافق بينها ولاتآلف فلايستطيع الوقوف أوالسير المنظم ، وقيام الرنح بعمله هذا لايصحبه شعور عادة ، ولذلك لايتنبه إليه المرء إلا فى الأحوال الاستثنائية . ولكى يستطيع الرنح أن يقوم بأداء وظيفته هذه لابدّ له من أن يكون على اتصال تامّ بالأجزاء المركزية الأخرى ، ولذا فهومتصل بالمخ والنخاع المستطيل والحبل الشوكى بواسطة ثلاث قوائم من الألياف العصبية . انتهى ما جاء فى كتاب [أصول علم النفس] والحمد لله رب العالمين .

هذا ما أردت ذكره فى هذا المقام ، وعسى أن أوفق إلى أن أكتب فى سورة « والشمس وضحاها » عند آية : « ونفس وماسوّاها ، فألهمها فجورها وتقواها » إذ أنقل ماجاء تحت عنوان [الشوق] من حيث أن كل عمل نعمله ونحن به مغرمون يجعلنا سعداء به فى الحياة الدنيا ، وكل عمل نحن نكرهه لايتمّ على أيدينا ، فهذه الحياة لاكمال فيها إلا بالغرام والشوق لما نعمل ، وهذا الشوق راجع الى القوى المركوزة فى نفوسنا بل المعلوم الذى ضعفت منطقته فى الدماغ لانعقله ولانفهمه ، فالتعليم منير لما كمن فينا ، ولكنه لايحدث فينا أمرا ليس فينا استعداد له .

نظرة عامة على هذه المشاهد فى علم النفس الحديث

وكيف كانت هذه المناظر مثيرة فى نفسى التعاون العام لنوع الانسان

وكيف كان ذلك كله كنظام الكلام عند نوع الانسان ، وكأن هذه العوالم كلمات

أيها الأخ الذكى : إن منظر الصور المتقدم قد أثار فى نفسى أمرين عجيبين أثار فيها التعاون العام فى نوع الانسان ، وأثار فيها ما كمن من أن هذه العوالم كلها أشبه بكلمات صادرات من رب العالمين .

انظر إلى الصورة التى فيها مقطع حبلى الخ (شكل ٣١ المقدم) وفيه الألياف الرابطة قد خلت الفصوص المختلفة والألياف المختلفة . وماهى إلا أعصاب حساسة واردة من محيط الجسم موصلة لما يرد على الحواس الخارجية من لمح ، وأعصاب أخرى خارجات من مراكز الاحساس فى داخل المخ من الخلايا المتعددة فى الأنحاء

فهذان النوعان اجتمعا وكوّنا حزمتين كبيرتين من المادّة البيضاء إلى آخر ما تقدّم ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ان هذه الألياف هي التي يقال لها أعصاب الحس وأعصاب الحركة ، فالأولى واردة من الحواس في ظاهر الجسد والثانية خارجات لتنفيذ ما نتج من آثار الأولى من الأعمال .

فها أنا ذا حينما نظرت هذا الشكل البديع تذكرت التيارات البحرية المرسومة في [سورة الشورى] في ملحقات آية : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره » فترى هناك في (شكل ٧) أن التيار الذي يخرج من الخليج ، والتيار الذي يخرج من البرازيل في المحيط الأطلسي ، وتيار كورسيوه ، وتيار شرقي استراليا في المحيط الهادي ، وتيار موزنبيق في شرقي أفريقيا في المحيط الهندي ، هذه التيارات بعضها يتجه من الجهات الاستوائية إلى العروض البعيدة لتلطف حرارة تلك التيارات برودة تلك الجهات ، فلكلّ من التيارات الباردة أو الحرارة أعمال حسنة ، فالبحار الشمالية مثلا ترسل تيارات الى الأقطار الاستوائية مثل تيار [لبرادو] ومثل تيار شمالي شرق اليابان ، فهذه تيارات باردة ملطفات لحرارة خط الاستواء .

أليس من العجب أيها الأخ الذكي أن أرى هذه التيارات العصبية من أعصاب الحس وأعصاب الحركات تتخلل نصفي الدماغ وتتصل ببعضها ويلطف بعضها بعضا فتتحد في العمل .

الله أكبر : أيها المسلمون : أيتها الأمم التي في الأرض ، أنتم نسيتم العلم ، نسيتم أنفسكم ونسيتم الدين ، التيارات البحرية متصلة متشابكة لاحداث السعادة لسكان الأرض ، وأدمغتكم جعل تركيبها على هيئة تضامن عامّ ووحدة منظمة تامة النظام ، وهكذا نظام كل خلية في حيوان أو نبات أو شجر أو صوّان ، بل هكذا نظام مملكة النحل ومملكة النمل وممالك الأرَضات (بفتحات) التي تقدّمت في هذا الكتاب ، وهكذا مملكة المجموعة الشمسية فهي شمس حولها سيارات لها منجذبات انجذاب النحلات والنملات لملكاتها ، هكذا وحدة المخ الانساني مسكن النفس .

أليس هذا النظام معناه أن نوع الانسان الآن لا يزال في المهد صبيا ، هذه دروس له معناها أن يكون الناس أمة واحدة كالبحار وتياراتها ، والشمس وسياراتها وتوابعها ، ومملكة النحل والنمل والأرَضة وأعوانها منظمات تامات النظام .

ألم يصبح اليوم نوع الانسان متصلا متقاربا متواصلا ، يكلم الشرقيّ العربيّ والغربي الشرقي ، وينظر كلّ صورة أخيه .

يا سبحان الله : إن الأمم لا سعادة لها إلا بأن تكون على هيئة النظام الذرّي المتقدّم ذكره في سورة العنكبوت بحيث أصبحت جميع العناصر بينها نسب هندسية وحسابية في الجدول هناك وقرابة طبيعية وأخرى كيمائية ، وبأن تكون أشبه بأوراق الشجر المتقدم رسمها وشرحها في [سورة الحجر] عند آية : « وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » ، وبأن تكون كالبحار الملحة فيها تيارات تأتي من خط الاستواء إلى القطبين وبالعكس ليكون الاصلاح العام ، وبأن تكون أشبه بمملكة النحل والنمل والأرضة [بالفتح] ، وبأن تكون أشبه بنظام المخ من حيث توزيع أعصاب الحس وأعصاب الحركة فيه مع بهجة النظام ، هذه غاية حياة هذا الانسان على الأرض .

إن للانسان لمستقبلا سعيدا ، وحالا جديدة لم يحلم به الانسان ، وستعلم الأجيال المقبلة صحة ما رأيناه . وصدق ما فهمناه . وعلى أمة الاسلام أن تعلم علما ليس بالظن أنها خير أمة أخرجت للناس ، وأنها الآن تتخللت جميع الأمم : في الصين ، في اليابان ، في الهند ، في افريقيا ، في آسيا ، في استراليا ، في أوروبا .

أما من هذه الأمّة التي قال الله في نبيها صلى الله عليه وسلم : « وإنك لعلى خلق عظيم » . وقال أيضا : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وأعمّ الرحمات انتظام الأمم كلها كأمة واحدة كمملكة النحل والنمل يقتسمون الاعمال ويوزعونها ، ويترك لكل امرئ حرّيته في دينه ، وأمرها هو الذي يقوم به الجماعات إن القرآن قد أصبحت العلوم اليوم والعلوم المستقبلة سرّه وحقيقته ، وأمة هذا شأنها تعلم الأمم كلها ، فكل دين غير الاسلام لا يهتمّ إلا بنظام الجماعات الانسانية ، فاما خلق العوالم ونظام الطبيعة ونحوها فهو غالبا بضرب الأمثال والحكايات المصطنعة ، الاسلام أخذ أعلى دور أيام العصور الأولى فنفع الانسانية ، ثم انحط أهله انحطاطا لا نظير له ، وها هم أولاء الآن يريدون أن يكونوا بين الأمم في عصرنا في أمر السلام العام كما كان شأنهم أيام عصر الصحابة والتابعين هم الذين يدعون إلى سلام الأمم انتهاجا منهج الآية : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ونحن أتباعه فعلينا أن نقوم بما أنزل الله من صفات الكمال .

أما الأمر الثاني فهو أن هذه الدنيا وما حوت إنما هي كلمات الله .

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : كون الدنيا كلمات الله هذا أمر مجازي لا كنه الألسن كثيرا فهو أشبه بالأمر بالمعروف ، وجاء على لسان الصوفية الذين يقولون : « إن خطاب الله يسمعه الانسان بجميع جسمه لا بحاسة سمعه فقط » وهذه أمور لا تقبل لنا بفهمها ، فاذا قلت لنا ان هذه الأجسام وهذه العوالم كلمات الله فلماذا لم نسمع — ان صحّ كلام الصوفية — إلا بآذاننا . ولماذا لم تسمع أبصارنا ولا جلودنا أو لحومنا وهكذا ، فانا أرى أن هذا المقام يصح اغفاله رفقا بالقارئين .

فقلت يا صاح حياك الله وبياك : أنا أكتب هذا اليوم الأحد ٢٢ صفر سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ٢٦ يونيو سنة ١٩٣٢ م وأنت معي ولكن خطر لي خاطر قبيل صلاة الجمعة الماضية وأنا متأهب لصلاتها بمسجد الحبيبي في شارع السيدة زينب ، وهذا الخاطر عجيب ! فبعد أن صليت لم أرجع إلى المنزل بل جلست وحدي في الخلاء لأفهم ما ورد إلى خاطري من الآراء ، وذلك الخاطر ملخصه :

إن عوالم المادّة ترجع كلها (كما تقدم في سورة النور عند آية : الله نور السموات والأرض) إلى نقط كهربائية يدور سالبها حول موجبها نحو ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية الواحدة ، وباختلاف عددها كثرة وقلة وتباينا أشكالها تظهر لعيوننا جبلا وجلا وشجرا وحجرا الخ فهناك خطر لي أنه من المسلم به الآن عند الأمم شرقا وغربا أن المادّة ما هي إلا حركات ، وهذه الحركات في الأثير ، والمحرّك لها هو الله عزّ وجل .

حدّثني أيها الذكيّ رعاك الله ما الصوت ؟ قال : هو حركات تنتقل في الهواء وفي الأثير من فم القائل إلى أذن السامع . فقلت له : وهذه الحركات ان كانت أقلّ من ٣٢ في الثانية الواحدة لم تسمعها الآذان ، وان كانت فوق ذلك سمعت ، وتزداد شدّة كلما ازدادت عددا حتى تصل إلى نحو ٣٢ ألفا في الثانية الواحدة ، فاذا زادت عن ٣٢ ألفا لا يسمعها الناس . قال نعم هكذا تقدّم في هذا التفسير . فقلت له : ما هي المادّة ؟ فقال : هي حركات في الأثير . فقلت : إذن الكلام حركات في الأثير ، والمادّة حركات في الأثير ، وقصاري الأمر وجماعه أن الحركات التي يحسّها الانسان في الأثير بأعضاء فمه المتصلات أصعب أثرا وأقلّ عددا من حركات الأثير التي صنعها الله لاحداث الأجسام والأصوات وجميع العالمين . فقال هذا حقّ لأن الضوء لا يصل لأبصارنا إلا اذا كانت حركاته قد وصلت إلى ٤٠٠ مليون مليون حركة في الثانية فيحس بلون الحمرة ، ولا يزال يزداد فتكون هناك ألوان أخرى حتى تصل عدد الحركات إلى ٧٠٠ مليون مليون حركة في الثانية فيكون اللون البنفسجي وما وراء ذلك غير معلوم .

فقلت له : إذن أيها الأخ جميع الحركات من ٣٢ ألفا إلى ٤٠٠ مليون مليون لم نعطها حاسة حتى نعرفها ، ومافوق ٧٠٠ مليون مليون لانعرفه حتى نصل إلى نحو ستة آلاف مليون مليون فهذا لانعرفه ، وتتجلى لنا تلك الحركات بصفة مذوقات ومشمومات وملموسات ناعمة وخشنة وهكذا ، فهنا أمران : حركات لانعلمها ، وحركات وصل لنا علمها ، والحركات التي وصل لنا علمها منها ماهو من فعلنا ، ومنها ماهو من فعل خالقنا ، فما كان من فعلنا فهو ضعيف كحركات تسمى أصوات كالكلام وكالغناء ، وما كان من فعل خالقنا فهو قوي جدا ظهر بهيئة ضوء نارة ، وتارة بهيئة حديد ونحاس وأرض وسماء وهكذا ، ونسبة كلامنا إلى قوة كلام الله وهي هذه العوالم نسبة ضئيلة جدا ، ذلك أن ٣٢ ألفا بالنسبة إلى مليون واحد إنما هي نحو جزء من ٣٠ جزءا ، فكيف بها إذا نسبت إلى ألف مليون ، ثم إلى مليون مليون ، ثم إلى ستة آلاف مليون مليون ، أنها إذن تصبح كالعدم ، فهي كنسبة الانسان الضعيف الذي يشبه المعدوم إلى خالقه القادر العظيم ، أليس هذا معناه أن العوالم كلمات الله فعلا ، لأنها حركات كحركات كلامنا بحسب ما كشفه العلماء في عصرنا وهو يقرأ في مدارس الشرق والغرب . قال بلى . قلت : أفليست كلمات الله إذن هي هي أنفسها هذه المخلوقات وهو هو المتكلم بها ، ثم كلماته ان كانت أصواتا سمعتها آذاننا كأصوات الرياح ، أو كانت مذوقات أو مشمومات أو مبصرات أو حارة أو باردة أو بيضاء أو حمراء مثلا أدركتها حواسنا ، إذن الكشف الحديث أبان لنا معنى قوله تعالى : « إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » الآية « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي » ، « وكلمته ألقاها إلى مريم » وليس معنى هذا أن ذلك كلام الله القديم . كلا . وانما هو كضرب مثل له ، إن من هذا النوع الانساني من صفت أرواحهم فيرون أن هذا العالم خطاب من الله لهم وكأنهم في حضرته الآن ، هكذا يخطر لي أن في الأرض أناسا على هذا المنوال .

أقول : إن آية : « إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » وان كان يراد بها ضرب المثل فان العلم أراها أن الممثل له قريب المنال ، فهو وان لم يسم في العرف كلاما ولكنه يشبه الكلام لأنه حركات في الأثير ، وهذه الحركات قوية متينة وآثارها مدهشة بحيث تشعر بها جميع حواسنا على اختلاف طبقاتها وتعطينا جميع اللذات المحسوسات والمعقولات الآن في الدنيا ، فادا متنا وانكشف الغطاء لنا ، وتجردت أرواحنا ذاقت من اللذات أضعاف أضعاف ماتذوق هنا وهي محجوبة في هذه الحياة ، إذن خطاب الله يصدر عنه المتكلم به ويظهر في الخارج عند النطق به (وهذا ليس هو الكلام القديم بل ضرب مثل له) ويبقى آمادا وتحس به جميع الحواس ، وكلام المخلوق لاقدرة له إلا على الوصول إلى الأسماع فحسب ، ولا نتيجة له إلا مايفعله السامعون .

ولما عرفت ذلك وكنت إذ ذاك خارج القاهرة تبين لي أن هذه الأشجار والأحجار والأنهار والأزهار والماء والسماء كلها كلمات ، وهذه الكلمات مفرقت على حواس الانسان والله نفسه كأنه بها يخاطبنا ، فالعلوم المشروحة في هذا المقام جميعها شرح لبعض تلك الكلمات التي نعيش فيها . إذن العالم كله كلمات فعلا ، والكلمات مفروءات لأولي الألباب .

هذا ماخطر لي يوم الجمعة السابقة في التاريخ المذكور والحمد لله رب العالمين . فرغت من هذه المقالة صباح يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٥١ هجرية — ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٢ م بمحل السيدة زينب بشارع زين العابدين .

حديث طريف

حضر صاحبي العالم بعد ذلك فى نفس اليوم وقال لى : لقد نسيت أن تذكر شيئا أشرت إليه فى علم التربية ألم تقل فيما تقدم أن الانسان فى أدوار حياته يضارع أطوار الخليقة ، ووعدت أن تشرح ذلك . فقلت حقا : « إن الله لايخلف الميعاد » إن العلماء فى عصرنا نظروا فى لعب الأطفال فرأوها أمرا عجبا مدهشا ، وهذا الأمر المدهش معناه قول الله تعالى :« وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين» ونحن نسمى لعب الأطفال لعبا ولكن للأطفال غريزة ومزروعة والله هوالزارع ، فهل يخلق الله اللعب ؟ هذا لعب عندنا ، وجد عند الله والحكماء ، إن الحكيم ينظر إلى لعب الأطفال والصغار ويحدق بنظره إلى أسلاف الطفل وأسلاف الحيوان فيجد ذلك اللعب ماهو إلا مافطر عليه أجداده فى كرّهم وفرّهم ، وصيدهم وقنصهم ، سواء أكان انسانا أوحيوانا ، وهـذا اللعب من جهة أخرى يدل على مستقبل الطفل ، فهو وارث لأعمال الآباء ، يجددها من جهة وهو من جهة أخرى يستعدّ لحياة جديدة يتمرّن عليها ، إذن اللعب أعطى صورتين : صورة للماضى ، وصورة للمستقبل كلاهما فى آن واحد ، فالفتاة تلعب بالعروس وتغنى لها ، والفتى يتقلد السيف والرمح ويركب العود كأنه فرس ، وهما يحكيان أفعال الآباء والأجداد ، ومن جهة أخرى هما يتأهبان للمستقبل القريب ، بل الأمر أعظم من ذلك .

إن الانسان يلخص فى الرحم جميع الأدوار التى مرّت فيها الخليقة كلها من خلية واحدة إلى الانسان ثم هو يلخص فى أدوار ترقيته من وقت ميلاده إلى نضوجه جميع الأدوار التى مرّ بها الجنس البشرى فى تقدمه من الوحشية إلى الحضارة . إن كل لعب من ألعاب الأطفال يدل على دور من أدوار الآباء فى أعمالهم العادية تقبله الطفل هنا بهيئة لعب ، ثم ان لكل امرئ مواهب خاصة تظهر ما استعدّ له ، فاذا راقبنا ذلك ووضعنا كل امرئ فيما خلق له فذلك هواليوم الذى يسعد فيه الانسان ، وهذا القول ملخص آراء الاستاذ [ستانلى هول] والاستاذ [كارل جروس] أحد أساتذة [جامعة بال] فى سنة ١٨٩٦ م انتهى الحديث فى نفس التاريخ ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلىّ العظيم .

تذكرة

سنذكر ان شاء الله تعالى فى سورة « والشمس وضحاها » فصولا من علم التربية جليلة نافعة اه

جوهرة فى قوله تعالى : ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون

ففرّوا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين

خلقت اللهم من كل شىء زوجين ، ودعوتنا للتذكر ، وأمرتنا بالفرار إليك ، ونحن لا نتذكر إلا بالعلم لاسيما علم الحيوان الذى ظهر فيه الزوجان ظهورا تاما . وسمعناك تقول فى ﴿ سورة الجاثية ﴾ : « وفى خلقكم وما يبثّ من دابة » الخ وفى ﴿ سورة الزخرف ﴾ : « والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا إلى ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » وفى ﴿سوره العاشية﴾ : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت » ثم تقول : « فذكر إنما أنت مذكر » نحن لأن تذكرنا ونظرنا فرحدنا أن ذكر الابل فى الآية ، يقصد به الاضرب مثل ، لأن الابل مراكب الصحراء والعرب تعتبرها بركبون . وهى تحمل أثقالهم ، فذكر مايناسب عملهم ، ولو أن القرآن نزل على رجل هندى لميز الفيل على الابل كيف حق ، أوعلى الدين يطعمون الحيات فى أواسط افريقيا لذكر الحيات ،

أوالذين يجلون القرود فى الهند أيضا لذكر القرود ، إذن الله بهذه الآية وأمثالها فتح لنا باب التذكرة والعلم فلنبحث إذن فى كل حيوان ، ولنقدم مقدمة فنقول :

إن الله عزّوجل أكثر فى القرآن من ذكر العقل فيقول : « إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ومن ذكر التدبر والتذكر ، وعوّل جدّ التعويل على العقول ، فلننظر بعقولنا فى هذه الفطرة الانسانية العامّة ، انا لما خلقنا فى هذه الأرض وجدنا لنا شهوة لطلب الغذاء ، ولطلب التناسل ، وغضبا لمدافعة الأعداء ، وقوّة أعلى منهما لمعرفة الحقائق كلها كالذى نحن فيه ، ووجدنا الديانات تطلب منا الاعتدال فى القوّتين الأوليين ، فنسمع الله يقول : « وكلوا واشربوا ولاتسرفوا » ويقول : « ولاتقربوا الزنا » ويقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » إذن الديانات والوعظ والقضاء إنما جاءت لتلطيف هذه القوى فينا لاغير ، إن شهوة الغذاء ، وشهوة التناسل ، والقوّة الغضبية فينا كلها قوى شريفة رفيعة المنزلة أنزلها الله لحياتنا ، وانما المذموم الخروج بها عن مقاصدها ، والافنحن بغيرها لاحياة لنا ، فكل قانون ، وكل وعظ دينى أودنيوى وظيفتها أن تجعل هذه القوى معتدلة لاغير ، ولكن القوّة العليا وهى الفكرية المسيطرة على القوّتين السابقتين لها مطالب أيضا ومطالبها هوالعلم وغذاؤها صور المعلومات ، فكما كان لشهوة الغذاء أنواع الطعام ، ولشهوة الوقاع أنواع النساء ، وللقوّة الغضبية أنواع القتال ، هكذا للقوّة العاقلة أنواع الصور العلمية المكتسبة من الموادّ المحيطة بنا ، وهذه وظيفة تامّة قائمة بنفسها لا أنها مهذبة لحسب ، بل هى شهوة مقدّسة وهى الخاصة بالانسان ، فاذا غذاها صار انسانا تاما ، واذا تركها بقى حيوانا لأنه لم يرتق عن الحيوان فهو مثله فى الشهوتين السابقتين ، نعم اذا كان قد هذب الشهوتين السابقتين فقد تكمل فى العمل ، ولكن العلم هو الخاصية الانسانية ، الحيوان ليس فى حاجة إلى التهذيب أما الانسان فهو فى حاجة إليه ، وأذكر منظرا شاهدته قبل كتابة هذه الأسطر بساعات لأنى الساعة أكتب هذا قريبا من منتصف ليلة الجمعة ١٧ يناير سنة ١٩٣٠ م وفى عصر الخميس كنت أرتاض ماشيا عند مصر القديمة مارّا على [كوبرى الملك الصالح] فرأيت راعيا يسوق عنزات ذوات ضروع مملوءة لبنا ومعهنّ تيسهنّ فتأملت ذيولهنّ اذا هى مرفوعة دائما ، وقد عرى السيلان عما يغطيهما فترى الذيل كأنه قوس رجع إلى الخلف فقلت فى نفسى : يقول الله تعالى : « يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ولباس التقوى ذلك خير » فنحن أمرنا وامتنّ الله علينا باللباس الذى يوارى سوآتنا ، أما هذه الحيوانات فقد كشف سوآتها وعاشت بهذا والله لايخلق إلا الكمال ففكرت فيما خلق النفس من أمر هذه الحيوانات ، وأن ذكورها لاتقرب اناثها إلا وهى غير حاملة ، ومتى حملت لاتقربها ، وهذا عجيب ! إذن كشف العورة لايضرّها هى ، لأن هناك قانونا مسنونا ، وهو أن التيس لايقرب العنز إلا ورجله حبل من الحبين . فسألت الراعى فقال نعم انها متى حملت لايقربها التيس ولوفى اليوم الثانى ، فأما الانسان فانه أعطيت له الحرّية فى كل شىء ، فشهوة العداء لاحدّ لها وهكذا شهوة الوقاع ، فهذه الحرّية وجب أن تقيد بالقيود الشرعية والعقلية لتحفظ حياته وكماله ، وهذه الحرّية شرف له لأنه خلق منه الجهد بنفسه ، فهو هو المأمر بالمحافظة على قواه ، فاذا قدر على أنواع الطعام وفنون ألوانه ولم يحد ماله يمنعه من تناول أنواع الشهوات فى وقوع ، وله كما أن يقع نفسه بنفسه كما صنعت كورتلك الحيوانات بعضرها فى بعض الأحوال ، وهكذا ترى الحيوانات لاتشرب إلا اذا عطشت بخلاف الانسان فانه يشرب الخمرى متعددا ويرتعش ، فهذه حرّية أعطيت له وقد عرف أنه هو الذى يضيع هذه الحرّية ، أما الحيوانات التى فى البرية فحريره واسعة غير ضائع ولكن الانسان [illegible] ومقدراته اعظامه فكأنه قيل له : أنت حرّ فى نفسك ... ، لكن يريدون تكون ملكا على عواصفك

لا أنك مقيد بقيود طبيعية تحجزك ، بل قيودك تكون من تلقاء نفسك ، وهذا شرف لك ، وخذلان لك ان قصرت ، والمقصود من هذا الجهاد أن تعتاد نفسك المران على العمل ، وترتقى إلى ماهو أعلى منه وهو تغذية القوة العاقلة بالصور الحكمية ، ولن تستقيم أيها الانسان حالك إلا بجدك واجتهادك .

إن هذه العنزات التى رأيتها اليوم قرأت فيها درسين : الدرس المتقدم وهو درس الشهوات وحفظها بالغريزة فى الحيوان ، واحتياج الانسان فى حفظها إلى العلم والدين ، ودرس الألوان ، فان العنزات رأيت منهن البيضاء والسوداء والحراء والصفراء والداكنة اللون ، ومنهن من كان جسمها مختلط البياض بالسواد ، أو بالحمرة ، أو بالصفرة ، أو بالجميع ، أو بالبعض ، وهن متصاحبات متاحبات ، فقلت فى نفسى هذا معنى قوله تعالى : « قتل الانسان ما أكفره » لأن الناس كما احتاجوا فى طعامهم وشرابهم ودفاعهم إلى وازع ليحفظوا قواهم هكذا فى السياسة العامة يحتاجون إلى وازع يرفع من شأنهم ، فهاهم أولاء أهل أمريكا يعادى البيض منهم السود لمجرد اللون ، وهكذا فى بلاد الانجليز فى هذه السنة لم يقبل أصحاب المطاعم والمجتمعات العامة رجلا أسود أمريكيا مع أنه مثر عظيم ، ذلك كله لمجرد اللون ، فهؤلاء لم يجدوا مايهذب هذه النفوس المحبوسة فى أمور تافهة كالألوان ، ولكن هذه العنزات متحابة معا وهن مختلفات الألوان لأنهن يرين أن النظر لهذه الفوارق اللونية أمر تافه ونظرة حمقاء وقلة عقل وقصر فى العلم ، ولكن ليس هذا عندهن علما وانما هو غريزة كغريزة امتناع الوقاع أثناء حمل الأنثى ، فههنا درسان درستهما اليوم على هذه العنزات درس أخلاق ودرس سياسة ، ولهذا قال الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وورد فى الحديث : « لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » وقال صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى » وأمر بلالا أن يؤذن فى الكعبة يوم فتح مكة بمحضر من قريش ، كل ذلك تهذيب لهذه النفوس الانسانية فى الامور السياسية العامة ، والحيوان لم يحتج إلى هذا لأن غريزته تكفيه ، الحيوان ليس مستعدا لحور العلوم والمعارف ولذلك لم يكلف بالجهاد لحفظ شهواته ، بل كفته الغريزة كما قدمنا ، أما الانسان فجهاده فى مدافعة شهواته يكون مقدمة لجهاده فى اكمال نفسه بالعلم وادراك الحقائق التى لم يخلق إلا لادراكها ، إذن هذه الشهوات واطلاق الحرية للانسان فيها جعلت أشبه بامتحان له فان جد فى المحافظة على قواه الشهوية كان ذلك دليلا على أنه سيال العلوم العقلية ويكون رجلا كاملا ، وان بقى فى غمرات شهواته دل ذلك على أنه ليس أهلا لأن يستكمل نفسه بالعلم .

هذا ما أردت جعله مقدمة لما سأكتبه فى هذه الآية : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وما مثلها من قوله تعالى : « والذى خلق الأزواج كلها الخ » فلأشرع إذن فى دراسة هذه الأزواج الحيوانية وأقول :

لقد تقدم الكلام عليها مفرقة فى هذا التفسير ، فتراها فى سورة فاطر ، وفى سورة النحل ، وفى سورة الحج عند آيه : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولواجتمعوا له » وهكذا فى سور كثيرة ، ولكنى أريد هنا أن أذكر حادثة عجيبة : ذلك أنى قدمت فى سورة يونس أنى أرسلت خطابا الى الحكومة المصرية ، والى رجال البرلمان بين لهم فيه أن تعليم الشبان فى المدارس الثانوية ناقص إذ لا نبات ولا حيوان ولا تشريح ، ولا علم طبقات الأرض ، ولا علم الفلك تدرس فيها ، فالتلميذ يخرج وهو جاهل ماحوله ، فيجب أن تدرس هذه العلوم ، وأن يجعل التعليم الثانوى خمس سنين ، لأن هذه المواد قد حذفت من المدارس لما دخل الاحتلال البلاد فوجب رجوعها وأنتم لا تعلمون عندكم استقلال ، وبقية الخطاب عند هناك مسطورا .

[illegible] أن هذا العمل قد عمل أكثره لأن [illegible] أنى كنت أقوله كثيرا فى هذا المعنى

أن بلاد الاسلام سترتقى قريبا قد أخذ يتحقق بعضه ، وهذه بلادى لما كتبت ذلك الخطاب منذ بضع سنين لم تكن هذه العلوم فيها ، فهاأنا ذا الآن أرى أمامى علم الحيوان وعلم النبات مشروحين فى كتبهم شرحا وافيا عجيبا ، وأنا لاأزال أزاول طبع التفسير ، أفليس هذا معناه أن مابشرت به المسلمين من أنهم سيرتقون سريعا قد ابتدأ تحقيقه وهذا من البشائر ، وهاهوذا أمامى كتاب فى علم الحيوان تأليف ثلاثة من علماء هذا الفن المصريين ، فلأبين طرفا من ذلك الكتاب هنا بحيث يكون مفيدا فوائد أحسن مما سبق فى هذا الكتاب ، وأريد بذلك أن أبين لك طريقة دراسة هذا الفن فى بلادنا اليوم بعد أن حرمت تلك العلوم فى أيام الاحتلال ، فقد جاء فى الكتاب المذكور تحت العنوان التالى مانصه :

اقسام المملكة الحيوانية

تنقسم الحيوانات تبعا لتركيبها الخلوى إلى مملكتين وهما : —

(١) الحيوانات الوحيدة الخلية أو البروتوزوه ، وتسمى كذلك بالحيوانات الأولية ، وهى مايتركب جسمها من خلية واحدة .

(٢) الحيوانات العديدة الخلايا أو الميتازوه ، وهى مايتركب جسمها من خلايا عديدة تتكون عنها أنسجة مختلفة تقوم بالوظائف الحيوية للجسم . وتنقسم الحيوانات العديدة الخلايا الى قسمين كبيرين وهما :

[ا] الحيوانات اللافقرية هى ماليس لها سلسلة فقرية ، وتنقسم الى ثمان رتب كما هو مبين بالجدول الآتى

[ب] الحيوانات الفقرية هى ما لها سلسلة فقرية ، وتنقسم الى خمس رتب كما هو مبين بالجدول كذلك

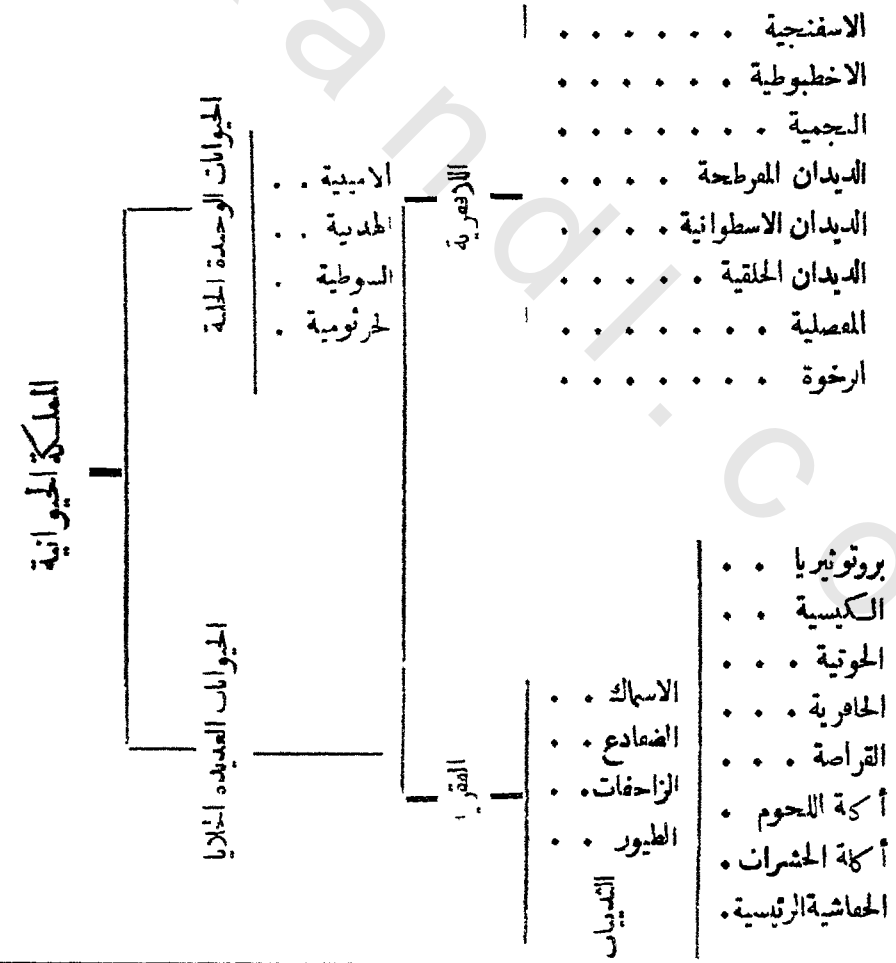

فالحيوانات الوحيدة الخلية هذه جعلت أربعة أقسام نراها فيما تقدم هنا ، ومن هذه الأربعة [الأميبا] (انظر شكل ٣٥) .

الأميبا

الأميبا كائن حيّ دقيق الحجم يعيش فى البرك والمستنقعات ، أوعلى سيقان النباتات المائية ، أوعلى الأحجار الراسية فى القاع ، ويرى أكبرها بصعوبة بالعين المجرّدة .

شكلها

عند ماتشاهد [الأميبا] بالمكرسكوب تكون عبارة عن كتلة بروتوبلازمية شفافة هلامية عارية أى لاجدارلها ، وليس لها شكل معين حيث تتشكل بأشكال مختلفة فى وقت قصيرتبعا لبروزأجزاء بروتوبلازمية من جسمها ، ، ويلاحظ كذلك أن البروتوبلازمية فى حركة مستمرّة . (انظر شكل ٣٥)

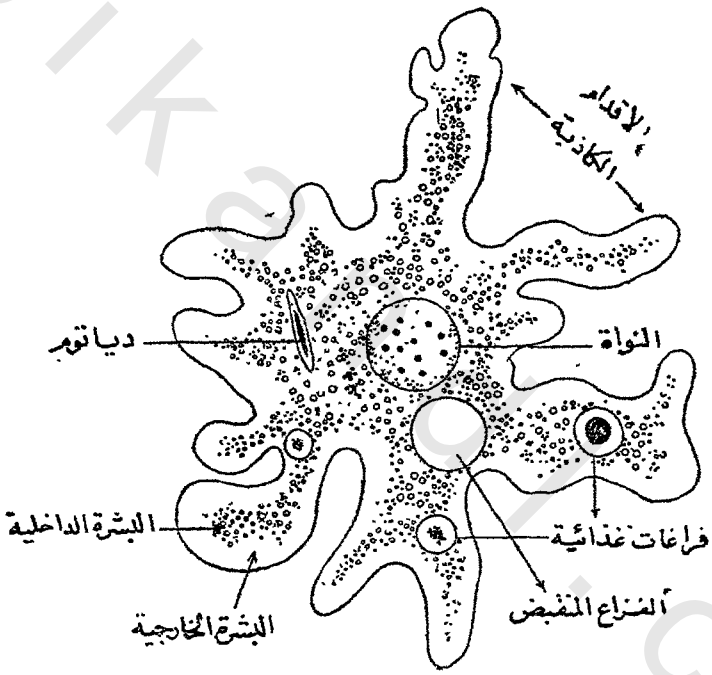

(شكل ٣٥ ـ الأميبا)

القسم الثانى من وحيد الخلية : الحيوانات الهدبية

والذى يهمنا منها أن نعرف أن الحيوانات الطفيلية التى تعيش فى الغشاء المخاطى للأمعاء الغليظة فتسبب الاسهال المخاطى الدموى المسمى [الدسنتاريا] إنما هى من هذه الحيوانات الهدبية ، وهى من الوحيدة الخلية .

انتهى الكلام على القسم الثانى .

القسم الثالث من وحيد الخلية

الحيوانات السوطية

والحيوانات السوطية هى حيوانات أوّلية ، يكون فى أحد طرفيها زائدة سوطية تشبه الذنب ، تساعدها على الحركة ، وقد يكون ببعض أنواعها سوطان ، والبعض الآخر لاسوط له ، تعيش هذه الحيوانات فى وسط سائل ، وتتحرّك فيه بواسطة حركة سوطها الكرباجية .

والذى يهمنا من هذا النوع [البوجلينا] وهى حيوانات مكروسكوبية تعيش على سطح المياه العذبة الراكدة فى البرك والمستنقعات ، وشكلها مغزلى ، و بأحد طرفى جسمها سوط طويل بجانبه فتحة الفم .

وتتغذى بالكائنات الدنيئة ، و بقايا الموادّ العضوية التى تجدها فى الماء ، وتتغذى [البوجلينا] بطريقة نباتية ، وهى أنها تستخلص الكربون من غاز ثانى أكسيد الكربون الذائب فى الماء وتمثله فى جسمها ، ثم تمتص الآزوت وغيره من العناصر بشكل أملاح ذائبة فى الماء .

(شكل ٣٦ ــ البوجلينا)

وتتغذى كذلك بطريقة حيوانية ، وهى إدخال قطع الموادّ العضوية السالفة الذكر من فتحة فمها (انظر شكل ٣٦) وهو حيوان سوطى صغير يعيش معيشة طفيلية فى دم الانسان ، و يسبب له مرض النوم وهو مرض منتشر فى أواسط أفريقيا ، وتنقله إلى الانسان ذبابة خاصة تسمى [جلوسينا] ، يمضى فى جسمها حيوان مرض النوم جزءا من حياته ، وعند ماتمتص الذبابة الملوّثة دم الانسان تمرّ هذه الحيوانات فى لعابها إلى الجرح الذى تمتص منه ثم تدورمع الدم وتتكاثر فيه وتسبب الأعراض المرضية للمصاب .

القسم الرابع من الحيوانات الوحيدة الخلية

الحيوانات الجرثومية

الحيوانات الجرثومية هى حيوانات أوّلية ليس لها أعضاء خاصية للحركة ، وتعيش معيشة طفيلية فى الأنسجة المختلفة لأجسام الحيوانات التى تصيبها وتسبب لها أمراضا قتالة ، فمنها :

(١) [الكسكسيديا] : وهو حيوان دنىء يصيب حيوانات مختلفة ، ففى الأرانب يعيش فى أنسجة كبدها ويسبب لها مرض تعفن الكبد ، وفى الأغنام يعيش فى الغشاء المخاطى لأمعائها ، وينتشر بينها بسرعة ويعرف بوباء الكسكسيديا .

(٢) [حيوان الملاريا] : وهو يعيش فى دم الانسان ، و يسبب له حمى الملاريا .

ثم إن الناموس على قسمين : قسم ينقل هذه الملاريا ، وقسم لاينقلها ، والقسم الذى ينقلها حينما يتغذى بدم الانسان المصاب بالملاريا تتناسل تلك الحيوانات فى جوف الناموسة ، وهناك تكون معدية فتنتقل ذلك النسل إلى جسم إنسان آخر فتحصل العدوى ، وهذه صورة معدة الناموسة المذكورة (انظر شكل ٣٧ فى الصفحة التالية) .

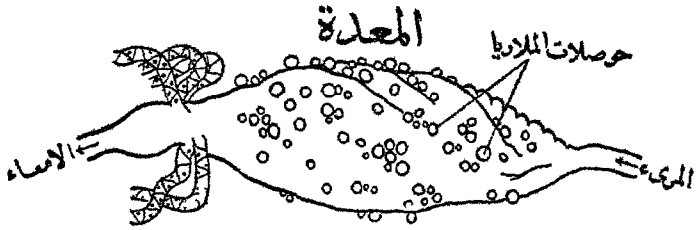

(شكل ٣٧ ـ معدة الناموس وعليها حوصلات الملاريا)

الكلام على الحيوانات العديدة الخلايا

فمنها الاسفنجية كما تقدم وهذه صورتها (انظر شكل ٣٨) وهاهوذا :

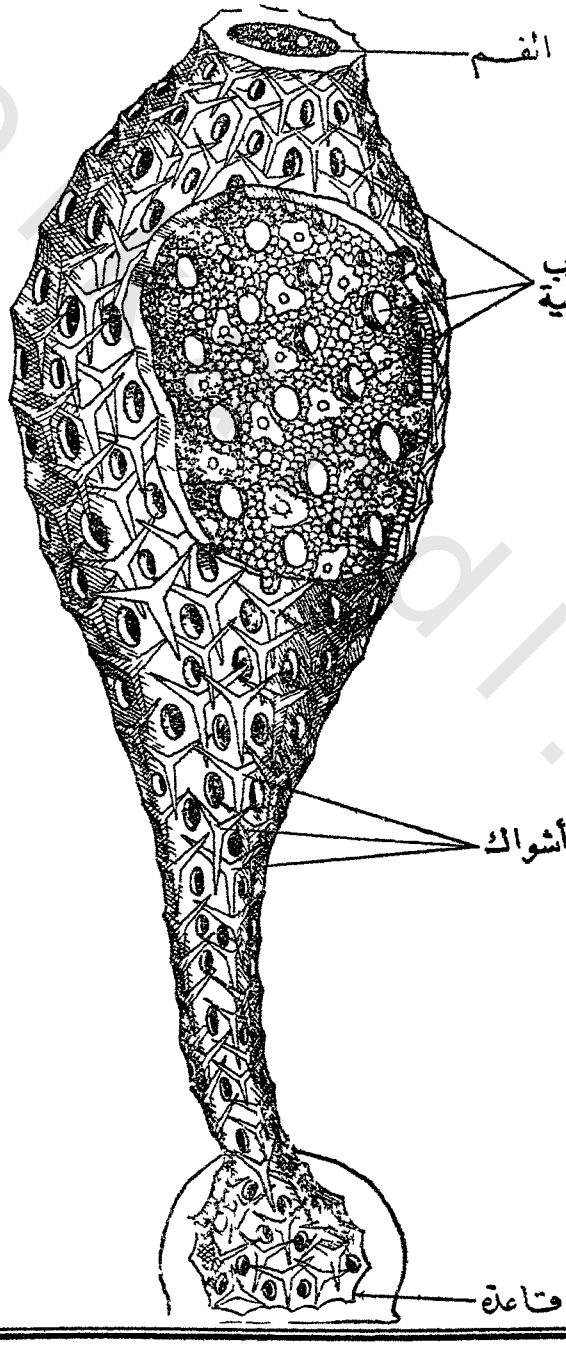

(شكل ٣٨ ـ نوع من الاسفنج الحجرى البسيط)

ومنها اسفنج الحمام ، وهذه صورته (انظر شكل ٣٩) :

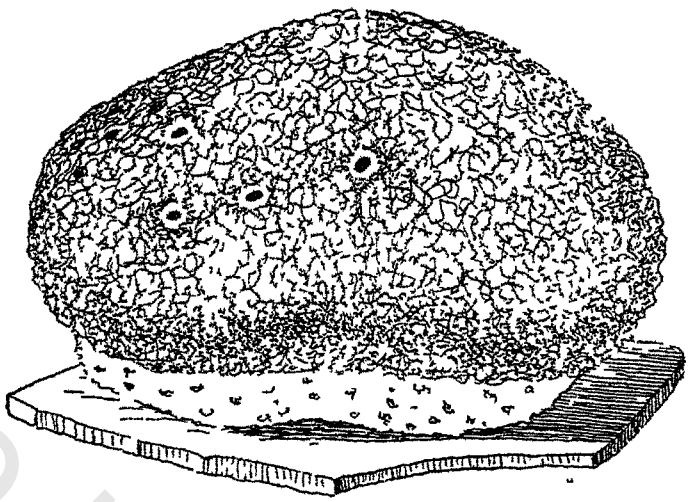

(شكل ٣٩ ـ اسفنج الحمام)

القسم الثاني من الحيوانات كثيرة الخلية

الحيوانات الاخطبوطية

(انظر شكل ٤٠)

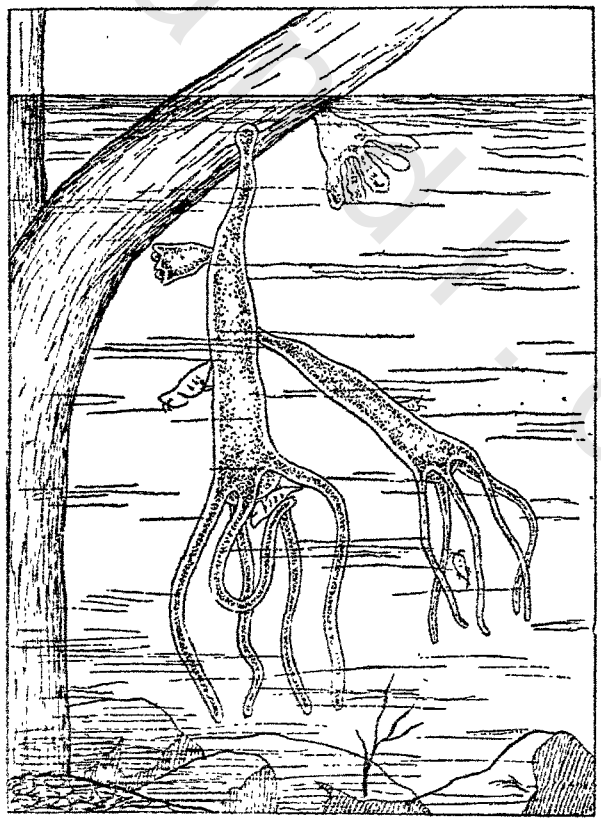

شكل ٤٠ ـــ أخطبوط فى حالته الطبيعية (× ٧)

ومن الحيوانات الاخطبوطية حيوان المرجان ، وقد تقدّم فى سورة الجاثية ، وفى سورة النحل .

القسم الثالث من الحيوانات العديدة الخلايا

الحيوانات النجمية ، وهى ذوات الجلد الشوكى

(انظر شكل ٤١)

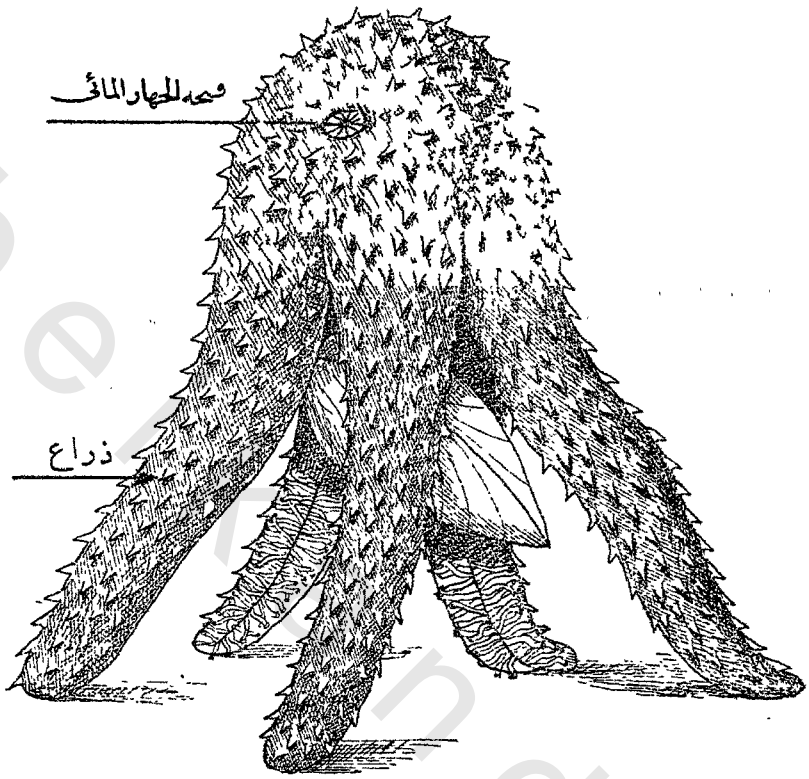

نجم يفترس محارا

(شكل ٤١)

حيوانات هذه الرتبة كلها بحرية ، يعيش بعضها على سواحل البحار كنجم البحر ، والبعض بالقرب من الشواطئ كقنفذ البحر ، والبعض الآخر فى وسط البحار كخيار البحر .

وكل هذه الحيوانات ذات شكل منتظم أعضاؤها متشععة كأنصاف أقطار الدائرة حول مركزها ، وأجسامها فى الغالب مغطاة بأشواك قد تكون طويلة كما فى قنفذ البحر ، أوقصيرة كما فى نجم البحر ، وقد لاتظهر أصلا وتعوّض بصفائح حجرية صغيرة موضوعة تحت الجلد كما فى خيار البحر ، وقد تكون هذه الصفائح كثيرة وتتصل بعضها ببعض فتكون شبه صندوق كما فى قنفذ البحر ، وقد توجد الصفائح والأشواك معا فى الحيوان الواحد . وتشاهد على أجسام هذه الحيوانات زوائد بيضاء اللون متحركة تمتد وتنكمش عند الارادة ، وتنتهى كل واحدة منها بقرص صغير مقعرقليلا ، وهذه الزوائد هى أعضاء الحركة والالتصاق ، والحركة فى هذه الحيوانات بطيئة جدا .

الذكور فى هذه الحيوانات منفصلة عن الاناث ، ومن الصعب جدا التفرقة بينهما من غير الاستعانة بالتشريح .

[نجم البحر] يشبه هذا الحيوان النجمة فى شكلها لهذا سمى نجم البحر ، ويتركب جسمه من قرص وسطى يتفرّع منه عدد من الأعضاء (خمسة فى الغالب) وكلها متشابهة شكلا وفى الغالب متساوية حجما ،

وتعرف هذه الأعضاء بالأذرع ، وللحيوان سطحان : أحدهما علوى والآخر سفلى ، والسطح العلوى أقنم لونا من السفلى ، وبوسطه فتحة صغيرة جدا لاترى بسهولة تعرف بالأست .

ويوجد على حافة القرص من أعلى أيضا وبحوار نقطة اتصال ذراعين من أذرع الحيوان جزء قشرى مستدير به عدة ثقوب صغيرة يعرف بفتحة الجهاز المائى .

ويوجد عدد كبير من صفائح كلسية منتشرة تحت جلد الحيوان تبرزمنها أشواك كثيرة تظهرفوق سطح الجسم كما أنه تبرز من بعض هذه الصفائح أعضاء صغيرة كالأشواك شبيهة بالملقط ، وظيفتها التقاط الأشياء الصغيرة كالحشائش المائية ، وكذلك تنظيف جسم الحيوان مما قد يلتصق به من أوساخ (انظرشكل ٤٢)

وتظهر على جسم الحيوان فى المواضع الخالية من الصفائح الكلسية زوائد صغيرة شبيهة بالأصابع ذات جدر جلدية رقيقة للغاية يحصل الحيوان بواسطتها على مايحتاج إليه من الاكسوجين الدائب فى الماء المحيط به ، فهى إذن أعضاء للتنفس .

وتوجد فى وسط القرص من أسفل فتحة تعرف بالفم محوطة بأشواك كلسية .

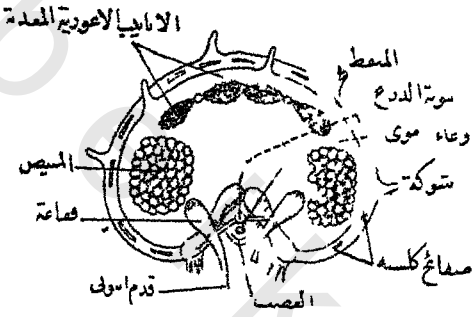

(شكل ٤٢ ـ قطاع عرضى فى الدراع)

القسم الرابع من الحيوانات العديدة الخلايا التى لافقرات لها كالتى قبلها

الديدان المفرطحة ومنها الدودة الكبدية

تعيش الدودة الكبدية وهى فى طورها الكامل فى القنوات المرارية الكبيرة فى كبد الأغنام والمواشى والجمال ، وأحيانا الانسان ، ويبلغ طولها سنتيمترا أو أكثر ، وتسبب هذه الحيوانات مرض تعفن الكبد أى تفتت الكبد ، لأن الكبد المصاب يصير خشن الملمس غير مرن ، وسهل التفتت . (انظر شكل ٤٣) .

ومنها دودة البلهارسيا (انظر شكل ٤٤ فى الصفحة التالية)

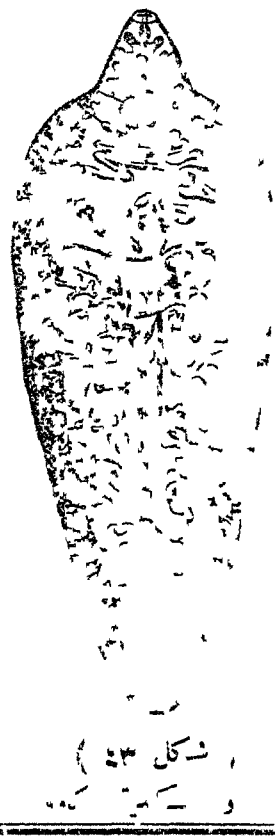
(شكل ٤٣)

(شكل ٤٩ ـ عقربة تحمل صغارها على ظهرها)

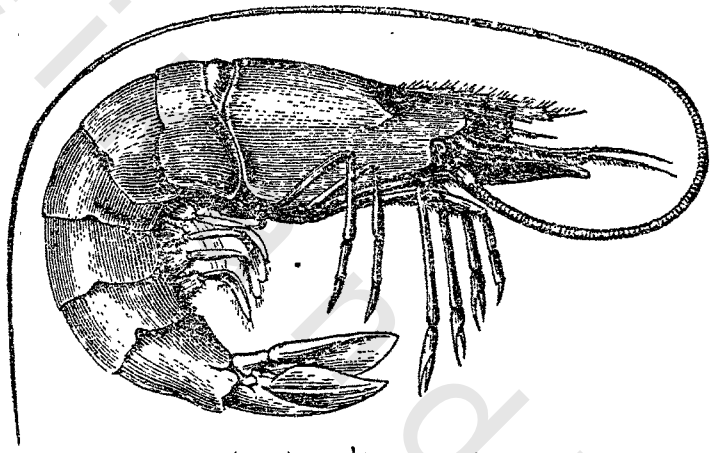

(شكل ٥٠ ـ الجبرى بالحجم الحقيقى)

القسم الثامن من الحيوانات عديدة الخلايا وهى ليست ذات فقرات

الحيوانات الرخوة ، ومنها القواقع ، و بلح البحر

(انظرشكل ٥١)

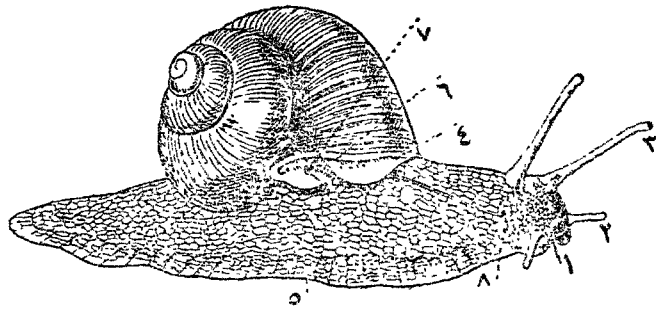

(شكل ٥١ ـ الوقع الرومانى)

(١) الفم (٢) الزوائد الأمامية (٣) الزوائد الخلفية الحاملة للعين (٤) حافة البرنس (٥) القدم (٦) الفتحة التنفسية (٧) الفتحة الشرجية (٨) الفتحة التناسلية

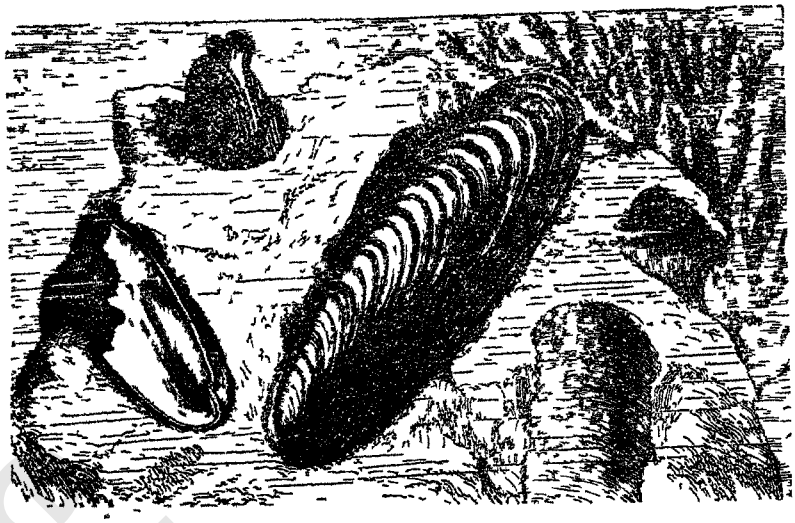

(شكل ٥٢ ـ ملح البحر مدعوكا فى الصخر بحالته الطبيعية)

هذا ما أردته من كتاب « علم الحيوان » فى هذا المقام ، وبهذا تمّ الكلام على أقسام الحيوانات الثمانية الوحيدة الخلية والعديدة الخلية ، والحمد لله رب العالمين .

بهجة الحكمة فى هذه المناظر الحيوانية وعجائبها وبدائعها

أما يا ألله وجميع المعرمين بعجائبك وقرّاء هذا التفسير المطلعين على أكثره من أهل الفطنة موقنون إيقانا مبنيا على المباحث العقلية ، والمشاهدات الحسية ، والتجربات الحكمية ، انك رحيم رحمة لاحدّ لها ، بحيث أصبحت رحمة الأمهات والآباء بالنسبة لها قليلة الجدوى ، وبهذا فهمنا قولك : « شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لاإله إلاهو العزيز الحكيم » فأنت عززت فحكمت وأحكمت التدبير وأولو العلم هم الذين يشهدون بالحق ، والجهال مؤمنون لاغير ، وفهمنا أيضا معنى قولك فى القرآن : « وهو أرحم الراحمين » فكل ما عنده رحمة ولكنها رحمة جزئية ، فأما رحمتك التى شهدناها فانها لاحدّ لها ، ومن آيات ذلك إحكامك الصنع فى أجسامنا ، ودقة صنع أعيننا ، وتلك الطبقات العينية المعتمة ، وكيف وضعت بهيئة بها تقبل ضوء الشمس ، وهذا الضوء يوصل الصور المرئية ، وهذه الصور تدخل فى تلك الطبقات وتخترق العدسة وتمرّ فى الشكية وراءها ، ثم تصل إلى أعصاب الاحساس البصرى وتتجه إلى القوّة الباصرة فى الدماغ وهناك يكون الاحساس ، وماهذه إلاوسائط ، وقد فعلت أمثال ذلك فى إحساسنا بالأصوات وفهم الكلمات والجمل ، وأبدعت وصوّرت وأحكمت ، وأودعت فى آذاننا قطعات تتلوها قطع تتحرّك حركات تنتقل من واحدة إلى الأخرى . وهكذا من العجائب التى لوكانت مملة لنا دائما لاستغرقت قوانا وعقولنا الأوقات فى الاعجاب ثم الحب والهيام والغرام بصانعها الحكيم .

ومن أنعم النظر فى عجائب الأشجار والأزهار والأوراق والجذور وبدائع الحيوان يدهش من تلك الثروة الحكمية ، وأن نظرة واحدة لورقة واحدة (كما تقدم فى سورة يس عند آية : سبحان الذى خلق الأزواج كلها الخ) بل لخلية واحدة من خلايا الورقة المرسومة هناك يدهش كل الدهش ، ويعجب كيف حلقت الشمس وبنانا وبينها نحو ٣٥٠ ألف سير مقطار و١٢ ألف سنة سرى قطار السريع و٨ دقائق و١٨ ثانية لسير النور ، حلقت هذه الشمس فى ذلك البعد العظيم عنا . ولو لم ار ت من الأحراق لم تعش . فهذه الشمس ترسل

نورا لأعيننا به نرى الطرق ونقرأ الكتب ، وهـذا النور نفسه يدخل فى الخلية من الورقة المحتوية على آلاف من الخلايا بل عشرات آلاف الآلاف فى بعض الورق ، وهذه الخلية ذات حيطان شفافة مسقوفة بسقف من موادّ شفافة موضوعة وضع اللبنات فى أبنيتنا لبنة بجانب أخرى ، فهى إذن مقفلة ، وهذا الاقفال لايمنع دخول نورالشمس ، فماذا يفعل ذلك النور ، ياترى يقابل السائل الذى فى وسط تلك الحجرة ، فيجد فيـه مادّة خضراء وهو [كلوروفل] فباجتماع هذا الضوء المسافر من أقطارشاسعة مع هذه المادّة الخضراء تجتذب الورقة [المادّة الكربونية] من الهواء .

الله أكبر : إذن هذه الخلية أشبه بالرئة للحيوان والكربون أشبه بالاكسوجين للحيوان والاكسوجين الذى يخرج من الورقة قائم مقام المادّة الكربونية التى يخرجها الانسان والحيوان .

ههنا ههنا وصلنا إلى المقصود وهو أن خلية واحدة من خلايا الورقة اتحدت مع الشمس المرسلة ضوءها لحياة الشجرة ، ولاريب أن هـذه الرئة واحدة من آلاف آلاف آلاف آلاف آلاف الخلايا فى الشجرة ، والشجرة واحدة من آلاف آلاف النبات والشجر فى الأرض ، وكل هذه صنعت لأجل حياتنا نحن ، فههنا رحمة لاحدّ لها وحكمة واتقان لانهاية لهما ، والرحيم الحكيم محبوب على مقدار رحمتـه وحكمته ، ولعمرى ليس يحبّ الله أحـد من الناس حبا حقيقيا إلا من درسوا أمثال مانكتبه الآن ، فالرحمة والحكمة لاحدّ لهما ، واذا نظرنا نظرا أرقى وقلنا إن نفس هـذه المادّة وأوراقها وأشجارها وحيوانها كلها ليست موجودة بالفعل وماهى هذه إلاحركات انقلبت ضوءا ، وهذا الضوء كهر بائى متحرّك سالبه حول موجبه آلاف آلاف فى الثانية الواحدة : وباختلاف الحركات والأحوال اختلفت المظاهر كما هو رأى علماء عصرنا الحاضر .

أقول : اذا نظرنا هذه النظرة أدركنا معنى : « الله نورالسموات والأرض » وأدركنا « والله خلقكم وماتعملون » وأنه هوالمتجلى فى كل عمل دقّ أوجلّ « ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرّة فى الأرض ولافى السماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا فى كتاب مبين » .

فلما سمع صاحبى ذلك . قال : هذا المقال جيل ، ولكنه ليس أمرا جديدا فى هذا التفسير ، فهوكله على هذا النمط ، ولكن هذا الاسلوب شيق يهيج القلوب ويحركها إلى المعالى ، وعندى سؤال : وهوأنك فى هذا المقال أبنت الرحمة العامّة ، وحلّ هـذا الموضوع يناسب ذكر الصور المتقدّمة ، أنت ابتدأت الكلام بذكر ما شاهدته من الرجـل الذى يرعى الغنز ، وأنك استنتجت من منظرالغنز وألوانها أمرين : الأمر الأوّل علم الأخلاق ، الأمر الثانى علم السياسة ، وأن انكشاف عضو التناسـل فى أنثى المعز جاء لحكمة ، وهى أن الحيوان عنده غريزة تحفظه من التمادى فى شهوة الوقاع ، وأن الانسان حرّ يتصرّف كما يشاء ، فهو أبدا يعوزه المذكرات العقلية والدينية ومزعجات الأيام والليالى حتى يرجع من تلقاء نفسه بتلك المذكرات فيعرج بهذه القوّة التى اكتسبها من المران على حفظ شهوته إلى الحكمة والعلم اللذين خلق فى الأرض لهما ، ويظهر من كلامك أن أهـل الأرض جميعا لافائدة تامّة لهم إلا لطائفة خاصـة وهم الحكماء ، وبقية الناس همج الهمج فان هؤلاء الذين ظنوا الشهوات من المطعم والمشرب ، أوغلبة الأعداء هى المقصودة من الحياة — جاهلون أغبياء إلا من تاب وعرف وقرأ الحكمة .

فهذا هوالذى ذكرته أنت فى مقدّمة هذا المقال ، ورسمت بعده صورالحيوانات ، وأبنت الحيوانات ذوات الخلية الواحدة الأربعة وهى : [الاميبيه] و[هدبيه] و[سوطيه] و[حرثوميه] ثم الحيوانات ذوات الخلايا التى لافقرات لها مثل : [الاسفنجية] و [الاخطوطية] و[الجمية] إلى آخر الأقسام الثمانية المتقدّمة

فهذا

فهذا هو الذى ذكرته أوّلا ، فهل الكلام على رحمة الله بعدها مناسب لها كل المناسبة ؟ هذا ما أريد سؤالك عنه ؟ فقلت حياك الله : إن الرحمة التى ذكرتها بعد انتهاء هذه الصور الحيوانية إنما نقلتها على سبيل التمثيل للرحمة بمثال سهل مقبول ، ورحمة الله تعالى لنا بذلك الحيوانات رحمة شريفة عالية ، إن الرحمة على قسمين : رحمة الأم ، ورحمة الأب ، أما رحمة الأم فانها يقلّ فيها التفطن والتفكر والتأديب ، أما رحمة الأب فهى الكاملة ، لأن الأب واسع النظر حكيم يريد للولد مستقبله ، أما الأم فهى تريد الأحوال الجزئية والمنافع السطحية .

فهذا المثل الذى ضربته هنا بخلية الورقة جاء فى الرحمة المشبهة رحمة الأم ، فأما هذه الحيوانات ومافيها من الأعضاء والمنافع فانها كرحمة الأب التى تشتمل على التأديب والزجر كما تشتمل على تغذية البدن بأنواع الغذاء . قال : فبين لى هذا المقام على شريطة أن تكون الأمثلة من نفس تلك الحيوانات المصوّرة فيما تقدّم . فقلت : اللهم اننا خلقنا فى هذه الأرض فرأينا أسلوبا واحدا متبعا فى حياتنا ، فكما أن الشهوات للغذاء وللتناسل حفظتها بالغرائز فى الحيوان وهذبتها فى الانسان (الذى أعطى الحرّية فى التصرّف) بالمنذرات والعبر والعلوم والمعارف ، وجعلت عقولنا هى المسيطرات على قوانا المخلوقة فينا . وغرائز الحيوان لا حاجة معها إلى عقل كبير ، ثم اننا نظرنا حولنا يار بنا فرأينا أغذية تتعاطاها وفيها الضارّ والنافع ، فقامت عقولنا بما تعرفه من التجارب والعلم ، فاختارت منها ماينفعنا ونبذت مايضرّنا ، وهكذا رأينا ماء ينزل من السماء ويسيح على الأرض ، فألهمت عقولنا أن تحفر له الأنهار وتقيم له السدود لنحفظه فيسقى زرعنا كما أقامت هذه العقول موانع وحواجز حجزت شهواتنا عن التوغل والاسراف لحفظ حياتنا .

ثم إن هذه العقول أنفسها بها نظمنا دولنا ، فنحن فى هذا كله أرقى من الحيوان ، لأن الحيوان نظم دوله بغرائزه ، أما نحن فقد أحكمنا عقولنا فتصرّفت فى شهواتنا بخلاف التيس مع العنزات فى المشاهدة التى ذكرتها سابقا ، فالمانع له غريزته ، وتصرّفت أيضا فى نظام طعامنا وشرابنا ، وسقى زرعنا ، واقامة دولنا ، والغريزة عندنا لاحكم لها هنا وانما الحكم لعقولنا ، وبهذه العقول قويت ارادتنا ، وعملنا باختيارنا لا بغرائزنا . أما الحيوان فهو مسوق لاسائق ، ومقود لاقائد ، فاذا رأينا حيوان الملاريا يدخل الكرات الدموية الحمراء ويهلك مافيها ويميتها ، وبهذا العمل ترتفع درجة الحرارة فى فترات منتظمات كل يومين أو ثلاثة على حسب نوع الملاريا ، ثم تستمرّ هذه النوبات بضع أسابيع حتى يضعف المصاب بها (وهذا الحيوان دقيق الجسم جدا من الحيوانات الجرثومية ذوات الخلية الواحدة وهو يتكاثر ، ثم يساعده فى الانتقال إلى جسم انسان آخر ليجعل له مستعمرة هناك حشرة الناموس المعروفة لتمتصه الاناث منها وتذهب به إلى انسان آخر فتمتص دمه وتبقى بجسمه ذلك الحيوان الفتاك فيتكاثر فيه) .

أقول : اذا رأينا حيوان الملاريا هكذا فلم يخرج ذلك عن إعطائنا الحرّية والعلم وعن أنه مهماز يسوقنا إلى العمل ، ولولا ذلك لكان الكسل ولكان الموت .

الله أكبر : أىّ فارقة بين شهواتنا التى أطلقت لنا الحرّية فيها (بخلاف الحيوان ذى الغريزة) وبين خلق هذه الحيوانات لنا ، الحيوانات هى المساعدات لنا ، كما أن الشهوات لولاها لم نعش ، فالمخلوقات الخارجية مساعدات لنا ، والقوى الباطنية فينا كشهوة الغذاء والوقوع لاحياة لنا بدونها ولا بقاء ، وقد أطلقت لنا الحرّية فى شهواتنا وبالمحافظة عليها يتمّ لنا نظام الحياة ، وبعدم المحافظة عليها والاسراف يكون شقاء الحياة والنتيجة من ذلك تدريبنا على حكم أنفسنا وأن نتولى نحن بأنفسنا العمل لها بخلاف الحيوان ، فهل نحن اذا رأينا [حمى الملاريا] تقتل آلافا منا (كما أن حشرة النمل ودودة الحرير ونوع الجاموس وبقر والخيل جالبات الخير والسعادة لنا) قد خرجنا عن المثال السابق . كلا . فلولا أعطيا العسل والحرير والصوف واللحم

واللبن من الحيوان ، ثم لم يصاحب هذه النعم ضدها لكنا أغبياء كسالى ، بل كنا حيوانات أقلّ من الانسان لأننا قلنا فى مثال العنزات ان الفارق بيننا و بين الحيوان المحافظة بأنفسنا على قوانا وعلى نعمنا حتى نستأهل للارتقاء إلى عالم فوق هذا ، إذن الله عزّ وجل يكلمنا دائما ليلا ونهارا بكلام بلا حرف ولاصوت ، يقول : ياعبادى اعقلوا عنى هذه قواكم فيها الخير وفيها الشرّ فاحترسوا ، وهذا الماء وهذا الهواء وهذا الحيوان فيها كلها الخير والشرّ فاحترسوا ، وعملى هذا بعلم أشبه لكم بعمل الأب لابنه منكم « ولله المثل الأعلى » فهو يأخذه فى دكانه ، أوفى حقله ، أوفى محل تجارته ، و يترك له الحرّية حتى يخطئ و يصلح خطأه بعقله و بنفسه ، ولكنه عادة فى بعض بلاد الشرق لايعلم ابنته هذا التعليم ، لأنها فى نظره غير أهل لتلك النعمة ، نعمة الرجال الذين يفكرون بأنفسهم لأنهم خلقوا للاستقلال ، ولوأنى لم أخلق من الحيوان إلا ما فعكم ، ولم أخلق لكم أنواع الملاريا التى تترى فى دمائكم ، ويحملها الناموس من واحد إلى آخر منكم لكنتم فى مرتبة صغيرة حيوانية جاهلة .

هذا تفهمون أيها الناس قولى : « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ، كلا بل لاتكرمون اليتيم ولاتحاضون على طعام المسكين » .

أيها الناس : إن المدار على عملكم أنتم لاعلى العطايا والمواهب وحدها ، وأعظم عطائى ونعمى علمكم وعملكم ، لهذا خلقتم فى الدنيا ، وعلمكم وعملكم لايتمان إلا بالمتضادّين ، ولذلك قلت : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، ففرّوا إلى الله » فها أنا ذا هنا خلقت لكم الضارّ والنافع فى قواكم الشهوية والعضبية ، فالاعتدال نافع ، والاسراف ضارّ ، وخلقت الضارّ والنافع فى الهواء وفى الماء وفى الحيوان ، وتركت لكم الحرّية فلتختاروا ماتشاءون لأنكم إلىّ راجعون ، وهل يرجع إلىّ ويكون عندى فى مقعد صدق وأنا الملك المقتدر أحد إلا اذا تخلق بالصفات الشريفة من العلم والعمل ، وكل من ازداد علما وأحسن عملا فى صناعة أوأىّ عمل كان قريبا منى بقدر منفعته للناس واتقانه لصناعته .

ياعبادى : هاهودا عملى معكم ، خلقت فيكم حيوان الملاريا ، وماهو إلا كلمات يعقلها الموفقون ، وهذا القول مجسم بخلاف أقوالكم فهى أصوات والأصوات يفهمها العلماء والجهلاء ، والكلام المجسم لايعقله إلا الحكماء ، فهؤلاء هم الذين أفهمهم أنا كلماتى المجسمة فيفهمونها و يعلمونها للناس فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهؤلاء الحكماء هم الذين يقولون لكم عنى و يبلغونكم أننى أنزلت هذه الحيوانات الخلوية الدقيقة ، وخلقت دودة [البلهارسيا] وقلت لها : أيتها الدودة عيشى فى أكباد بنى آدم ، وكلى واشربى من دمائهم ، واحدثى ضعفا فيهم ، ثم انزلى فى المجارى البولية فيكون النزيف الدموى ، أوانزلى فى المستقيم ، واحدثى نزيفا دمويا فى البراز ، فيكون هناك صعوبة وآلام فى أثناء قضاء الحاجة ، فاذا نزل بيضك بهذه الصفة ووقع فى نهر وفى أجعله يقفز هناك وتخرج الذرّية على منوالك فألهمها أن تعمد إلى القواقع التى خلقتها هناك فتدخل فيها بعد أن تثقبها وتعيش فيها ، ثم تخرج الذرّية فتعوم فى الماء ٤٨ ساعة ، فان لم تجد انسانا تعيش فى جسمه ماتت ، وان رأته فهنالك تكون سعادة ذرّيتك فتثقب جلده وتتجه إلى كبده كما اتجهت إلى كبد القوقعة أوّلا ، ودخولها جسم الانسان إما بالاستحمام أوالشرب أوالاغتسال بالماء الملوّث بها ، ذلك هو عمل دودة البلهارسيا ، ومثلها الدودة الشريطية التى تعيش فى بعض الحيوان ، وتصيب من لم يطبخه طبخا جيدا إن لم يكشف عليه كشفا صحيا الطبيب العام فى البلاد . وهكذا دودة الانكلستوما و بقية الحشرات المسقمات كالقمل والعقارب وما أشبه ، فكل هذه أيها الناس كلماتى المجسمة أنزلتها عليكم وقلت لها : لاتتجاوزى رسغ اليد الى الحاق الأذى والمكروه بالأمم فى الأرض و بالأفراد ، فان أجهز أمرهم بينهم على قتال كثير من الناس ، وانتهوا أنهم صاروا مصامنين جميعا فى الشرق والغرب فذلك هو الذى أريد سوقهم

إليه بهذه الرزايا والنوائب بحيث تنتقل العدوى من بلد إلى بلد ، ولافرق بين البلدان فى هذه الرزايا . فيا أيتها المخلوقات المؤذية لبنى آدم استمرّى فى عملك ولاتفرّقى بين أهل الديانات والممالك ، وافتكى بهم فتكا ذريعا حتى يعلموا أنهم خلقوا أمة واحدة تتعاون ، وهناك تكونين قد أدّيت مهمتك الشريفة فى هذه الأرض .

هذا ما يقوله الحكماء لأهل الأرض فى هذا الزمان ليدلوهم على المحبة والمودة ، وتعميم السلام العام ، والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة السبت ١٨ يناير سنة ١٩٣٠ م قبيل الفجر .

زيادة إيضاح قوله تعالى : ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون

كتب ليلة الثلاثاء قبيل الفجر يوم ٢١ يناير سنة ١٩٣٠ م

بعد أن كتبت ما تقدم ملخصا من ذلك الكتاب أخذت أطالع ماجاء فى أحوال الديدان الحلقية التى منها دودة الأرض التى تقدم رسمها ووصفها فى [سورة فصلت] وأنها تكون سببا فى خصب الأرض الخ ومنها العلق الطبى ، فماذا رأيت ؟ رأيت أن الأمم المستعمرة اذا منعت الناس عن العلم والحكمة ودراسة أمثال هذه العجائب فانها بهذا تفوز وتملك البلاد ، ولماذا تملكها ؟ تملكها لأن الناس بالعلم بأمثال هذه العجائب يكونون أشبه بالبهائم فيسهل التسلط عليهم و إذلالهم وتسخيرهم كما تسخر الدواب .

ولما وصلت إلى هذا المقام . قال صاحبى بعد ماقرأ هذا : هاأنت ذا رجعت إلى الذم والتقريع فعلام هذا اللوم ؟ أعلى دودة فى الأرض منبوذة لاعلاقة لها بالدنيا ولابالدين ، فهل يكون المسلمون وقد جهلوا هذا الدود قد استعدّوا لاذلال الأمم لهم ، إن هذا منك مبالغة ، ثم لماذا أعدت القول فى هذه الدودة وحدها ، وهل الجهل بها و بأمثالها هو الذى مكن الانجليز من بلادكم فيما مضى ؟ فقلت : اعلم ياصاح : إن الجاهل أعمى ، والأعمى يستحق قائدا يقوده ، لقد كنت فى حقل وأمامى ساقية قد دار فيها ثور ، وكان على عينه غطاء فانكشف الغطاء فوقف الثور ، فلما أن أعيد إليه الغطاء جرى كما كان ودارت الساقية ، وما أشبه الأمم الاسلامية وقد غطيت بصائرها عن نظر العجائب الكونية إلا بهذا الثور الذى كان أمامى لما غطيت عيناه ، وأنا لا أشبهها وقد أزيل هذا الغطاء عن بصائرها بالفهم والعلم إلا بنفس هذا النور اذا أزيل عن عينيه الغطاء فوقف عن السير .

فقال صاحبى : هذا لم يزد عن أنه من ضرب الأمثال . فقلت : ياصاح إن للقول بقية ، لقد أدهشنى وصف دودة الأرض المتقدّمة فى [سورة فصلت] بل أذهل عقلى أىّ اذهال من فرط التعجب وزاديقينى بأن هذه الدنيا جنة خلقنا فيها وحجبنا عن بساتينها وحدائقها وأزهارها وأثمارها ، نحن معذبون فى الدنيا لشدة جهالتنا فاذا علمنا فنحن من المقربين ، دود منبوذ فى الأرض يكون سببا لاسعادنا وامدادنا بالخير والفاكهة والتين والرمان والحب والعصف والريحان ، دود منبوذ يكون سببا لتغذية العلماء والحكماء والأنبياء ، دود منبوذ يقوم بحرث الأرض وتسميدها والناس لايعلمون ، دود منبوذ يفتت القطع الأرضية فيدخل الهواء فيها فيحسن الزرع فتكون سعادة الحياة ، يخجلنى والله أن نعيش فى الأرض ونحن غافلون .

أما أنا فانى أحمدك يارب على نعمة العلم ، وأنا أعلم أن من الناس من يقرءون مذكرته فيها ولايعجبون وأكبر علماء النبات والحيوان يعرفون أضعاف مافى هذا الكتاب وهم غافلون . فهم يرون الجمال وكأنه لاجمال ، ويرون الحسن والاحسان وكأنه لاحسن ولااحسان . أكثرهم عمى وقد رأوا العادات الحسان ، صم وقد سمعوا أجل النغمات ، وليس هذا عجيبا فقد نرى الحسان ونسمع أبهج النغمات . وقد اعتراد فى

النفوس موانع وهموم ، فلانهتر طربا ولانهتاج شوقا وغراما ، هكذا أغلب نوع هذا الانسان ، انى لما قرأت ماستسمعه تذكرت أن هذه العوالم التى نعيش فيها إنما هى شموس فى مجرّات والمجرّات كثيرات ، ووراءها السدم ، ووراء السدم سدم وهكذا إلى مالانهاية له كما هومقرّر فى علوم الفلك اليوم ، وهذا هو الذى يغذى نفوسنا ، إن نفوسا تودّ أن تزيد علما ، ولوكان للعلم نهاية لكان ذلك عذابا لنفوسنا إذن العلم غذاؤها فان انتهى العلم نفد الغذاء .

قد كنا أيام الصبا وزمن المراهقة نحمل الشص [الصاره] لنصطاد السمك ، ونبحث فى الطين لنستخرج دود الأرض (قد تقدم رسمه والكلام عليه فى سورة فصلت فراجعه هناك إن شئت) لنضعه فيها فيأكله السمك فيعلق بالشص فنصطاده فنأكله ، فهذه علوما ونحن صغار بالنسبة لهذه الدودة ، والفلاحون وجميع المسلمين غالبا لايزيدون علما بهذا عن الأطفال .

أقول : فهل كان يدور بخلدى وأنا مراهق ، أويدور بخلد أكثر عامّة المسلمين وعلمائهم أن العدان الواحد فيه ٥٣ ألف دودة ، وكل هؤلاء إنما هم حرّاثون يحرثون الأرض ويقدّمون لها سمادا يعطى نصف سنتيمتر من سطح الأرض .

والحقّ أقول : إن الله لما خلق لنا الحيات والعقارب ، وأمثال هذا الدود جعلها فى المحسوسات أشبه بالحكايات الخيالية فى المسموعات ، نسمع حكايات [كليله ودمنه] وما شاكلها من حكايات [ألف ليله وليله] فنظن أنا بها عالمون ، ومتى عقلنا وعلمنا أدركنا أنها أعظم قدرا مما كنا نظنّ ، الجهال والأطفال يسمعون حكاية الحمامه المطوّقة ، وقد اجتمعت مع صواحبها فى ذلك الكتاب ، وقد أجمعن أمرهنّ وتخلصن من الشبكة بمساعدة حيوانات أخرى ، فيظنون أن هذه حقائق وأنهم بها عالمون ، ويقصونها على غيرهم وهم لايعلمون ولكن الحكماء والعلماء يستنتجون منها النتائج وهم يفكرون ، هكذا العقارب لايعرف منها الناس إلا أنها مؤذية ، وقد علمت فيما تقدم فى غير هذا المكان أنها آكلات لحشرات ضارّات بأمتعتنا ، وهكذا الحيات لايعرف الناس إلا أنها سامّات ، ولكنهم فى الوقت نفسه يرون رجلا وهوالمشعوذ الذى يسمونه [الحاوى] تأنس منها كثيرا فلاتلدغه ، وهو قد جعل معه الحيات التى لاسمّ لها وهى تملأ الحافقين والناس لايعلمون ، وهكذا دودة الأرض التى كلانا فيها يراها الناس مزدراة محقورة إذا هى عوّدهم وغوّثهم وحارثهم ومسمد أرضهم .

يا سبحان الله وياسعدائه ، يقول الله : « وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا » ، فهذا السراج الوهاج اذا أطهره لنا كان المعاش ، واذا غيبه عنا كان المباس ، ولكن هذه الدودة التى نحن بصددها ، ومثلها النمور والاسود والفهود وجميع السباع كالذئاب قد عكس الأمر عليها ، فالليل معاشها والنهار لباسها فالسبع الشداد بارينا جعلت فيها سراجك الوهاج فأقمت به طائفة وأمّت أخرى اذا أضاء واذا أظلم ، فاذا أضاء أصرت أنواع العصافير مثل أبى ذيل أبيض وأبى ذيل أحمر وأبى رقبة بيضاء ، ومثل المعيى فى الصفصاف ، ومثل المعى الأصفر والمعى الأحمر وأبى ذيل طويل وأبى قصاده وأبى رور أحمر وآكل الساب والقمرة الافرنجية والوروار بأنواعه والهدهد والعقعق وأبى قردان والكروان والرقراق المطوّق ، والرقراق الشامى ، والرقراق الملكى مما شرحته هناك فى أوّل سورة يوسف ، فهؤلاء أمّت بأمّهم اذا طلعت شمسك أن يأكن الحشرات لآكلات الزرع ، ريحفظن بلادنا ، ويكنّ عوانا على [illegible] كما أن ميل [illegible] تعث دود الأرض فيطرح حقولنا ريلقط الورق منها ويعيش فى هناء [illegible] طلع النهار [illegible] هؤلاء الذرى أمرها بقصل وقد عرفها

بهذا العلم أن المانوية كاذبون إذ يقولون باثنين : إله الخير ، وإله الشر ، وأن إله الشر هو الذى خلق الليل فهاهوذا الليل فيه يمتنع الدود النافع لمزارعنا المنمى لمحاصلاتنا .

تباركت يا الله وتعاليت ، وأريتنا رحمتك الواسعة ، وعرفتنا أننا غافلون جاهلون ، ندرس القليل ، ونجهل الكثير ، وأصبحت اليوم أقول : لو أنى درست بعد موتى جميع المجرات وجميع السدم التى كشفت حديثا ، واطلعت على جميع سكانها ، وخبرت بواطن أحوالهم ، وأسرار حياتهم لقلت انى لا أزال كما أنا الآن أيضا أجهل الكثير كما جهل اليوم عموم المسلمين إلا النادر منهم عجائب دودة الأرض التى ذكرناها ، ومنافع الطيور التى بيناها ، واحساسنا بالجهل يحثنا على العلم ، والعلم عداء أرواحنا ، فلسكن باحثين فى الدنيا ارقى الأمم ، وذلك يجعلنا من المجدين فى العلم بعد الموت لنتعدى به أرواحنا ، وكلما ازددنا علما قربنا من ربنا ، وربنا هو الجميل الحكيم الذى منه يترل كل جمال وكل حكمة .

ألا فليسمع المسلمون أنى أكتب هذا وأنا أحس بسعادة تفوق كل سعاده أرضية ، ولقد جربت كما جربت جميع الحيوانات والناس أنواع السعادات واللذات فوجدت اللذة العلمية طورا لاصلة بينه وبين تلك الأطوار ، إن ارتباط الشمس وصوتها ، ودود الأرض وحشراتها ، ومزارعها وطيورها ، وآكلها وماكولها أشبه برواية تفوق كل الروايات ، إن الناس فى أحوالهم العادية يذهبون إلى محال الصور المتحركة ودور التمثيل التى تمثل فيها الروايات العرامية ويفرحون بذلك العلم ويقرءون الروايات فى [ألف ليله وليله] وهم فرحون بتلك الصور الخيالية ، إن سعادة الناس بالعلم تابعة لمقداره ، فهى فى الخياليات خيالية ، وفى الحقائق حقيقية ، وهل يستوى الرجلان : رجل عرف هذه الحقائق فرأى تمثيلا حقيقيا ، وامتزجت فى نفسه مشرفات الكواكب ، ومسيرات الشموس مع الطيور والعلق والدود ، وانكشف لنفسه بدائع المناظر العجيبة ، يرى ستارا يترل فيكون الظلام ، فهناك تمثل الروايات الليلية التى أسماءها ، فاذا أشرقت العرائس أسدلت الستار على مناظر الليل فعاينت تلك المناظر الكوكبية فى دياجى الظلمات ، وهجعت الطيور الليلية والبوم فى أعشاشها ، والاسود فى آجامها ، ودود الأرض فى مناطها ، وأحدث الشمس تظهر الألوان ، والبحار والأشجار ، والمسالك والممالك .

وسيكون من قراء هذا السفير من تسكون الأرض لهم جنات ونعيم وان شاركوا الناس فى أتراحهم وأفراحهم ، ولكنهم يرون فى نفوسهم مالا يراه الأكثرون ، وهؤلاء اذا أحدوا يصلون وهم يسلمون على أنفسهم فى التشهد ، وعلى عباد الله الصالحين وعلى الأنبياء والمرسلين . إذ يقولون : السلام عليك أيها النبى الخ يفهمون معانى نفسه ما ذكرناه الآن ، إذ هم بعد أن درسوا الوجود على هذه الشريطة وأدركوا أنه عالم جميل وبديع ومتسق ، وبين أعلاه وأدناه نسب بديعة حيث يرون الربط محكما بين دودة الأرض وعلقها ، وبين الطيور والنبات والانسان والشمس . هكذا هم يرون المناسبة والرباط بين المصلى وبين عباد الله الصالحين والأنبياء والمرسلين . وأن هذا الوجود مبنى على هذا ، فالصلاة نوع من العلم والذكرة . فالمسلم يذكر نبيه صلى الله عليه وسلم وجميع الصالحين من الأمم الماضية والحديثة والآتية بعدنا ليعلم من الآن أن ربنا سيجمع جميع الصالحين على مقتضى درجاتهم بعد معارفة الأجسام أولا وبعد الحشر . فهو من الآن يعرفهم ، ومنهم الملائكة الذين يذكرون فى جميع الديانات . فالصلاة تذكره حينما ارتقى أجسامنا وهو لما الأرواح من جميع الأمم ومن الملائكة لم تكن فى حال شديدة العراقة عليه . والعلم الآن يساعدنا على الرقى هناك ، لان عالمنا الحسى قد ضرب مثلا للعالم الروحى ، فهما رباط وثيق عجيب بين الحس الأشياء وترتيبه . وهناك نفس هذا الربط بين الأجسام الأرفع ، ونرى أضعف المؤمنين يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كما نرى دود الأرض بين الحراثين ـ دقة النسيج في كل ورقة ، وأوراق الشجر إذا ما ـ ضحها الشمس لنرى سرق

عليه فامتص الكربون من الهواء ، ولولا ذلك الضوء مع [الكلوروفل] ملوّن الورق لم يكن ذلك الامتصاص فلم يكن نبات ، ولم تكن دودة تمشل فى ديابى الظلمات فى مسرح الوجود هذه الفصول التى شرحناها . فأعلى الأرواح له صلات بأدناها كما أن للشمس صلة بأدنى الحيوان وهو دود الأرض ، وهذا كله ظاهر فى التشهد فى صلاتنا الاسلامية .

ولاجرم أن هذه المعارف التى شرحت فى هذا المقام تجعل نفوسنا مشوقة إلى إسعاد جميع الناس ، لأننا اذا عرفنا أن للشمس صلة بالدودة أفلا يكون لنا صلة بنوع الانسان ، فياحسرة على الأمم الاسلامية الحالية ، اللهم انك أنت تعلم أن الجهل فرّقهم ، والبدع طمست على بصائر الكثيرين منهم ، ولكن آن أوان ارتقائهم واسعاد أممهم ، والله هوالولىّ الحميد ، والحمد لله رب العالمين . كتب فى ضحى يوم الثلاثاء ٢١ يناير سنة ١٩٣٠

مسامرة بينى وبين أحد العلماء الفضلاء

فى آيات : « وفى السماء رزقكم وماتوعدون ، فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ماأنكم تنطقون » مع آية : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، ففرّوا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين »

حضر صاحبى العالم الذى اعتاد الحديث معى فى هذا التفسير يوم الاثنين صباحا ١٤ من شهر المحرّم الحرام سنة ١٣٥١ هـ — ٣٠ مايو سنة ١٩٣٢ م فأخذ يجاذبنى أطراف الحديث فى هذه الآيات ، ومما قاله لى :

لقد رأيتك فى آيات القرآن المتشابهة المعانى بحسب ظواهرها تذكر فى كل منها من المعانى ما ليس فى غيرها فيكون ذلك مسرّة وتذكرة للناس ، وعبرة للمعتبرين ، ونشاطا للقارئين ، فماذا تقول فى قوله تعالى هنا : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وماهذا الفرار الى الله الذى ذكر عقبها ، وماهذا الانذار ؟ فقلت : لقد تقدم الكلام على الذكور والاناث من أنواع النبات فى سورة الأنعام ، وفى سورة طه ، وفى سورة [الشعراء] وغيرها . فقال : ولكنى فى سؤالى لك قد صرّحت بأنك دائما تنوّع الكلام فى الآيات المتشابهات ، نعم قد تقدم فى [سورة الأنعام] أن علماء النبات لم يحدوا طريقا لتقسيمه إلا بتشريح الزهر ، وتبيان تركيبه من أسلاكه ، ولكن المقام يعوزه إيضاح أتمّ . فقلت : لقد اطلعت على ماذكره [پول بيرت] العالم الطبيعى الفرنسى ، وهوأستاذ فى [السربون] ووزير المعارف العمومية فى كتابه المترجم إلى اللغة الانجليزية . قال فى صفحة ٩٨ ماترجمته :

« سأشرع فى الكلام الآن على تقسيم النبات إلى فصائله ، ولكن هذا ربما كان أشد تعقيدا وأكثر صعوبة من تقسيم الحيوان ، ألاترى رعاك الله أن فصائل الحيوان وأنواعه يمتاز بعضها عن بعض بسهولة ، ولاكذلك النبات ، فإن أنواعه وفصائله متشابهة ، إن الناس يعرفون بكل سهولة الفرق بين الحشرات والطيور ، بل يعرفون أيضا الفرق بين الذباب وحشرة أبى دقيق اللذين هما من نوع الحشرات ، ولكنهم لايتسنى لهم بسهوله أن يرسموا خطوطا فاصلة مابين فصائل المملكة النباتية وأنواعها ، إن ذلك على الناس عسير » .

ثم بدى أحد التلاميذ وقال : [ياپول] لوأنى كلفتك بأن تقسم النبات إلى فصائل فماذا أنت صانع ؟

(ح) كيف يصعب يسيدى هذا ؟ انه لأمر سهل . أنا أقسمه إلى ثلاثة أنواع : شجرات ، وشجيرات وبقل : أى وهو مايساق له : كالقمح ، والذرة ، والشعير .

(س) حسن . . . هذا الرأى يعلمه على كثير من المعلمين . ولكن انظر : هل تعرف كم من المعمات

فى طريق تقسيمك هـذا ، وكم من المتشابهات فيه التى تورث العقول حيرة وارتباكا ، وتضيع الزمن على المفكرين ، فأرجو أن تبين لى الحدود الفاصلة بين هذه الأنواع الثلاثة ، فخبرنى إلى أىّ مدى تنتهى أصناف الشجيرات ؟ ومن أين تبتدئ الأشجار ؟ ومتى نطلق على النبات أنه شجيرة بدل أن نطلق عليه أنه نجم ، خبرنى يابنىّ : أنبات البندق من الشجرات أم من الشجيرات ؟ وهـل مايقال له (دفرز) باللغة الانجليزية (وهو نبات شوكى دائما أخضر وله زهر أصفر) أمن الشجيرات هو أم من الأنجم ؟ اللهم ان الفاصل بين هذه الأنواع والفصائل عسير غير يسير . ثم أشار إلى تلميذ آخر فقال :

(س) ما الذى تقوله ياجورج ؟

(ج) ياسيدى أنا أقسم النبات إلى نبات سنوى ، والى نبات ذى سنتين ، والى نبات ذى سنين كثيرة بسبب جذوره فقط ، والى نبات ذى سنين كثيرة حقيقية .

(س) هذه فكرة أجل وأتمّ ، ولكن يردعليها اعتراض ، فانظروا : أليست مظاهر المراعى تشابه مظاهر مزارع الحبوب ، ولكن الحب سنوى أما الحشائش فانها تعيش سنين فى الأرض ، إن الحشائش والحب إذن يدخلان تحت نوعين مختلفين من أنواع النبات ، فهما من جهة ذوات حب ، ومن جهة أخرى هذا سنوىّ وهذا ذوسنين كثيرة ، بل هناك ماهو فوق ذلك ، فهذا نبات [الشوفان] وقد تقدم الكلام عليه فى هذا التفسير ، فهذا اذا زرعناه صار سنويا ، ولكنه اذا نبت بنفسه بدون زرع كالذى ينبت فى جوانب الطرق فانه يعيش سنين كثيرة . وأيضا ههنا نوعان من نبات نرجته بالانجليزية [كأس الزبدة] .

هاأنا ذاوضعت مااختلف منه بعضه بجانب بعض ، فهاهوذا بعضه سنوىّ والآخر ذوسنين كثيرة ويعسر إزالته من الأرض واهلاكه ، إذن هذا غير موفى التقسيم حقه ، ولاقائم بما توخيناه .

أهمية الزهر في تحقيق تقسيم النبات

ههنا أخذ المؤلف يشرح هـذا التقسيم النباتى بواسطة درس الزهرة النباتية . جلّ الله . جلّ الله . ياعجبا ياربنا ! يعيش الناس فى الدنيا ويموتون وينظرون يارنا جمال زهرك ، ويشمون روائحه ، ويتهادونه ويفرحون ويمرحون ، وهم ساهون لاهون .

ياسبحان الله : فى الأرض أزهار ، وفى السماء شموس وأقمار ونجوم وسدم ومجرّات ، هناك المجموعة الشمسية ، فالشمس تحيط بها السيارات ، ولها أبعاد خاصة لولاها لاختلّ النظام وتقدم موضحا فى هذا التفسير

الله أكبر : منه الجمال وهو مفيضه على الأرض وعلى الناس ، العوالم التى نعيش فيها كتاب مفتوح لايقفل ، صفحة منه تظهر لنا نهارا ، وأخرى نظهر ليلا ، فصفحة النهار تظهر بواسطة ضوء الشمس ، وصفحة الليل تظهر بواسطة النجوم ، فهذه النجوم بينها و بين زهر السات مناسة ، وأىّ مناسبة هذه ؟ انها لمشابهة قويمة ، ألم تر أن الزهرة الواحـدة فيها أوراق خضر يسمونها الكاس ، وفى داخلها أوراق ملوّنة يسمونها [تويج] وفى داخل هذه أعضاء الذكور التى فيها اللقح ، ووراء هذه أعضاء الاناث التى تتلقى هذا الطلع ، وينزل فيها إلى محل النمو مايشبه الحبين فى الحيوان فيكون الحب أو الثمر ، وفى داخل الثمر يكون النوى ، فهما مملكة ، ولكن الاحكام والابداع فيها يدهش العقول العظيمة كما يدهشها نظام المجرّات ونظام المجموعة الشمسية ، إذ يرى الانسان السيارات جاريات بنظام حول الشمس ، وهنّ يرسلن الأشعة لمنفعة أهل الأرض هكذا هذه الزهرة الصغيرة منظمة محكمة مبدعة ، وهذا الابداع كله لأجل حصول الثمرات النافعات للانسان والحيوان ، وأعظم مساعد على تغذية الناس ضوء الشمس الآتى الينا من بعد شاسع جدّا بلغ بسير قلة المدفع

١٢ سنة ، و بسير القطار السريع نحو ٣٥٠ سنة ، فضوء الشمس يهجم على الورقات من منافذها فيساعد على التغذية فيكون النمو والثمرات والحبوب ، و ينتج من الزهرات وثمراتها منافع تناسبها كما ينتج من الشموس والكواكب منافع تناسبها ، وهناك ضوء وجمال ، وهنا بهجة وجمال ، فصحيفة الليل بهجة جميلة ، وصحيفة النهار بديعة بهية .

رباه : هذا كتابك الذى صنعته أنت ، وأريته لنا ، وقلت انظروا فنظرنا فأدهشنا صنعك . تقول لنا : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » تذكرنا فوجدنا أن علماء النبات حاروا فى تقسيم النبات أيقسم بأنه شجر وشجيرات وأنجم . وسترى صورهذه الزهرات الثلاث فى سورة النبأ إن شاء الله .

ولكن هذا التقسيم غيرمجد ولانافع ولامحدّد ، أم يقسمونه باعتبار أنه سنوىّ ، أوذوسنتين ، أوذوسنين كثيرة ، ولكن هذا التقسيم أيضا غير مجد ، لأننا نرى البرسيم فى بلادنا المصرية منه ماهو سنوى وهو البرسيم المعتاد ، ومنه مايبقى سنين كثيرة وهوالبرسيم الحجازى ، وهو الآن مزروع فى حقلنا جهة [المرج] فهذا أمثل به ليتضح لأهل الشرق الأدنى فوق أمثلة المؤلف ، فماذا يصنعون إذن ؟ رجعوا إلى الزهرة والثمرة والحبة ، فدراسة هذه هى التى بها قسم النبات إلى فصائل بحيث تجتمع كل طائفة منه تحت شكل من أشكال الزهرة ، ولاتختلف فيه إلا قليلا ، وبهذا انحلّ الاشكال عند أهل الأرض ، انحلّ الاشكال بفعل الله عزّوجل فى نظام الزهرة وهو نظام ثابت جميل .

ثبت نظام الكواكب والمجموعة الشمسية و بثباتها انحلّ اشكال ما على الأرض من سير السفن فى البحار ، لأنها لاتعتمد إلا على النجوم الثوابت والسيارات ، فثباتها فى السماء وحسن نظامها ، واتساقها فى مسيرها هوالذى على مقتضاه سارت السفن ، السفن فى بحرالظلمات ، وفى بحرالهند وجميع الاوقيانوسات ان لم تهدها النجوم و يلاحظها الربان ضلت سواء السبيل وهلكت ، لولا ثبات النجوم فى السماء لضاعت معالم فنّ المساحة فى الأرض ، فمساحة الأرض الواسعة ووضع حدودها يقتضى ملاحظة الكواكب ، وهذا لايعرفه إلا أكابر علماء المساحة .

لولا ثبات النظام السماوى ونجومه لم يثبت المكيال المصرى مثلا ولاالميزان ولاالمقياس ، ألم تر إلى ماتقدّم فى سورة يونس وأن العلم أثبت أن هناك ارتباطا بين مساحات الهرم بالجيزه و بين بعد الشمس ومدارسيرها وأن أبعاد الهرم أساس للأردب والكيلة الخ وللعدان والقيراط الخ وللذراع المعمارى والبلدى الخ وللقنطار والرطل والأوقية الخ . كل هذا موضح فى [سورة يونس] فارجع إليه أيها الذكىّ إن شئت . هذا فعل الله عزّوجل بالكواكب فى أرضنا « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

الزهرات تنوب عن النجوم فى بعض آثارها

انظر إلى الزهرات فى النباتات ، إن كل زهرة أشبه بمجموعة شمسية ، لأن نظامها مترن كما تقدم قريبا . الله أكبر : كأس وتويج وأعضاء ذكور وأعضاء اناث وروائح ومادّة عسلية ونحلات وحشرات أخرى تعدو وتروح وهناك يكون الثمر وهذك تكون الحياة ، فالزهرات فى نظامها الدقيق البديع قائمات مقام المجموعات الشمسية بهجة سارّة للناظرين . وبهذا الثبات وهذا النظام قسم النبات إلى أنواع وفصائل فالتقسيم هنا تابع لثبات نظام الزهرات كما كانت المكاييل والموازين والمساحات وسير السفن فى البحر تابعات لثبات الكواكب ، وكما كانت الساعات والدقائق ، وحساب الناس فى المعاملات تابعات لسير الشمس الصادق المتقن . فعلى الاتقان وحسن النظام يكون ثبات الأعمال ، فههنا فى الزهرة ثبت نظام تقسيم النبات لحسن اتقانها بخلاف طواهر النبات من حيث انه شجرات أوشجيرات ، ومن حيث انه سنوىّ أوغيره .

جلت النجوم ، وجلت الزهرات ، والجمال أس السعادات ، فلنرجع إلى ماوراء النجوم ليلا ، والى ماوراء الزهرات نهارا ، ولننظر بعقولنا فنرى تلك العقول تلمح وراء هذا الجمال من هو أجل وهو الحكيم وهو البديع وهنالك تطمئن وتحس بالسعادة فى الحياة ، ثم ترجع ثانيا هذه النفوس فتدرس أقسام هذه الزهرات فماذا ترى ؟ ترى أن من الزهر ما يكون الذكر والأنثى فى زهرة واحدة كزهرة القطن ، ومنه ما يكون أحدهما فى زهرة والآخر فى زهرة أخرى فى نبات واحد كما يرى فى الذرة ، فالذكر أعلى ، والأنثى فى وسط العود ، ومن الزهرات ما يكون زهرة الذكر فى نبات وزهرة الأنثى فى نبات آخر كالنخل ، وهذا القسم ان تباعدت الديار بحيث صارت الذكور فى اقليم والاناث فى اقليم آخر فلا ثمر لهؤلاء ولا لهؤلاء ، وذلك كشجر الصفصاف فان الصفصاف الذى فى بلاد آسيا كله ذكور ، والصفصاف الذى فى أوروبا كله اناث ، فلا ثمر لهذا ولا لذاك ، فلو اقترب هؤلاء من هؤلاء لكان للصفصاف ثمرات .

ومما يدهشنا أن نرى ذكور الصفصاف فى الشرق دلالة على أن الشرق هو الذى يجب أن يلقح الغرب لأن الغرب يأخذ بالظواهر ، والشرق يبحث عن البواطن ، ولذلك كانت الديانات من الشرق فاستعمرت الغرب ، إذن الشرق لا بد منه لاصلاح عقول الغرب ، وهذه الانسانية لن تستقيم مالم يظهر فى الشرق نابغون يصلحون الأمم ، ذلك مأخوذ من الاشارة التى فهمناها من نظام شجر الصفصاف ، فهو فى الشرق ذكر وفى الغرب أنثى ، وهما الآن عقيمان . الله أكبر : ان نظام الزهر كما قدمنا به كان تقسيم النبات :

الفصيلة الأولى من فصائل النبات

ومن أهم أقسام النبات الفصيلة الحضرية ، سميت بذلك لأن كثيرا من هذه الفصيلة يطبخ لأكله ، ومن هذه الفصيلة : الفول ، واللوبيا ، والبسله [الجلبان (١)] شجيرة شوكية ذات ورق دائم الخضرة وزهر أصفر ، والعدس ، وشجر السنط ، وشجرة تسمى المكنسة والبرسيم وغيرها ، فهذه النباتات كلها كأسها مكون من خمسة أوراق ، والتويج كذلك ، وفى داخلهما عشرة ذكور : واحد مرتفع إلى أعلى ، وتسعة متحدة عند القاعدة تكون أنبوبة واحدة ، ثم ينتج اللقاح فى آخر الأمر قرونا ، وهذه القرون فى داخلها حب ، وكل حبة فلقتان :

كل نبات إما مخرج ذا فلقة واحدة وإما مخرج ذا فلقتين

الله أكبر : إن جميع النبات لن يخرج عن إحدى حالين . إما أن ينتج ماهو ذو فلقة واحدة ، فما كان مخرجا ذا فلقتين فان ساقه تكون مخروطية ، وما كان مخرجا ذا فلقة واحدة فان ساقه تكون اسطوانية ، أليس هذا من العجب ! أليس من العجب أن نرى النخل اسطوانى الشكل بخلاف العدس والفول واللوبيا وكل ما كان ثمره ذا فلقتين ، فليس أعلى عود العدس واللوبيا كأسفله ، وهكذا الشوك والسنط والبرسيم ، فهذه كلها نرى أعلاها أدق من أسفلها ، أما النخل مثلا فأعلاه كأسفله ، لماذا ذلك ؟ لأن النواة فى التمرة غير منقسمة قسمين كما انقسمت حبة الفول وحبة اللوبيا وقرظ السنط .

أليس هذا أيها الذكى هو السر الذى قدمته من أن جمال الزهر والحب والنوى والفاكهة يشبه الثبات والجمال فى المجموعات الشمسية ، وأن النبات فى العالم العلوى ظهر أثره فى قطرانا وساعتنا المنظمات وسفننا كما ظهر أثر نبات الحب والفاكهة والزهرات الجميلات فى تنظيم فصائل النبات ، ومن أروعها وأبدعها نظام كل

(١) بضم الجيم وتشديد اللام وفتح الباء .

ساق لكل نبات لأن ذلك النظام يتبع الحبة ، فان كانت ذات فلقتين كان نظام ذلك الساق مخروطيا ، وان كانت ذات فلقة كان نظام ذلك الساق اسطوانيا ، نظام فى السماء أنتج ثباتا فى الأرض ، ونظام فى الأزهار وما والاها أثبت نظاما فى تركيب النبات .

تذكرة

إن ذكر الفلقة والفلقتين جاء هنا تبعا للكلام على الفصيلة الأولى الخضرية التى يطبخ بعض أفرادها ، فلنرجع الآن إلى فصائل النبات ولنذكر الفصيلة الثانية وهى الفصيلة الوردية ، ويدخل فيها الورد والكمثرى واللوز والكريز والعليق (والفريس) الذى يشبه ثمره ثمر التوت والتفاح والبرقوق وهكذا ، فهذه كلها متشابهات من حيث نظام زهرها ، فالكأس فى الورد الدرّى خمس والتويج خمس ، فأما أعضاء الذكور فهى كثيرة جدا ، وبقية المذكورات معه ونحوها مثله تماما ، فسميت كلها باسم الفصيلة الوردية ، وهناك فصائل أخرى كالفصيلة الزنبقية الخ .

فهذه الفصائل إنما رتبت ونظمت على مقتضى الأزهار والثمار والحبوب ، وكيف كان الزهر منظم الكأس والتويج وأعضاء التناسل ، وهذا النظام يكون متحدا فى كل فصيلة من فصائل النبات .

الله أكبر : ههنا ظهر سرّ قوله تعالى : « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . الله أكبر . الله أكبر بنظام الذكور والاناث فى الأزهار عرف الناس فصائل النبات ، و بنظام الذكور والاناث فى نوع الانسان ألفت أنا «طنطاوى جوهرى كتاب» [أين الانسان] لنظام هذه الأمم الأرضية على مقتضى نظام الله فى وضعه عواطف أصناف الناس واستعدادهم كما أنه وضع نفسه نظام الذكور والاناث .

الله أكبر : إذن آية : « ومن كل شىء خلقنا زوجين » فيها ثبات نظام النبات ، وثبات نظام الانسان فى السياسة . أما النبات فقد انتظم وعرف ، وأما نظام الجمعية الانسانية ، فانه لايزال فى اختباط واختلاط حتى يظهر فى بلاد الشرق رجال يعلمون أوروبا المتخبطة الجشعة التى يعوزها عقول من الشرق تدبر أمرها فى السياسة كما دبرت أمر الدين ، والله هو الولىّ الحميد .

فلما سمع ذلك صاحبى قال : حيا الله العلم ، وحيا الله الحكمة ، إن هذا لعجب ! وحكمة ونظام ، كيف تكون آية : « ومن كل شىء خلقنا زوجين » يعوزها نظام الأزهار ، وتقسيم فصائل النبات حتى تفهم ، و يعوزها نظام الأمم وعواطفها وقواها المختلفة ، وكيف حملتنا هذه الآية على أن نسيح فى هذه العوالم فندرسها وكيف كانت هذه الأزهار التى تضمنتها الآية لها ارتباط بالكواكب العليا من حيث ان ضوء الشمس مساعد على نموّ أشجارها فتزهو هى وتثمر ، وكيف نرى الله فى نفس السورة : أى سورة الذاريات يقول : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » ويقول : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » فهو نفسه كما ربط هذه الأزهار بالعوالم العلوية جعل الكلام على العلويات مرتبطا بالزوجين الذكر والأنثى ، فجعل كلامه كفعله ، فقول الصانع راجع لفعله . ثم قال : وههنا قد عرضت لى تذكرتان :

التذكرة الأولى فى اتجاه العقول الاسلامية قديما

إنى ليدهشنى هذه المفارقة ، فبينما القرآن يوجه العقول إلى النظام الجميل البديع ، وهذا النظام لايعقل إلا بدرس الزهرات وأنواع النبات والجبال البديع فى السموات والأرض اذا بشعراء الاسلام لايتغنون إلا بحديث الشهوات ، ويظن هؤلاء العاكفون الناعمون أنهم سيرقّصون عقولهم للبلاغة القرآن فوا أسفاه على بلاغة قرآن وصدق قرآن وابداع القرآن لايتم إلا بالتغنى بما يثير الشهوات .

أمم والله نائمة ، هام شيوخها وهام شبانها بما ينيم العقول و يضيع الوقت ، و يرجع بالانسان إلى الحال البهيمية ، فالقرآن فى ناحية والمسلمون فى ناحية .

لقد تقدم فى هذا التفسير عند آية : « والشعراء يتبعهم الغاوون » فى سورة الشعراء كيف حكم العلماء فى أوروبا بأن ضياع بلاد الأندلس إنما نشأ من اكباب العلماء على الشعر وترك العقول فارغة ، والألسنة فى نفس الوقت يفكرون فى تدمير المسلمين .

إن المسلمين فى المستقبل غير هؤلاء السابقين فى القرون المتأخرة ، هم سيكونون كالصدر الأول و يخرج جيل لا نظير له ، ويكونون تلاميذ الصحابة والتابعين الذين يعرفون من أين تؤكل الكتف .

فياليت شعرى : أهذا الذى نراه من الجمال الرائع والابداع فى نظام هذه العوالم الجميلة ، أم مايتغنى به أطفال الرجال ولا يتعدونه فى القرون المتأخرة الاسلامية ، فيقرءون وشحة الوزير أبى عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره إذ يقول :

جادك الغيث إذا الغيث همى ✲ يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما ✲ فى الكرى أوخلسة المختلس
إذ يقول الدهر أسباب المنى ✲ تنقل الخطو على ما ترسم
زمرا بين مرادى وثنى ✲ مثل مايدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا ✲ فسنا الأزهار فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما ✲ كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما ✲ يزدهى منه بأبهى ملبس
فى ليال كتمت سرّ الهوى ✲ بالدجى لولا شموس القدر
مال نجم الكاس فيها وهوى ✲ مستقيم السير سعد الأثر
وطر مافيه من عيب سوى ✲ أنه مرّ كلمح البصر
حين لد اليوم سنا أوكما ✲ هجم الصبح نجوم الحرس
غارت الشهب بنا أوربما ✲ أثرت فينا عيون النرجس
أىّ شىء لامرىء قد خلصا ✲ فيكون الروض قد كان فيه
تنهب الأزهار فيه الفرصا ✲ أمنت من مكره ماتتقيه
فاذا الماء تناجى والحصى ✲ وخلا كل خليل بأخيه
تنصر الورد غيورا بدما ✲ يكتسى من غيظه ما يكتسى
وترى الآس لبيا فهما ✲ يسرق الدمع بأدنى فرس
يا أهيل الحى من وادى العضا ✲ وبقلبى مسكن أنتم به
ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا ✲ لا أبالى شرقه من عربه
فأعيدوا عهد أنس قد مضى ✲ تفقدوا عائدكم من كربه
واتقوا الله واحبوا معرما ✲ يتلاشى نفسا فى نفس
حبس القلب عليكم كرما ✲ فترصون جراح الحبس
وبقلبى فيكمو مقتر ✲ بأحاديث المنى وهو بعيد
قرأ اطلع منه المغرب ✲ شقوة المعرى به وهو سعيد

قد تساوى محسن أو مذنب * فى هواه بين وعد ووعيد
ساحر المقلة معسول اللمى * جال فى النفس مجال النفس
سدد السهم رسمى ورمى * بفؤادى نهبه المفترس
ان يكن جار وخاب الأمل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب أوّل * ليس فى الحب لمحبوب ذنوب
* أمره معتمل ممتثل * فى ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللحظ بها فاحتكما * لم يراقب فى ضعاف الأنفس
ينصف المظلوم ممن ظلما * ويجازى البرّ منها والمسى
مالقلبى كلما هبت صبا * عاده عيد من الشوق جديد
كأن فى اللوح له مكتبا * قوله إن عذابى لشديد
جلب الهمّ له والوصبا * فهو للأشجان فى جهد جهيد
لاعج فى أضلعى قد أضرما * فهى نار فى هشيم اليبس
لم تدع من مهجتى إلا الدما * كبقاء الصبح بعد الغلس
سلمى يانفس فى حكم القضا * واعمرى الوقت برجعى ومتاب
واتركى ذكرى زمان قد مضى * بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصرفى القول إلى المولى الرضى * ملهم التوفيق فى أمّ الكتاب
الكريم المنتهى والمنتمى * أسد السرح وبدر المجلس
ينزل الصبر عليه مثل ما * ينزل الوحى بروح القدس

فاذا كان الوزير هذا ديدنه يضيع ذكاءه فى أمثال هذا النظم ، وليس لهذه النجوم ، ولاهذه الأزهار فى نظره إلا أنها ضرب أمثال للحبيب وابتسامته ، وأمة هؤلاء حكامها لابدّ من أن يعتورها الانحلال .

فقلت : هذا حقّ أيها الحبيب ، إن نسبة هؤلاء الذين لايعرفون من الزهر والكواكب إلا ظواهرها ، وذكرى الحبيب بها إلى العارفين بمجائب الكواكب وبواطن الزهر كنسبة لون الكوكب والزهر ونحوها إلى حقائق العوالم السماوية ونظامها وتركيب لزهرات وابداعها . فالأوّل كطفل للمانى ، وهؤلاء الأطفال هم أكثر شعراء الاسلام الذين يعيشون ويموتون ولاهم يذكرون « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون مالايفعلون » وترى المتعممين فى الديار العربية على هذا المنوال فى زماننا إلا قليلا منهم وهم العقلاء .

وهذا الكتاب الذى نقلنا عنه نظام الأزهار لم يؤلفه إلا وزير المعارف فى فرنسا ، فالوزير الفرنسى قلبه معلق بنظام النبات والنجوم وغيرها ، والوزير الأندلسى مثلا ليس له من العلم إلا الحظ الأدنى وهو تحويل العوالم الجميلة إلى مسألة التناسل التى تنقصى اذا حرّ الكبر واشتعل الرأس شيبا ، ثم ينظر الانسان فلايجد فى عقله متسعا للحكمة وهو حال من كل فضيلة وكمال .

فقال صاحبى : هذه هى التذكرة الأولى ، فما التذكرة الثانية فانى حينما سألتك فى أوّل الأمر عن أمر الأزهار ومامعها أجبتنى بجواب هو فى أسلوبه أشبه شىء بما جاء فيما تقدم فى الأجزاء السابقة فى [سورة الزمر] من حيث الكلام على انكسار الضوء فان الأسلوب هناك جيد كالأسلوب هنا ، والذى ذكرنى به الحبيب فى المدرسة الحربية فى السنة الرابعة . فانه لما قرأ الكتاب الصغير هناك اغرورقت عيناه بالدموع وقال

هذا الاسلوب أسهل وأجل مما نعطاه فى المدرسة ، لأنه بهيئة « سؤال وجواب » فلما سمعت الاسلوب هنا فى مسئلة الأزهار وجدتها تطابق ذلك الاسلوب . فقلت حياك الله إن المؤلف واحد .

فقال صاحبي : إذن أرجو أن تفصل الكلام على عالم السماء المذكور هنا فى هذه السورة بهذا الأسلوب كما فصلته على أزهار النبات فى آية : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » ؟ فقلت أيها الأخ الذكي : إن المقام هنا قد طال جدا فسأوضح الكلام بهذا الأسلوب فى [سورة الملك] على عالم السموات وعلى الأنوار ، وكيف نرى الضوء النازل من الشمس النافذ فى حجراتنا يصطحب معه بحرارة ثم تحكم عقولنا بأن ذلك النور يجرى على خط مستقيم ، وتحكم علومنا بأن سرعته فى الثانية تبلغ نحو ١٨٥ ألف ميل ، ثم نضع أيدينا على ذلك النور فنحكم بالحرارة المصطحبة معه ، فههنا حكمان : حكمنا باستقامة الخط بالبصر ، وبالحرارة باللمس ، ثم ننتقل من هذا إلى أن الصور الواصلة من الخارج إلى حجراتنا معكوسة مقلوبة لتقاطع الأشعة الداخلة فى حجراتنا وهكذا ندخل فى أودية من العلم فيها أزهار وأثمار وحدائق وجنات ، فنرى أن هذا الضوء اذا عارضناه بمراءاتنا فانها تعكسه على الحائط المقابل للضوء الداخل ، وتكون تلك الأنوار الساطعات على ذلك الحائط تابعة فى ثباتها وذبذبتها إلى المرآة التى فى أيدينا ، وتكون هناك زاوية للسقوط وأخرى للانعكاس بينهما ارتباط وثيق .

أليس هذا من أعجب العجب : إن ماتقدم يفسر وضع صورنا فى المرآة أمامنا ، فيميننا موضوع فى المرآة جهة اليسار والعكس بالعكس ، وهكذا نرى البعد الواقع بيننا وبين المرآة مماثلا للبعد الذى بين المرآة والصورة المصوّرة كما حصل لما عرّضنا المرآة للضوء وانعكس منها على الحائط المقابل ، وهكذا ننتقل من المرآة الزجاجية إلى الماء فنجده مرآة أيضا ، وهو يتقبل الصور المحيطة به كما يتقبلها الزجاج ، وهناك نرى أن النور متى دخل فى الماء حصل له مايسمى بانكسار الضوء الذى وضحناه فى [سورة الزمر] كما ذكرتنا به أيها الأخ الذكي الآن ، وهذا الانكسار نعمة عظيمة فى هذه العوالم ، ولولا انكسار الضوء ما كان صبح ولا مغرب ، وانكسار الضوء له حالان : فاما أن يسير الضوء من طبقة لطيفة إلى أخرى كثيفة ، فهناك ينكسر الضوء إلى ناحية خاصة واذا كان العكس فانه ينكسر إلى الجهة الأخرى .

العدسات والميكروسكوبات والتلسكوبات والمناظر

وأضواء الشمس السبعة

هنالك هنالك يدخل العلماء فى باب واسع من العلم ، وههنا يكون الكلام على العدسات ، وهى إما محدبات ، واما مقعرات ، فالعدسات المحدبات زجاجات منتفخات من الجانبين ، فهذه تكبر الأحجام المنظورة من خلالها ، فاذا نحن وضعنا جملة من هذه الزجاجات متحدة بنظام خاص كان عندنا ماسميه ميكروسكوب (الآلة المعظمة) وهذه قد تكبر الشيء ألف مرّة بل أكثر ، وقد توضع تلك العدسات بهيئة خاصة أخرى وهى تسمى (التلسكوب) الآلة المقرّبة ، فهى تكبر الأجسام البعيدة فترى قريبة لنا ، فهذا سميت مقرّبة . وهل أتاك نبأ العدسات المقعرات اللاتى تفعل عكس العدسات المحدبات ، ان هذه تصغر الأجسام كما كانت التى قبلها تكبرها ، وههنا يدخل الضوء فى علم الطب فتكون العدسة المصغرة لصاحب النظر القصير والمكبرة لصاحب النظر الطويل .

للعدسات المكبرات عمل آخر

وذلك أنها تستعمل لاحداث حرارة وضوء على ما وراءها من ورق مخصوص مثلا ، فههنا يدخل ضوء الشمس فى العدسة ، ويستمرّ جاريا إلى ما وراءها ، وهناك تكون بؤرة خاصة فى بعد مخصوص : أى ان الحرارة فى بعد مخصوص تجتمع فى نقطة خاصة ، وهذه الحرارة قد تتقد بها النار ، بل إن ربان السفينة لما عنده من العلم اذا كان فى الأقطار الشمالية التى ليس فيها إلا الثلج يقدر بتلك العدسة المكبرة للضوء المحدبة الوجهين أن يستعملها فى إيقاد النار فى الصوفان مثلا ، وذلك بأن يستعمل عدسة من نفس الثلج ، وهذا الثلج يجمع ضوء الشمس الضعيف فى تلك الأقطار ، وفى البؤرة فى البعد المخصوص يضع ذلك الربان مايريد احراقه فيشتعل ، فيذهل من ذلك نوتية السفينة ، ويذهل سكان الأقطار الشمالية (وهم الاسكيمو) .

وههنا مباحث أخرى لامحل لتفصيلها الآن مثل أضواء الشمس السبعة وعجائبها ، ولعلنا نفصل الكلام على هذه العجائب فى [سورة الملك] ان شاء الله تعالى بشرح أطول وصور بديعة تشرح الموضوع كما تشرح الصدور . ولعلنا أيضا نفصل الكلام ان شاء الله تعالى فى [سورة النبأ] « عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم » على أنواع النبات المتقدّمة ، والفصائل بصورها وأشكالها بمناسبة قوله تعالى : « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا » كما نذكر بعض ماتقدم مجملا عند الكلام على قوله تعالى فى [سورة الحشر] : « هوالله الذى لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هوالله الذى لاإله إلا هوالملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هوالله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » لنبين أن هذه العجائب لاتفسر أسماء الله حقّ تفسيرها إلا بها ، وأن من أراد أن يفقه معنى البارئ والمصوّر ونحوهما فليس له إلا طريق هذه العجائب .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : الحمد لله قد أثلجت صدرى بهذا البيان . فقلت الحمد لله رب العالمين . والى هنا تمّ الكلام على [سورة الذاريات] . كتب فى ١٥ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ هجرية .